

أشعة من عظمة

الأقلام والحسين



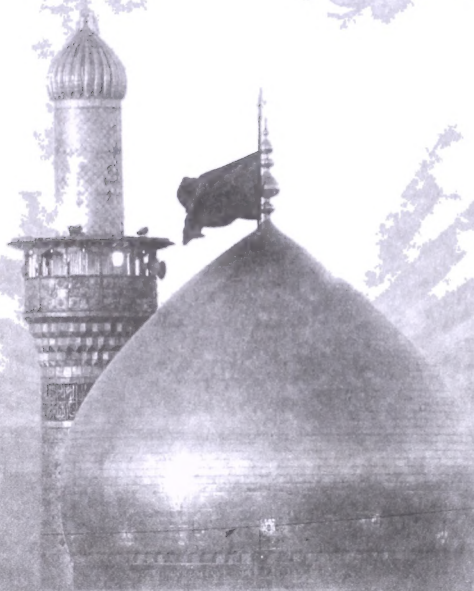
لشيخنا الديني سماحة آية الله العظمى

رحمته

الشيخ لطف الله الصافي الكليكانى

أشعة من عظمة

الأفامير الحسينية (ع)



للمسحح النبوي ساجدة آية الله العظمى



الشيخ إمام الصافي الكليكان

سرشناسه	: صافي، لطف الله،
عنوان و نام پديدآور	: اشعة من عظمة الامام الحسين / لطف الله الصافي الكلپايگاني
مشخصات نشر	: قم: مكتبة آية الله العظمى الصافي، وحدة النشر العالمية ١٤٣٣ ق. = ١٣٩١.
مشخصات ظاهري	: ص ٤٠٠
شابك	: ٨٠٠٠٠ ريال 7-66-5105-600-978
وضعيت فهرست نویسی	: فهرست نویسی قبلي
يادداشت	: كتابنامه: ص. ٢٤٤ - ٢٤١
موضوع	: حسين بن علي(ع)، امام سوم، ق ٦١ - ٢
رده بندی كنگره	: ١٣٧٩ ب٢٤١/٤
رده بندی ديوي	: ٢٩٧/٩٥٣
شماره كتابشناسی ملی	: ٧٩-٢٣٤٢ م

اشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام

-
- ◀ المؤلف: المرجع الديني آية الله العظمى الصافي الكلپايگاني
 - ◀ الناشر: وحدة النشر العالمية التابعة لمكتب آية الله العظمى الصافي الكلپايگاني
 - ◀ تعريب: السيد جلال الموسوي
 - ◀ المطبعة: ثامن الحجج عليه السلام
 - ◀ الطبعة: الاولى ١٤٣٤ هـ. ق / ٢٠١٢ م استشهد أبي الاحرار أبي عبدالله الحسين عليه السلام
 - ◀ الكمية: ٢٠٠٠
 - ◀ سعر: ١٠٠٠٠ تومان
 - ◀ رقم الايداع الدولي: ٧-٦٦-٥١٠٥-٦٠٠-٩٧٨ (ISBN)
-

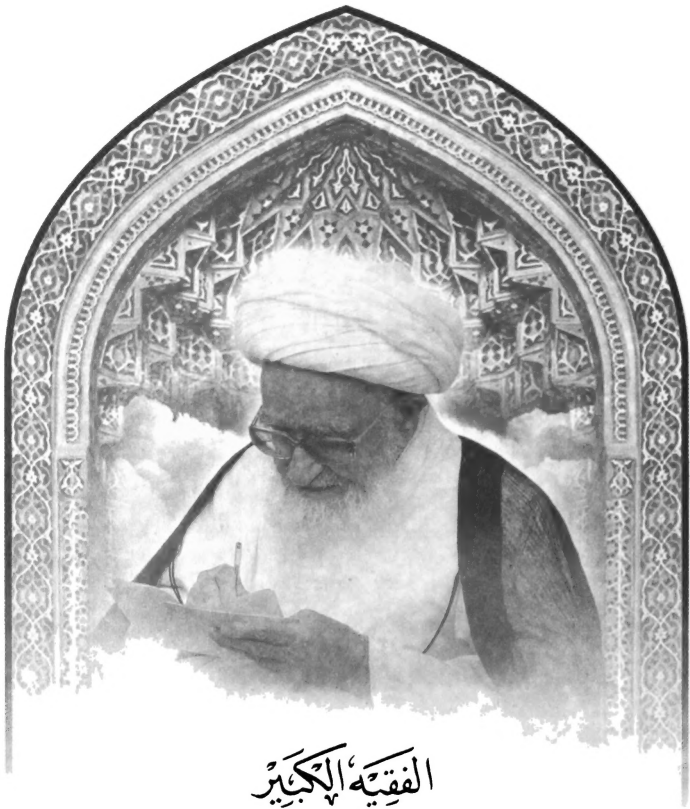
◀ هاتف و فاكس: ٩٨-٢٥١-٧٤٧٩-٧٧١٥٥١١
 ◀ سايت: www.saafi.net www.saafibooks.com

بيت الحكمة
شبكة الفکر
خالد بن برمكة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةَ بْنَ
الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى
آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي
كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَخَافِظًا
وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا
حَتَّى تُسَيِّدَ لَكَ أَرْضُكَ طَوْعًا
وَتُسَمِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا



الْفَقِيهَ الْكَبِيرَ
 الْإِمَامَ الْإِسْلَامِيَّ سَيِّدَ الْإِسْلَامِ الْفَقِيهَ
 الشَّيْخَ طُفَّالَةَ الْإِسْلَامِ الْكَلْبَالِيَّ





مقدمة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الغلياني للترجمة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبيّنا محمد وآله الطاهرين ولا سيّما بقية الله في الأرضين عليهم آلاف التحية والتسليم.

وما عساني أن أقول في عظيم أوّلته به سور وآيات وكثرت وهي تتحدث عن فضله السيّر والروايات، وأحبه أهل الأرض والسموات وتزيّنت به الفردوس والجنت، فالحسين هو سيد شبابها، وسيد الشهداء سيد أمرائها، وأحب أهل الأرض إلى أهل السموات.

ومن أين لنا أن نجد له مثيلاً في الأرض أو السماء بل ومن له كجده وأبيه وأمه وأخيه وذريّة كبنيه، وحاشا أن يكون لأحد تربة كتربته، وقبة كقبته، وذريّة كذريّته، فهو وتر الله الموتور في السموات والأرض، وهو النور في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة، قد ختم الله له بالشهادة، وجعله سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وأكرمه بطيب الولادة، وأعطاه موارث الأنبياء.

فما أعظم الحسين بين العظام، وما أكبر الحسين بين الكبار، بل هو شخصيّة فريدة جعلت فيها صفات، ومنحت لها سمات، ما جعلت وما منحت لكثير العظام والكبار، ولقد رضي الله تعالى ونحن في أجلّ حالات الصلاة، أن تكون جباهنا في سجودنا على تراب الحسين عليه السلام، وإن نكون دائماً عليه مُسلّمين في كل وقت وحين «عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم».

وهكذا الحسين قربان الله وفخر التاريخ ومجد الإنسانية وسعادة البشرية ورمز ديني وإنساني في الفضيلة والدين نكتسب منه رفعة وعزة وعظمة وسمواً وعلواً ونتجلى به بين أهل الأرض ونتحلى به عند أهل السماء.

وإن هذا السّفر هو شعاع من ذلك المصباح الذي أنبا عنه النبي الأعظم عليه السلام وهو في مسير إسرائه بقوله: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، لنستصبح به في كل الأزمنة الحالكة ونهتدي به في كل الأمكنة المظلمة.

فيا أبا عبد الله هذه بضاعتي مع عجزتي وفقري وصعوبة يومي وأمسي وفقد نبيّي وغيبة وليّ، فتفضل عليّ بالقبول فإنّك أهل الفضل والمرجو لكل خير.

لطف الله الصافي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلّم تسليمًا

وبعد، فإن هذا الكتاب هو واحد من الكتب التي عالجت في موضوعها عظمة شخصية الإمام الحسين عليه السلام وقضائها وأتت على بيان مقصد وأهداف ثورته ودراسة تطلعاتها وأبعادها والتدقيق في عللها والتحقيق في نتائجها وفوائدها، والتشريح لقضاياها ووقائعها، وكل ذلك بدراسة فائقة ودراسة عالية معتمدة على منابع تاريخية ومصادر اسلامية وتحاليل إنسانية.

ولقد أفاد مؤلفه فأفاض به علماً ومعرفة وأجلى الإمام الحسين عليه السلام حقيقة انسانية ورمزاً دينياً في الفضيلة والشرعية، وقدمه معيناً تستفيد منه شعوب الأرض على أصنافها لما كان قد ذهب - المصنّف - في مصنّفه بأساليب البيان والبرهان ومن هنا صار لهذا الكتاب الزواج والإقبال ورغبت فيه الفضلاء والأعلام.

وليس ببديع القول ما ذكره العلامة الشهير الشيخ محمد تقي الجعفري في بعض كتبه^(١) الذي قال فيه: من أجل التحقيق والمطالعة في عظمة الإمام الحسين عليه السلام من نظر المنابع الإسلامية والتاريخية المعتبرة تفضلوا بالإستفادة من كتاب (پرتوی از عظمت امام حسين عليه السلام) تأليف الأستاذ المعظم اقا لطف الله الصافي من الصفحة ٢٠ إلى صفحة ١٠٩، ففي نظري (القول للعلامة المذكور) فإن الكتاب المذكور هو من الكتب الأفضل تحقيقاً وجمعاً في عظمة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد رأينا أن نتشرف بعد طبعاته المتكررة باللغة الفارسية تعظيماً للدين وتعميماً للفائدة في ترجمة وطبع هذا الكتاب باللغة العربية راجين من المولى عز وجل ان يتقبل منا، وسائلين منه أن يديم ظلّ مؤلفه ويوفقنا لنشر بقية مؤلفاته. والله ولي التوفيق إنه سميع مجيب.

دائرة التوجيه والإرشاد الديني

قسم النشر العالمي

المقدمة

يوم الحسين عليه السلام

ما من حادثة من أحداث التاريخ وقائعه المهمة والمحنة تشبه واقعة كربلاء الأليمة حيث تحيي ذكرها كل عام بجلال وعظمة وافرة، ويشترك في مراسمها كافة الطبقات الاجتماعية، نساءً ورجالاً، شباناً وشيوخاً وتعمر مجالس شعائرها في المنازل والمساجد والمدارس والتكايا والحسينيات والاسواق والشوارع والمحافل، ويتحدث الخطباء عنها، ويكتب الكتاب الكتب والمقالات، ويعجز مرور الازمنة وعن أن يُدرّسها ويُليها أو أن يقلل من اعتبارها وأهميتها، بل على العكس، كلما مرّت الدهور ازدادت عظمة وعمق هذه الواقعة الحزينة وتم استنباط معاني سامية واهداف رفيعة لفلسفتها تتناسب مع كل عصر من العصور، وحين من الأحيان.

إنّ يوم الحسين عليه السلام، يومٌ يستحيل نسيانه على مرّ الازمنة والدهور وحادثة عاشوراء انحت لها قلوب أهل الايمان وعشاق الفضيلة والحقيقة، تعظيماً لمعناها، و عاشوراء مشعل مُشعّ كان ولا زال في القرون و اطوار الدهر مصباح هداية العظماء وقادة الاصلاح ومُنجمهم من ظلمات الحيرة والضياع.

إنّ ما قام به الحسين عليه السلام لم يكن أمراً عابراً كحوادث التاريخ، بل كان عملاً جبّاراً لم يسبق له مثيل ونظير.

إنّ ما قام به ابو عبد الله الحسين عليه السلام أمرٌ الهيّ اعتبره أهلُ عالم الجبروت و

سكان صوامع الملكوت والملا الأعلى، اكبر تجليات الكمال في مقام الانسانية، وإن رواد الفضيلة البشرية واصحاب العقول الكاملة، وواصل الحقائق العالية، والانبياء أولي العزم، والأولياء العظام، وشهداء طريق الاصلاح والهداية، اعتبروا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً ممتازاً وفريداً لتجلي قدرة الإرادة، وقوة العزم والثبات وكهال الدين والصبر والايثار والشجاعة، فخلوص الايمان، الرجولة، الصراحة، الوفاء، علو الهمة، الثبات، الاستقامة، ومقاومة الظلم والتعدي واضحة وجليّة في كل ملاح هذه الحادثة المؤلمة.

وعظمة المقاصد، و اباء النفس واحتقار زخارف الدنيا والماديات، واختيار الموت بعزٍّ وشرف على العيش بالذلّ والعار، هي رتوش ظاهرة في صورة كربلاء.

ولشرح هذه القصة، شرح لكمال روح الانسان وتحقير لكل مظاهر المادة ولذاذ الدنيا، وادانة للشرك والكفر والظلم والجور.

وإن تاريخ هذه الحادثة المؤثرة في الارواح هو تاريخ الفداء الفريد في سبيل المبادئ والعقيدة، واحترام لشرف وكرامة الحق، ومحاولة لتحرير و خلاص المجتمعات المحرومة.

ومن ثمّ، فلا دهشة من تأثير صداها في كل العالم و وصول صوتها الى الاسماع كوصول صوت الأذان أبدياً خالداً، وبقاء وقعها في القلوب بعد مرور اكثر من ألف و ثلاثمائة عام عليها والخطباء والكتّاب يقولون ويكتبون فيها، ولا زالت الصلوات والتحيات تُهدى الى أولئك الرجال الأفذاذ الذين استقاموا في طريق الإيمان بالله و اجراء احكامه، وفازوا بحسنى الشهادة و شربوا كأسها حتى الثمالة. إنهم رجال لم تلههم الدنيا و لم يُضعف عزمهم شبح الموت المهيّب تحت وقع

السيوف والرماح في ساحة مقاومة طغيان أهل الباطل وتخلّوا عن كلّ ما من شأنه إضعاف الارادة والهمّة من الجاه والمقام والذهب والفضة والنساء والأولاد، فتملكوا أعلى مراتب حرية الروح وسموها.

وفي المعسكر المقابل تجدد شرذمة من ضعاف النفوس، وحقراء الغايات، عبيد شرك الدنيا ولذائدها، من ذوي الضمائر الميتة والارواح الخبيثة الذين لا يتوانون عن قتل الأخيار من عباد الله وتمزيق أجساد الاطفال والرضع بسهامهم المسمومة.

والغلبة في هذه المعركة وإن كانت بحسب المقاييس الدنيوية الظاهرية عند عامة الناس هي لهذه الطائفة الشريرة من أعداء الدين، وإنّ إيمان وعقيدة الحسين وأصحابه التي جعلتهم مظهر الاستقامة والفداء المنقطع النظير، وإن لم تكن ذا قيمة بحسابات أهل الدنيا والماديات وصحيح أنّ نهاية هذه الحادثة كانت بانتهاء يوم عاشوراء من شهر محرم سنة ٦١ هـ، إلّا أنه في الواقع وبحساب تاريخ الفضيلة وكمالات الروح الإنسانية وبالقياسات القرآنية والإسلامية فإنّ النصر الخالد كان من نصيب الحسين (عليه السلام) وأصحابه، ذلك أنّ ميزان اصحاب الحقيقة لا يرى أنّ قيمة الانسان وحجمه منحصران في المنافع الفانية واللذائذ العابرة، وأنّ ربح وخسارة وانتصار وانكسار الرجال العظام لا يكون بهذه المقاييس.

في ميزان الحقيقة، تكون قيمة واعتبار الاشخاص بمقدار قوة إيمانهم وارادتهم، وإنّ الانتصار الحقيقي هو انتصار الباطن على الظاهر وانتصار الروح على الجسد والحقيقة على المجاز، وأنّ النصر الواقعي هو الثبات في طريق المقاصد والأهداف السامية وتسخير عوامل ضعف الروح وتلاشي الايمان وعدم التسليم لها.

نعم، كل الناس يموتون، وكم من الناس قضى نحبه في سبيل الدفاع عن العقيدة والايان والحق ولكنهم مع ذلك لم يخلدوا كما خلد شهداء كربلاء، ذلك أنّ تضحيات واستقامة وايتار وفضائل شهداء كربلاء لم تتجسد في غيرهم، في سائر ميادين المواجهة بين الحق والباطل.

انهم أبطال استقبلوا الموت والشهادة بكل عزم واستبشار وقد كان بمقدورهم حفظ ارواحهم بمجرّد التنحي عن ذلك الموقف الخطر الحاد.

الحق، أنّ هؤلاء لو كانوا قد تراجعوا عن وقفهم تلك وخضعوا لهيمنة حبّ النفس والمال والمقام، واستسلموا رهبة السيوف والموت، لكانوا قد اضرّوا بمقام الانسانية والموازين الإسلامية السامية ضرراً يفوق حدّ التصور.

إنّ حادثة عاشوراء لم تكن تلك المعركة التي وقعت على ارض كربلاء، وان المواجهة التي حصلت يوم عاشوراء بين اولئك الاشخاص الذين تقابلوا ليست هي المواجهة الحقيقية، وانما الحرب الحقيقية هي الحرب بين الحق والباطل، بين الأسلام والكفر، فلو أنّ اهل الحق كانوا قد تراجعوا يومئذ، لم يكن لينتهي تراجعهم في ذلك اليوم وفي ذلك المكان الجغرافي، بل كانت آثاره السيئة والخطرة ستظهر على مستقبل الإسلام وعلى الاجيال اللاحقة من المسلمين، اذ أنّ مراقبي ساحة تلك المعركة الدامية لم ينحسروا في المعاصرين لها، وانما مراقبوا تلك المعركة هم كل الشعوب الإسلامية وكل الشرائع والطبقات المظلومة والمحرومة على مرّ الدهور والازمنة، ومن هنا كان على الحسين عليه السلام واصحابه ان يرسموا صورة الاستقامة كاملة الرتوش وقد فعلوا ذلك بأروع صوره حتى حيّروا العقول بصمودهم في ميدان الابتلاء، ومع أنّ العدو اللئيم قام بتقطيع أجسادهم الطاهرة ارباً ارباً ولكنه لم يستطع النيل من ذرة من ذرات ارواحهم الطاهرة و ارادتهم الحرّة و نيّاتهم

الصادقة .

قد غيّر الطّغْنُ منهم كلّ جارحةٍ إلاّ المكارم في أمنٍ من الغيْرِ

دواعي اهتمام الكتاب والخطباء

إنّ من أهم دواعي اهتمام الخطباء والكتاب مجاداة كربلاء هو الاهمية الدينية والمذهبية لهذه الواقعة، وقيمتها المعنوية والواقعية للإنسانية والمجتمع البشري عامة.

فكلّ الدروس المستخلصة من هذه الواقعة، ساميةٌ ومربيةٌ ومفيدةٌ وإنّ مدرسة عاشوراء مدرسة عامة شاملة تعدُّ هاديّةً بدروسها لأهل كل بقاع الأرض، تدعو سكان المدن والقرى والارياف والبوادي وناطحات السحاب، الى الفضائل والكمالات الانسانية.

ومن البديهي أنّ مثل هذه الاطروحة لا يمكن أن يعترىها البلا، وستبقى جديدة جذابة ومحطّ اهتمام الجميع.

و من جهة الثواب الاخروي وطبقا للاحاديث الصحيحة المعتبرة عُدّ الكتاب والمتحدثون والخطباء حول قضية الإمام الحسين (عليه السلام)، من أوائل المتقربين الى الله تعالى والى الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن ذوي المراتب العليا والنائلين للثواب الجزيل. أضف الى كلّ ذلك، ولما كانت واقعة كربلاء، ملحمة الصراع بين الحق والباطل والعدالة والظلم، والمواجهة بين الفضيلة والرديلة، صارت جاذبة بمبادئها لكلّ المنصفين من الرساليين ورواد العدالة والحرية والتحرر، كما إنّ الاحاسيس الإنسانية الصادقة ويقظة الضمير والشعور الباطني تجذب الجميع وتشدّهم الى الأبطال من عشاق الحق الذين سطرّوا ملحمة عاشوراء.

و من هنا وجدنا آلاف الكتب قد كتبت في الموضوع وأنّ مئات الآلاف من الأبيات الشعرية قد انشدت، وأنّ الكتاب والشعراء لم ينسوا الحسين عليه السلام حتى في احلك ادوار الاضطهاد والتنكيل التي كان يمارسها عمال الحكومات الجائرة لبني امية و بني العباس امثال «المتوكل» وان خطر القتل والإهانة ومصادرة الاموال والحرمان من العطاء والحقوق الاجتماعية والاقتصادية لم تكن هؤلاء عن نشر مبادئ كربلاء، وسيدوم هذا الأمر الى زمن انتهاء أجل الدنيا ولن ينسى الحسين عليه السلام.

إنّ موجبات بقاء هذه الحادثة الأليمة هي التي حفظتها من الضياع والاندثار ما دامت الإنسانية باقية، وستبقى هذه الواقعة دليلاً لعشاق العدالة والفضيلة و أعداء الظلم والجور، و المنتفضين على الحكومات الفاسدة.

نعم، لا يمكن ان يفتُر انجذاب الناس الى الانصات الى صوت اولئك الابطال من عشاق الحق في كربلاء و الذين جاهدوا غاية الجهاد والفداء في سبيل الدفاع عن الحق و ضد الباطل^(١).

وستبقى قصة ايثار وفداء نخبة الخليقة وشهداء الفضيلة والحقيقة يوم عاشوراء، زينة خالدة لصفحات التاريخ، ولن تملّ الآذان من سماعها ولا العيون و الألسن من مطالعتها و قرائتها مهما طال الزمن.

فالكتاب اعتبروها منتقى مواضيع مقالات كتبهم، فالكل يطمح ان يسجل اسمه في قائمة من ترك أثراً في قضية الحسين عليه السلام.

فشعراء العرب والعجم ترجموا مبادئ وقيم واهداف الحسين عليه السلام واصحابه

(١) الآ من جهل وقائع ذلك اليوم او كان من المتخلفين باخلاق الجبارين و الظلمة و من حجب الرذائل فطرتهم و وجدانهم.

بأبيات شعرية وقصائد بليغة غراء مفعمة بالحماس والشوق، كل بلحنه ولسانه الخاص وصوروا لنا جانباً من جوانب تلك الملحمة الرائعة لرجال الله والحقيقة ضد اهل الباطل والضلال.

ومع كل ذلك، فما يكتب لاحقاً لا يخلوا من حلاوةٍ ووقعٍ جديدين في نفوس عشاق ورواد الفضيلة والحق ولم تؤثر تلك الوفرة الأدبية في شدة استقبال الناس وانشدادهم وانجذابهم لعاشوراء.

ولما كان الموضوع وبالتناسب مع المقاصد والاهداف المنظورة له، واسعاً وعريضاً جداً، ولما كان كل كاتب أو أديب عاجزاً عن الإلمام بكل تفاصيل ودقائق الحقائق المرتبطة بعاشوراء الحسين عليه السلام، وجدنا أن كل اصدار جديد حول القضية لا يخلوا من جديد ولا يُعدم الفائدة المستقلة عما سبق من الفوائد ولا تتقصه البواكر من الافكار والرؤى، ويحق لنا أن نقول إنَّ لطفاً من الطاف الإمام الحسين عليه السلام يشمل كل واحد ممن يتناول قضيته عليه السلام لكي لا يُحرم أحدٌ من أن يستقي جرعة من بحر الحسين المواجه الزاخر.

ومن ثمَّ، تجد الكتاب وكبار العلماء والمفكرين قد سطروا آلاف المقالات والتصانيف في هذا الموضوع، وإنَّ كل كاتب له المأمُ يسير باهداف الحسين عليه السلام، رغب في الجلوس على هذه المائدة المباركة طمعاً في تسويد اسمه في ديوان عشاق الحقيقة، ليبثاع لطف وعناية يوسف مُلك الشهادة.

جهات ما كتب في الحسين عليه السلام

إنَّ الكتب التي كتبت في تاريخ الإسلام وفصائل اهل البيت عليهم السلام و الصحابة، تناولت قضية الحسين عليه السلام ضمن طياتها والكتب التي صنّفت في خصوص

هذه الواقعة كثيرة جداً، وأكثرها تناول القضية من جهة وقائعها الزمانية والمكانية والحالية فحسب، دون التطرق الى فلسفتها.

و أما في زمننا المعاصر فإنَّ أغلب الافكار تنصبُّ على 'تحليل الأحداث و على' علل و نتائج القضية و بذلك تقيس و تزن تلك الأحداث على 'اساس فلسفتها و نتائجها، و مثل هذه التأليفات تستهوي شباب و مثقفي العصر الحاضر اكثر من غيرهم.

ولذلك فان الكتب التي تناولت قضية سيد الشهداء عليه السلام و استشهاده من جهة مبادئها وفلسفتها و أسرارها و اسبابها الواقعية و تأثيراتها في المجتمعات الإسلامية و الفكر الإسلامي، لها جمهور كبير من القراء و المهتمين، و ذلك انَّ هؤلاء يرغبون في التعرف على:

سبب نهضة الحسين عليه السلام ؟

ولماذا لم يقبل الصلح و المهادنة مع يزيد؟

ولماذا هاجر من المدينة الى مكة و منها الى العراق؟

و ما هي مقاصد الحسين عليه السلام من النهضة و ما هي نتائجها؟

و ما هي الفوائد التي تجنيها الامة الإسلامية من إقامة مراسم عزاء

الحسين عليه السلام و احياء ذكرى عاشوراء خاصة عند الشيعة؟

و مئات الاستفسارات و التساؤلات الاخرى، التي تدور في خلد عشاق

ساحة الإمامة والولاية.

و من ثمَّ أنصب جهدُ الكتاب و المؤلفين في قضية كربلاء، على كتابة الاجابات

اللازمة لتلك التساؤلات، و صمّموا على 'خوض مضمار التحليل و التحقيق في

الواقعة و تنبيه الناس الى 'فلسفة هذه النهضة المباركة و شرائطها و بيان اوضاع و

احوال وظروف هذا القيام والفداء الكبيرين .

ولا يخفى أن ذلك لا يعني اهمال القدماء والسابقين من الكتاب لهذه الجهة كلياً وعدم تعرضهم لفلسفة و اسرار الشهادة، بل إنَّ أوَّل من كشف عن تلكم الاسرار والاهداف السامية للنهضة الحسينية هو نفس سيد الشهداء عليه السلام واهل بيته، بل قد سبقه الى ذلك نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ثمَّ الأئمة المعصومون الطاهرون عليهم السلام، حيث وضحوا هذه الجهة بشكل جليٍّ في أحاديثهم ورواياتهم وحتى في عبارات زياراتهم للحسين عليه السلام، ثم تبعهم علماء الإسلام ومفكره سنة وشيعة، و الشعراء الكبار ضمن قصائدهم، حيث عرّفوا الناس بتلك الحقائق .

بيد انه لم يعهد وجود كتاب مستقل يتناول تلك الأمور وفلسفتها على النحو المتعارف هذه الأيام .

ولذلك فان الكتب التي تناولت التحليل التاريخي لحوادث كربلاء قليلة جداً بالقياس الى تلك التي أرّخت أحداث الواقعة مع الاحتفاظ بتقديرنا لهذه المصنّفات التي حفظت لنا تاريخ تلك الواقعة و تفاصيل مجرياتها، ذلك أن مثل هذه الكتب تشكل اللبنة الاولى للتحليل و التحقيق و هي اساس الفحص و التدقيق عند المفكرين و المحققين، وكذلك فان نقل صور ما جرى في كربلاء يوم عاشوراء و على الرغم من إختصارها و عدم احاطتها بكل الواقعة، حاكية عن حقيقة مظلومية الإمام عليه السلام و عاكسة لأسرار و فلسفة شهادته، كما أنها المرجع للمؤمنين الراغبين في نيل ثواب و اجر ذكر مصائب الحسين عليه السلام و البكاء و العزاء عليه و التقرب الى الله بإقامة شعائره .

جزا الله خير الجزاء كل الكتاب و الخطباء و كل الذين ساهموا بنحو من الأنحاء في اعلاء و تحليل ذكر سيد الشهداء عليه السلام سابقاً و لاحقاً .

و هذا الكتاب الذي بين يدي القراء الكرام و المتضمن لمختصر من فضائل
حضرة سيد الشهداء عليه السلام غيظ من فيض علل و نتائج واقعة كربلاء ، فهو بضاعة
مزجاة و فخذ جرادة يقدمها هذا العبد العاصي بكل خجل و خضوع ، هدية لساحة
سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها و الى ملجأ الدين الابن التاسع
لسيد الشهداء الحسين عليه السلام بقية الله في الارضين مولانا قائم آل محمد أرواح العالمين
له الفداء راجيا من الأم و الابن العزيز القبول آملاً الفوز في الدنيا و الآخرة ببركة
التوسل بساحة قدس اهل بيت العصمة و الرسالة ، و أن أعد في زمرة محبيهم ، بحق
محمد و آله الطاهرين صلوات الله تعالى عليهم اجمعين .

أقلّ خدمة ساحة محبي أهل بيت النبوة
لطف الله الصافي الغلبا يگاني

البحث الأول

شخصية الحسين عليه السلام
وفضائله



شخصية سيد الشهداء عليه السلام

لا يمكن الحكم على 'قيم' واهداف وعلل نهضة وحركة ما لم يتم التعرف على شخصية قائد تلك النهضة والوقوف على أخلاقه وفضائله وعلمه ومعارفه و سوابقه الفكرية والمحيط الذي نشأ فيه، وفي غير هذه الصورة لا يكون الحكم تحقيقاً معتمداً.

فثلاً للتعرف على حقيقة الدعوة الإسلامية، يجب الاعتماد (مضافاً إلى القرآن المجيد والتعاليم والمناهج الإسلامية) على دراسة تاريخ النبي الأكرم ﷺ وحياته وأخلاقه وسلوكه وعلاقاته وطريقة تعامله في الحروب والغزوات وسائر حالاته وحالات أهل بيته الأطهار عليهم السلام.

وللتعرف على قيمة وحقيقة وعلل ونتائج الثورة الحسينية المباركة لابد من المرور على سيرة الإمام الحسين عليه السلام وفضائله ومناقبه ومعجزاته وكراماته ومكارم أخلاقه ومحامد أوصافه ومحبوبيته ومكانته الاجتماعية وشهادة أعدائه بمقامه، وغير ذلك مما يرتبط بشخصيته، لكي نحصل على ثواب ذكر فضائله مضافاً إلى التعرف على حقيقة إمام الاحرار بقدر إستعدادنا لتلقي الحقائق.

سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله (١)

١- آية المودة:

« قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » (٢)

روى أحمد بن حنبل في «المسند» و ابو نعيم الحافظ، الشعلي، الطبراني، الحاكم النيشابوري، الرازي، الشبراوي، ابن حجر، الزمخشري، ابن منذر، ابن أبي حاتم، ابن مردويه، السيوطي و جمع آخر من علماء اهل السنة باسانيدهم عن ابن عباس، قال: «لما نزلت هذه الآية، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

فقال لهم: «علي وفاطمة وابناهما» (٣)

وقد نظم في هذا المعنى الشيخ شمس الدين ابن العربي:

رَأَيْتُ وَلَائِي آلَ طَهْ فَرِيضَةً عَلَى رَغْمِ أَهْلِ الْبُعْدِ يُوْرِثُنِي الْقُرْبَا

(١) لا يخفى ان الآيات النازلة في شأن أهل البيت و الشاملة للإمام الحسين عليه السلام كثيرة و لكننا و رعاية للاختصار نتعرض الى ثلاث آيات فقط، و من أراد مزيد الإطلاع فليراجع كتب التفسير و الحديث و من جملة تلك الآيات الأخرى آية ٣٥، ٣٧ من سورة البقرة و الآية ٢٢ سورة الرحمن، و الآية ٢٧ سورة الفجر، و سورة هل أتى و آيات أخرى.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٣) احياء الموات ج ٢، الاتحاف ص ٥، الصواعق ص ١٦٨، الاكلیل ص ١٩١، الغدير ج ٢ ص ٣٠٧، خصائص الوحي المبين ص ٥٥-٥٢، ابن بطريق ف ٩ ص ٢٥-٢٣.

فما طَلَبَ المبعوثُ أجراً على الهدى بتبليغه إلا المودة في القُربى^(١)
 وقال الشافعي في هذا الشأن:
 يا أهل بيتِ رسولِ الله حُبُّكم فرضٌ من الله في القرآنِ أنزلُهُ
 كفأكُم من عَظيمِ القَدرِ أنكُم مَنْ لم يصلْ عليكم لا صلوة له^(٢)

٢- آية التطهير:

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »^(٣)
 وردت احاديث متواترة ومشهورة عند الفريقين - السنة والشيعة - في ان آية التطهير نزلت في مورد اجتماع أشرف شخصيات عالم التكوين ، اي الخمسة أصحاب الكساء والذين صلى و دعا لهم الرسول ﷺ مرات متكررة في بيته وفي بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وفي حجرة ام سلمة وبعض الاماكن الاخرى ، فهذه الآية الشريفة والأحاديث الواردة في تفسيرها تدلُّ بوضوح على عصمة و جلالة شأن الإمام الحسين عليه السلام .

و فيما يتعلق بهذه الآية الشريفة و احاديث الكساء و متونها ، ألفت كتب كثيرة ، و قد نقل قسماً منها بعض الرواة مثل صبيح^(٤) و نقل مسلم و البغوي و الواحدي و الاوزاعي و المحب الطبري ، و الترمذي و ابن الاثير و ابن عبد البر و

(١) الصواعق المحرقة ص ١٧٠ . اسعاف الراغبين ص ١١٩ .

(٢) نظم درر السحطين ص ١٨ . اسعاف الراغبين ص ١٢١ . الاتحاف ص ٢٩ . الصواعق ص ١٤٨ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(٤) اسد الغابة ج ١٣ ص ١١ . الاصابة ج ٢ ص ١٧٥-٣٣-٤ .

احمد و الحموي و الزيني الدحلان و البيهقي و اخرون عن عائشة و ام سلمة و انس و وائلة و صبيح و عمر بن ابي سلمة و معقل بن يسار و ابي الحمراء و عطية و ابي سعيد و ام سليم ، روايات عديدة في هذه الواقعة الجليلة و المنقبة العظيمة .
عن عائشة قالت :

خرج النبي ﷺ ذات غداة و عليه مرط مرجل من شعر فجاء الحسن بن علي فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم جاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم قال : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »

و روى الأوزاعي عن شداد بن عبد الله قال : سمعت وائلة بن الاسقع و قد جرى برأس الحسين عليه السلام فلغنه رجل من اهل الشام و لعن أباه فقام وائلة و قال :
و الله لا أزال أحب عليا و الحسن و الحسين و فاطمة بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول فيهم ما قال ، لقد رأيتني ذات يوم و قد جئت النبي ﷺ في بيت ام سلمة فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى و قبله ثم جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى و قبله ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه ثم دعى بعلي ثم قال « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » (١)

و روى « الدولابي » في « الذرية الطاهرة » عن ام سلمة ان رسول الله ﷺ قال لفاطمة : ائتيني بزوجك و ابنك . فجاءت بهم و أكفأ عليهم كساءً فذكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم إِنَّ هَؤُلَاءِ آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد انك حميد مجيد .

قالت أم سلمة: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم فجذبهُ رسول الله ﷺ وقال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»^(١)

و روى، الحموي نظير هذه الرواية عن وائلة.^(٢)

و روى الواحدي في اسباب النزول و أحمد في المناقب و الطبراني عن ابي سعيد الخدري أن آية «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ» نزلت في حق خمسة اشخاص وهم: رسول الله ﷺ وعلي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.^(٣)

و روى احمد عن أم سلمة مثله.^(٤)

و روى مثله الواحدي^(٥) بسنده عن أم سليم.

وهذه الاحاديث الكثيرة تدل على عصمة سيد الشهداء عليه السلام و أن كل عمل و نهضة تصدر عنه، إنما هي مطابقة للصواب و الحقيقة و قد استدلل السيوطي بهذه الآية و قال: الكلّ يعتبر أن اجماع اهل البيت عليهم السلام، حجة، لان الخطأ رجس و قد نفاه الله عنهم.^(٦)

(١) ذخائر العقبى ص ٢٤. العمدة ف ٩ ص ٢٥. و نقل في الفصل ٨ صفحة ٢٢-١٥ و فصول اخرى احاديث كثيرة عن اهل السنة في اجتماع هؤلاء الخمسة المصطفين.

(٢) فرائد السمطين ج ١ ص ٢٤.

(٣) ذخائر العقبى ص ٢٤. و ذكر فيه طرق هذا الحديث في الصفحات ٢٤-٢١. اسباب النزول ص ٢٦٧.

(٤) السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٦.

(٥) اسباب النزول ص ٢٦٧.

(٦) الأكليل ص ١٧٨؛ و لا يخفى ان أسانيد هذا الحديث في الكتب الشيعية كثيرة جداً، و قد روي متن بعض هذه الأحاديث بنحو مفصل مثل حديث الكساء.

٣- آية المباهلة:

«فَنَ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»^(١)

من جملة الآيات الدالة على 'فضيلة وعلو مقام ورتبة سيّد الشهداء عليه السلام و باتفاق المسلمين هي آية المباهلة الشريفة.

و تعدّ قضية المباهلة بين النبي ﷺ و نصارى نجران من أوضح مظاهر و دلائل قوة ايمان النبي الأكرم ﷺ و تمسكه و اعتقاده برسالته، اذ أن الدعوة الى المباهلة من قبله عليه السلام اذا لم تكن مقرونة بايمانه الراسخ بدعوته، لكانت انتحاراً حقيقياً و سنداً مهماً يبيد أعدائه لابطال رسالته.

إذ إن الأمر لم يكن ليخلو من احدى نتيجتين، إمّا ان يستجاب دعاء النصارى بانزال اللعنة الإلهية على جانب النبي الأكرم ﷺ و إمّا ان لا يستجاب دعاء كلا الجانبين، و في كلتا الحالتين تبطل دعوى الرسول الكريم ﷺ، و لم نعهد عاقلاً ادّعى النبوة قد اقترح مثل هذا الاقتراح و التحدي الا اذا كان على يقين و اطمئنان تامين من استجابته دعائه في هلاك اعدائه، و قد كان النبي محمد ﷺ حاملاً لمثل هذا اليقين، و لذا قام بكل جرأة و شجاعة بمثل هذا الاقتراح، و هذا الثبات و الطمأنينة هو الذي أجبر خصمه على الانسحاب.

كما ان إشراك الإمام عليّ و الحسن و الحسين و فاطمة الزهراء عليهم السلام في المباهلة بامر من الله تعالى، لخير دليل على أن هؤلاء النفر الأربعة هم خير خلق

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

الله تعالى وأعزّ الناس على قلب رسول الله ﷺ.

أجل، لقد كانت آية المباهلة اعلان جلاله ومقام هؤلاء الأطهار وقربهم من الله تعالى ومن ثمّ كانت هذه الفضيلة واحدة من أهمّ فضائل الإمام الحسين حيث إنتخب من بين كلّ الامة الإسلامية، اطفالها وشبانها وشيوخها رجالاً ونساءً، ليكون أحد دعائم هذه القضية التاريخية والمنعطف العقائدي الخطير، بمعية أمّه وأبيه وأخيه.

وفي الوقت الذي نجد أنفسنا في غنى عن ذكر المصادر والمراجع التي نقلت هذه الحادثة لكبار مفسري ومحدثي ومورخي المسلمين الاّ أنّنا سنذكر طرفاً منها ليراجعها من أراد الوقوف على المزيد من حقائقها: تفسير الطبري، البيضاوي، النيشابوري، الكشف، الدر المنثور، اسباب النزول للواحدي، الاكليل للسيوطي، مصابيح السُنّة، سنن الترمذي وكتب اخرى.

سِمَاتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ الْكَارِمِ ﷺ

١- الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

روى أحمد بن حنبل في مسنده، البيهقي في سننه، الطبراني في الاوسط و في الكبير، ابن ماجه في السنن، السيوطي في الجامع الصغير و الحاوي و الخصائص الكبرى، الترمذی في سننه، الحاكم في المستدرک، ابن حجر في الصواعق، ابن عساكر في تاريخ دمشق، ابن حجر العسقلاني في الإصابة، ابن عبد الله في الاستيعاب، البغوي في مصابيح السنة، ابن الاثير في أسد الغابة، الحموي في الشافعي في فرائد السمطين، أبو سعيد في شرف النبوة، و المحب الطبري في ذخائر العقبى، ابن السمان في الموافقة، النسائي في خصائص امير المؤمنين، ابو نعیم في الحلیة، الخوارزمي في المقتل، ابن عدي في الكامل، المناوي في كنوز الحقائق، و اخرون عن النبي الأعظم ﷺ انه قال: «الحسن و الحسين سيدا شباب اهل الجنة».

و هذا الحديث روي باسناد عديدة عن جمع من كبار الصحابة كعلي بن ابي طالب عليه السلام، ابن مسعود، حذيفة، جابر، ابوبكر، عمر، عبد الله بن عمر، قرّة، مالك بن الحويرث، بريده، ابي سعيد الخدري، ابي هريرة، اسامه، براء، و أنس و غيرهم.

و يستفاد من مجموع ذلك أنّ النبي ﷺ قد عرّف الحسن و الحسين عليهما بهذه الصفة مرات متكررة، و ان صدور هذا اللفظ «الحسن و الحسين سيدا شباب اهل الجنة» عن رسول الله ﷺ متواتر و مسلّم و مشهور و معروف عند المسلمين، كما أنّ

متن اكثر الاحاديث هو هذا اللفظ . و ورد في بعضها : « إِنَّ مُلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ هَبَطَ عَلَيَّ وَ لَمْ يَكُنْ قَدْ هَبَطَ قَبْلَ ذَلِكَ وَ بَشَّرَنِي بِأَنْ ابْنَتِي فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نَسَاءِ أُمَّتِي وَ أَنْ حَسَناً وَ حُسَيْناً سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ »

و في بعضها اضافة : « وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهَا »

و في بعض طرق هذا الحديث ذكرت فضائل اخرى لأهل البيت عليهم السلام .^(١)

٢- الحسين حبيب رسول الله ﷺ

« حُسَيْنٌ مِنِّي وَ أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ »

كان حبُّ رسول الله للحسن و الحسين عليه السلام حبّاً مميّزاً ، و كان صلوات الله و سلامه عليه يظهر ذلك الحب و يفصح عنه في مناسبات عديدة .

و قد اتفقت الروايات و التاريخ على أَنَّ حبَّ النبي لهؤلاء الاطهار لم يكن حبَّ الابِّ لأبنائه فحسب بل كان حبه يتعدى ذلك فجذور هذا الحب تمتد الى وحدة سنخية أرواحهم و اتصا لهم المعنوي الراسخ و توافقهم الفكري العميق ، الذي يعبر عنه النبي ﷺ :

(١) سنن ابن ماجه ج ١ باب فضل اصحاب رسول الله ﷺ - ص ٥٦ . الجامع الصغير ج ١ ص ٧ و ص ١٥٢ . الصواعق ص ١٨٥ و ص ١٨٩ . الاصابة ص ٣٣٠ . الترمذی ج ١٣ ص ١٩١ و ص ١٩٢ . مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨٠ . الحاوي ج ٢ ص ٤٥٧ . فرائد السمطين ص ٣٥ . درر السمطين ص ٢٠٥ . ذخائر العقبی ص ٩٣ و ص ١٣٩ . خصائص النسائي ص ٤٨ و ص ٤٩ و ص ٥٣ و حلية الأولياء ج ٥ ص ٧١ . مقتل الخوارزمي ف ٦ ص ٩٢ . الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٦٥ . مطالب السؤل ص ٦٥ . تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ٩٧ .

«إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»

او كما جاء في حديث زيد بن ارقم:

«أَنَا سَلِمٌ لِمَنْ سَالَتُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ»^(١). و تعابير اخرى كلها تدل على

تفسير و ترجمة هذا الحب و العلة الثابتة بينهم، البعيدة عن المجاملات و المبالغات.

إنه اتصال واقعي روحي و وحدة فكرية و أخلاقية و عقائدية تدعو النبي

الاکرم ﷺ الى ان يعبر بهذا التعبير «أَنَا سَلِمٌ لِمَنْ سَالَتُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ

حَارَبْتُمْ» فالجملة صريحة في وحدة التفكير و السلوك و الاساليب بينهم و بين النبي

الاکرم صلوات الله عليهم اجمعين، و انه لا اختلاف و لا تفاوت بينهما في هذه

الجهات ابداً و بذلك فقط يصير سلمهم و حربهم، سلم و حرب رسول الله ﷺ.

و نحن اذ نطالع هذه الاخبار و الاحاديث التي تحكي لنا شدة ارتباط النبي

بالحسين عليهم السلام، يجب ان لا تغفل عن ان هذه الكلمات تصدر عن خير انبياء

الله و سيدهم، و عن رجل قضى حياته ماقترأ للمجاملات الكاذبة و الإطراءات

الخادعة و التملقات الرخيصة، بل كانت خطابات و سلوكه و افعاله كلها حجة

للبرية، و قوانين و شرائع للإنسانية، فكان كل ما يقوله ترجمة للحقيقة.

لقد كان لرسول الله ﷺ بنات غير فاطمة عليها السلام و كان له ابناء عمومة غير

علي عليه السلام، فلماذا خص حنانه و محبته المتميزة لهاذين و ابنائها دون سائر اقربائه؟

ولماذا اختار هؤلاء من دون سائر اصحابه؟

كل ذلك بسبب أن هؤلاء الاربعة كانوا يجسدون صفاته و اخلاقه و كمالاته

الروحية.

(١) سنن ابن ماجه ج ١ باب: فضل اصحاب رسول الله ﷺ ص ٦٥. سنن الترمذي ج ١٣

اذن، فافضل معرّفٍ و دليل للفرد المؤمن على عظمة الإمام الحسين عليه السلام و فضله هو نفس هذا الخطاب النبوي الشريف .

و من جملة الأحاديث الحاكية عن هذا الارتباط و التعلق الشديد لرسول الله ﷺ بالحسين عليه السلام هو حديث يعلى بن مرّة إنه خرج مع رسول الله ﷺ الى طعام دعي اليه فإذا حسين عليه السلام يلعب مع الغلمان في طريق فاستنل رسول الله ﷺ أمام القوم ثم بسط يده و جعل الصبي يفرّ هاهنا و هاهنا فأخذه فقال: « اللهم إني أحبه حسين سبط من الاسباط . » (١)

و رواه البخاري و الترمذي و ابن ماجه و الحاكم بهذا النص :
« حُسَيْنٌ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا . الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الْإِسْبَاطِ » (٢)

و روى الشرباصي حديث النبي ﷺ :
« حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْإِسْبَاطِ وَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ »
ثم قال نقلاً عن القاموس : معنى السبط ، الجماعة و القبيلة ، و قد يُريد النبي بذلك ان الحسين في مرتبته و رفعة أمّة كاملة ، أو أن أجر الحسين و ثوابه كأجر أمّة كاملة لعظمة فضيلته و عظمة ما قام به عليه السلام . (٣)

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٥ . مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨١ . الترمذي ج ١٣ ص ١٩٥ و ١٩٦ . اسد الغابة ج ٥ ص ١٣٠ و ٥٧٤ و ج ٢ ص ١٩ . كنز العمال ج ٦ ص ٢٣٣ و ج ٣ ص ٣٩٥ . مطالب السؤل ص ٧١ .

(٢) الجامع الصغير ج ١ ص ١٤٨ . كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٣ ح ٣٩٥٣ . امالي الشريف المرتضى ج ١ ص ٢١٩ .

(٣) راجع حفيد الرسول ص ٤٠ .

و روى الشيلنجى وابن عبد البر ومسلم عن ابي هريرة، عن النبي ﷺ قال
في حق الحسن والحسين عليهما السلام:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»^(١)

و روى البغوي والترمذي وسيد احمد الزيني وابن الاثير والنسائي عن
أسامة قال: ان رسول الله ﷺ قال في الحسن والحسين عليهما السلام:

«هَذَانِ ابْنَايَ وَإِنِّي أَلْتَمِسُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»

و روى الترمذي أن النبي ﷺ قال:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»^(٢)

و روى الترمذي والبغوي عن أنس ان النبي ﷺ سئل عن أحب أهل بيته اليه
فقال: الحسن والحسين.

ونقل السيوطي والمناوي ان النبي ﷺ قال:

«أَحَبُّ أَهْلِ بَيْتِي إِلَيَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ»^(٣)

و روى الترمذي والبغوي عن انس ان النبي ﷺ كان يقول لفاطمة عليها السلام:

«أَدْعُ إِلَيَّ ابْنَيْ فَيْسَمُهُمَا وَيَضُمَّهُمَا إِلَيْهِ»^(٤)

و روى أحمد بن حنبل ان النبي ﷺ كان يقول:

(١) الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٦. نور الابصار ص ١٠٤. السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٨.

(٢) مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨٠. الترمذي ج ١٣ ص ١٩٢ و ص ١٩٣ و ص ١٩٨. اسد الغابة ج ٢
ص ١١. خصائص النسائي ص ٥٢-٥٣.

(٣) مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨١. الترمذي ج ١٣ ص ١٩٤. الجامع الصغير ج ١ ص ١١. كنوز
الحقايق ج ١ ص ١١.

(٤) ذخائر العقبى ص ١٤٣. نور الابصار ص ١١٤.

« أَللّهُمَّ إِنِّي أَحَبُّ حُسَيْنًا فَأَحِبَّهُ وَأَحَبُّ مِنْ يُحِبُّهُ »^(١)

و روى ابن أبي شيبه ان النبي ﷺ كان يقول في حق الحسن والحسين:

« اللّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَابْغُضْ مَنْ يُبْغِضُهُمَا »^(٢)

و روى الصّبان عن أبي هريرة قال:

« رأيت رسول الله ﷺ يَمْتَصُّ لِعَابِ الْحُسَيْنِ كَمَا يَمْتَصُّ الرَّجُلُ الثَّمَرَةَ »^(٣)

و روى المحب الطبري عن ابن بنت منيع وهو عن يزيد بن أبي زياد انه قال:

خرج النبي من بيت عائشة فرأى بدار فاطمة وسمع الحسين يبكي فقال:

« أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ بَكَاءَهُ يُؤْذِينِي »^(٤)

ونكتفي بما نقلناه عن سرد أمثال هذه الاحاديث وهي كثيرة، وسيظهر لنا

مما سنرويه في الفصول اللاحقة مدى عمق وشدة حب النبي ﷺ للإمام الحسين عليه السلام.

٣- الحُسَيْن رِيحَانَةُ النَّبِيِّ ﷺ

روى ثلثة من كبار محدثي اهل السنّة عن علي عليه السلام وابن عمر وأبي هريرة و

سعيد بن راشد و ابي بكر، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

« الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا »

وفي لفظ آخر:

« الْوَلَدُ رِيحَانَةٌ وَرِيحَانَتِي الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ »

(١) كنوز الحقائق ج ١ ص ٤٤.

(٢) كنوز الحقائق ج ١ ص ٤٤.

(٣) اسعاف الراغبين ص ١٨٢.

(٤) ذخائر العقبى ص ١٤٣. نور الأبصار ص ١١٤.

وفي لفظ آخر:

« إِنَّ ابْنِي هَذَيْنِ رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا »

وفي آخر:

« هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا »

و من اختلاف الألفاظ يظهر لنا جلليا صدور هذا المضمون مراراً و تكراراً

من النبي ﷺ^(١)

و روى سعيد بن راشد ان الحسن و الحسين اقبلا الى النبي ﷺ فضمهما اليه و

قال:

« هَذَانِ رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُمَا »^(٢)

و روى المناوي عن الديلمي في فردوس الاخبار ان النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام:

« سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا الرِّيحَانَتَيْنِ »^(٣)

اضف الى هذه الاحاديث ما ورد عنه عليه السلام مثل قوله:

« أَوْصِيكَ بِرِيحَانَتِي خَيْرًا »^(٤)

ولكننا أعرضنا عن ذكرها رعاية للاختصار.

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٨٨. الترمذي ج ١٣ ص ١٩٣. اسد الغابة ج ٢ ص ١٩. الإصابة

ج ١ ص ٣٣٢. مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨٠-٢٧٩. كنوز الحقائق ج ١ ص ٦٣ و ص ٦٧ و

ج ٢ ص ١٥١. خصائص النساء ص ٥٤. كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٠ ح ٣٨٧٤ و ص ٢٢١

ح ٣٩١٢. نظم درر السمطين ص ٢١٢. مطالب السؤل ص ٥٦. الصواعق ص ١٩١.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٢٤.

(٣) كنوز الحقائق ج ١ ص ١٤٥.

(٤) تاج العروس ج ٢ ص ١٤٥. نهاية ابن الأثير.

٤- الحسين عليه السلام أشبه أهل البيت بالنبي صلى الله عليه وآله

روى البخاري وابن الاثير أنه عندما جي براس الحسين عليه السلام لابن زياد لعنه الله و وضع بين يديه في طست ، اخذ ابن زياد يضرب الرأس الشريف بعمود خيزران ويقول : اسرع اليك الشيب يا ابا عبد الله . فقال له أنس : انه اشبه اهل بيته برسول الله صلى الله عليه وآله (١)

ونقل في « البدء و التاريخ » ان عبيد الله بين زياد كان يضرب الرأس الشريف ويقول : لم أرَ وجهاً أجملَ منه « فقال له انس بن مالك : إعلم انه شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله (٢)

٥- النبي صلى الله عليه وآله يُقَبَّل الحسين عليه السلام

ان تقبيل الأولاد هو احد مظاهر المحبة و ترجمة العاطفة الجياشة للوالدين تجاه أولادهم .

لقد كانت امثال هذه التعابير عن العاطفة و الاحاسيس الشفافة معدومة في الجاهلية عند العرب قبل شروق شمس الإسلام و الهداية ، حيث كان العرب يعتبرون الرأفة و الشفقة و المحبة و العطف لوناً من ألوان الضعف ، بينما كانوا يتفاخرون بقساوة القلب . و من اوضح مظاهر قساوة القلب عندهم هي ظاهرة وأد البنات حيث كان الاب يدفن ابنته و هي حيّة .

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٨٨ . اسد الغابة ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) البدء و التاريخ ج ٦ ص ١١ .

وكان تقبيل الولد وخاصة البنت يُعدّ عاراً عندهم، كما ان حمل الولد امام الانظار يُعدّ عندهم ضعفاً وكسراً للهيبة وخرقاً للحشمة الكاذبة المصطنعة التي كان المتكبرون منهم يصفونها على أنفسهم.

ولما كان النبي الأكرم ﷺ رحمة للعالمين ومبرأً ومنزهاً عن الرياء والنفاق، وكان ساعياً لبسط الرحمة والرأفة والإحسان والمحبة بين الناس وداعياً للآثار ونشر الفضائل وتقوية العواطف الخيرة، لذا نجد انه كما كان مظهرًا لتعاليم كمال العواطف الإنسانية لسائر المسلمين، فكذلك كان في اهل بيته، فقد وصلت احساسه وعواطفه النبيلة تجاه ابنته فاطمة عليها السلام وأبنائها حد الكمال، وكان يرى ان وجود الحسن والحسين عليهما السلام امتداداً لوجوده الكريم، وان بقاءهم وحياتهم بقاءه وحياته.

تقول «بنت الشاطي» الدكتورة المصرية والاساتذة في جامعة عين شمس موضحة جانباً من جوانب حبّ وعاطفة النبي ﷺ تجاه ابنة ابنته العزيزة فاطمة عليها السلام في فصل مستقل من كتابها - بنات النبي ﷺ :

و احتفلت مدينة الرسول ﷺ بمولد «الحسن عليه السلام» و تصدق جده ﷺ على الفقراء من أهلها بزنة شعره فضة. ثم راح يرقب تفتح الحياة في هذه الفلذة الغالية منه، فما بلغ الوليد من العمر عاماً وبعض عام، حتى أردفته أمه الزهراء عليها السلام بشقيقه «الحسين عليه السلام» في شهر شعبان، سنة أربع من الهجرة.

و تفتح قلب النبي ﷺ لهذين الحفيدين الغاليين يملآن حضن أم أبيها «الزهراء عليها السلام»، و رأى فيها امتداداً لحياته الخاصة على هذه الأرض، و متنفساً لما يفيض به قلبه الكبير من عاطفة الأبوة التي يثست من الولد منذ ماتت خديجة عليها السلام. و بدا أن قد انقطع خلف محمد بن عبد الله، إلا أن يكون عن طريق ابنته

«الزهران عليه السلام».

فلا عجب أن أقبل الرسول على سبطيه «الحسن والحسين عليه السلام» يغمرهما بكل ما امتلأ به قلبه الكبير من حب وحنان، ويفيض عليهما من عاطفة الأبوة ما شاء له الحرمان من الولد، على كثرة من تزوج من النساء. بل لا عجب أن دعاهما ابنه، فعن أنس بن مالك أنه عليه السلام «كان يقول لفاطمة عليها السلام :

«ادع لي ابني. فإذا ما جاء اليه شمهها وضمهها».

ونقل الترمذي في سننه عن «أسامة بن زيد» أنه قال :

طرقت باب النبي عليه السلام في بعض الحاجة، فخرج رسول الله وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت عن حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟

فكشفه، فإذا الحسن والحسين عليه السلام، وقال :

«هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما».

وكان اسماهما عليه السلام بالنعمة حلوة في فم أبي الزهران عليه السلام، يستعذ بها ولا يمل من ترديدها، وفيها كان يجد أنسه وسلوته عمن فقد من الأبناء!

لقد آثر الله الزهران بالنعمة الكبرى، فحصر في ولدها ذرية نبيه المصطفى عليه السلام، وحفظ بها أشرف سلالة عرفتها العرب منذ كانت.

كما كرم الله وجه «علي عليه السلام»، فجعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء، فكان له من هذا الشرف مجد الدهر وعزة الأبد.

ولعل محمداً عليه السلام لو خير أي بناته تكون وعاء لنسله الطهور، وأي أصهاره يكون أباً لأهل البيت الشريف، لأختار ما اختاره الله له!

فعلي أقرب أصهاره إليه مكاناً وأمسهم رحماً، في عروقه يجري الدم الهاشمي

الأصيل، وعند عبد المطلب يلتقي نسبه بنسب الرسول، فكلاهما له حفيد!
وليس بمستغرب بعد هذا، أن يعي الزمن من آيات حب الرسول ﷺ
للزهاء عليه السلام وعلي عليه السلام وبنيهما عليهما السلام، ما نستطيع معه أن نتمثله ﷺ وهو يرنو إلى بيت
صهره «علي عليه السلام» كلما مرَّ به، وقلبه الكريم يخفق حباً وحنواً، فاذا وجد من وقته
سعة، عرج على دار الأحبة، فأسعد أهلها بعطفه، وأسبغ على حفيديه فيضا من
حنانه الغامر!

وعاشت له فاطمة عليها السلام، كما عاش بنوها يملئون دنيا الرسول بهجة وأنسا، و
يرضون فيه عاطفة الأبوة التي آدها ثكل البنين والبنات، ولم يبق لها إلا هذه البنت
الحبيبة، تعوض أباها عن فقد، وتعزيه عن غاب. (١)

وروى ابن عبد البر القرطبي عن أبي هريرة قال: قال أبو هريرة:
أَبْصَرْتُ عَيْنَيَّ هَاتَانِ وَسَمِعْتُ أُنْذَنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِكَفِّي حُسَيْنٍ
وَقَدَمَاهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: تَرَقَّى عَيْنَ بَقَّةٍ، قَالَ: فَرَقِيَ الْغُلَامُ حَتَّى
وَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: افْتَحْ فَاكُ. ثُمَّ قَبَّلَهُ ثُمَّ قَالَ:
«اللَّهُمَّ أَحِبَّهُ فَاَنِّي أَحِبُّهُ» (٢)

(١) بنات النبي ص ٢٥٣-٢٤٤- بنت الشاطبي.

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ١٨٢ و ص ٣٨٣. السيوطي في الجامع الصغير ج ٣ ص ١٨٤ نقلاً عن
الخطيب عن وكيع في الفرر وابن سني في عمل اليوم والليلة، وكذلك عن أبي عساكر عن أبي
هريرة ونقل الحديث بهذا اللفظ: «حُرُقَةُ حُرُقَةُ مَرَقَّى عَيْنَ بَقَّةٍ» ورواه ابن منظور في لسان
العرب بهذا اللفظ أيضاً ومن كلامه يستفاد ان النبي ﷺ كان يلاطف الحسنين مراراً بهذا
النحو.

و «الحُرُقَةُ» بفتح الحاء وضم الزاء أو بضمها معاً، كلمة تقال للشخص الضعيف الصغير

روى العلابي هذا الحديث وقال: إِنَّ «عَيْنَ بَقَّةٍ» كلمة تؤثر في روح الطفل و تدخل عليه البهجة و الطراوة.

ثم يقول: ولقد كان النبي ﷺ من رواء العاطفة كما يمده من رواء النبوة، و يغمره بالحب و يسقيه من نَبْعة الشعور، حتى يجيء حَقًّا قدسياً لمعنى قدسي، يقدم فيه المثاليَّة العظمى التي يَشُدُّها الانسان بالجدِّ، فلا يخوض منها إلا في السَّراب و الآل، و فيما يقص أبو هريرة شكل من أشكال تَخْلِيْق النبي ﷺ للحسين عليه السلام تخليقاً مثالياً، قال في حديث له «أبصرت عيناى هاتان و سمعت أذناى رسول الله ﷺ، و هو آخذ بكفى حسين عليه السلام و قدماه على قدم رسول الله ﷺ و هو يقول ترق ترق عين بقة، فرق الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ افتح فاك ثم قبله، ثم قال:

«اللهم أَحِبَّهُ فَإِنِى أَحِبُّهُ.»

فالنبي ﷺ خَتَمَ في نفس الغلام، على ما استودع من معاني نفسه الكبيرة بقبلة ناعمة، ثم قال يدعو اللهم أحبه فإنى أحبه، كأنه قال للناس مشيراً إلى غلامه، أنا هنا.

والحب لا يكون حباً إلا إذا صاحبه الاصطفاء والاستخلاص، وأما إذا جاء دونها فأنما هو شيء من طَفَحِ العاطفة، فلا تبالى أنى وقعت. فالنبي ﷺ يحب حسيناً حقيقة الحب لأنه مصطفاه، و الله يحبه لأن النبوة تركت به شَفَقاً يعترض الأفق في مفرق الغروب. (١١)

→ قصير القدمين، و تَرَقَّى بمعنى إصعد، و عَيْنَ بَقَّةٍ كناية عن الصغر كما ذكر ذلك العلابي، و هذه الجملة تقوها العرب لملاعبة الاطفال و ملاطفتهم.

(١١) سُمُو المعنى في سُمُو الذات ص ٧٧-٧٦ - العلابي.

و نقل ابن الاثير و السبط ابن الجوزي و الطبري قال ابو مخنف :

« حدثني سليمان بن ابي راشد ، عن محمد بن مسلم ، قال : دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى اهلك لأبشرهم بفتح الله عليه و بعافيته ، فأقبلت حتى أتيت أهله ، فاعلمتهم ذلك ، ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس و أجد الوفد قد قدموا عليه ؛ فأدخلهم . و أذن للناس ، فدخلتُ فيمن دخل ، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، و إذا هو يَنكُتُ بقضيب بين ثنيتيه ساعةً ، فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجم عن نكته بالقضيب ، قال له : « أعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالذي لا إله غيره لقد رأيتُ شَفَتي رسولِ الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما » ثم انفضح الشيخُ يبكي ؛ فقال له ابن زياد : أبكى الله عينك ! فوالله لولا أنك شيخ قد خَرَفَتْ و ذهب عقلك لضربتُ عنقك . قال : فنهض فخرج ، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون : و الله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعته ابن زياد لقتلَه . قال : فقلت : ما قال ؟ قالوا : مرّ بنا و هو يقول : ملكٌ عبدٌ عبداً ، فاتخذهم تُلداً . أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، و أمرتم ابن مُرجانة فهو يقتل خياركم ، و يستعبد شراركم ، فرضيتُم بالذلّ ، فبعداً لمن رضي بالذلّ !^(١)

و نقل في « البدء و التاريخ » ان يزيداً أمر ان يوقفوا نساء الحسين عليه السلام و بنات الرسالة بباب المسجد حيث يحبس الأسارى كي يتفرج الناس عليهم و وضع رأس الحسين بين يديه و أخذ يضربه بعمود الخيزران أو بالسيف و يقول :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهْدُوا جَزَعِ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ

(١) اسد الغابة ج ٢ ص ٢١ . تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٩ . الكامل ج ٣ ص ٢٩٨ . تاريخ ابي

الفداء ج ٢ ص ١٠٦ . تذكرة الخواص ص ٢٦٧ .

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ولقالوا يا يزيدُ لا تشل^(١)

روى ابن الاثير والترمذي والطبري عن ابي برزه وهو من أصحاب رسول الله ﷺ انه قال ليزيد :

« أَتَنْكُتُ بِقَضِيكَ فِي ثَغْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟! أَمَا لَقَدْ أَخَذَ قَضِيَّكَ مِنْ ثَغْرِهِ مَا خَذَأُ ، لَرُبَّمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَرْشِفُهُ ، أَمَا أَنْكَ يَا يَزِيدُ تَجِيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَابْنَ زِيَادٍ شَفِيعَكَ ، وَيَجِيَّ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَفِيعَهُ . ثُمَّ قَامَ فَوَلَّى . »^(٢)

٦- النبي الاكرم ﷺ يحمل الحسين عليه السلام على كتفه

وردت روايات كثيرة في أن النبي محمد ﷺ كان يحمل الحسين عليه السلام على كتفه وعلى صدره ، وقد روى اهل السنة ذلك أمثال ابن حجر العسقلاني عن ابي هريرة ، وعبد الله البغوي عن شداد و ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود ، و ابو حاتم عن عبد الله و جابر و ابن ابي الغراء عن انس ، وروا هذا المعنى من تعلق النبي العاطفي و الروحي بولديه الحسن و الحسين عليه السلام .^(٣)

و يُستفاد من جملة الاحاديث تكرر حمل النبي ﷺ الحسن و الحسين على كتفه ، و كذلك ارتقاءهما ظهر رسول الله ﷺ حال الصلاة و هما صبيّين . و عُرِفَ أَنَّ النبي ﷺ كان يؤخر رفع رأسه من السجود حتى ينزل الحسن أو الحسين عن كتفه ،

(١) البدء و التاريخ ج ٦ ص ١٢ .

(٢) الكامل ج ٢ ص ٢٩٩ . اسد الغابة ج ٥ ص ٢٠ . الترمذي ج ١٣ ص ١٩٧ . الطبري ج ٤ ص ٣٥٦ .

(٣) الاصابة ج ١ ص ٣٣٠ الحديث ١٧١٩ . الجامع الصغير ج ٢ ص ١١٨ . ذخائر العقبى ص ١٢٣ و ص ١٣٢ .

بل ويستفاد من بعضها توبيخُ النبي ﷺ لمن لا يعرف قدر الحسن والحسين عليهما السلام .
وفي هذا السياق روى أبو سعيد في «شرف النبوة» عن عبد العزيز بأسناده
عن النبي ﷺ قال :

كان رسول الله ﷺ جالساً فاقبل الحسن والحسين فلما رآهما ﷺ قام لهما و
استبسطأ بلوغهما إليه فاستقبلهما وحملهما على كتفيه وقال : «نِعْمَ المَطِيُّ مَطِيَّكُمَا ونِعْمَ
الرَّاكِبَانِ أَنْتُمَا» (١)

و روى الشبلنجي ان النبي ﷺ مرَّ بالحسن والحسين عليهما السلام وهما
يلعبان فطأ طأ لهما عنقه وحملهما وقال : نعم المَطِيَّة مَطِيَّتُهُمَا ، ونعم الراكبان هما . (٢)
و روى جمال الدين الحنفي والترمذي وابن حجر عن ابن عباس قال :
«أقبل النبي ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقى رجل ، فقال : نعم المركب
ركبتَ يا غلام ، فقال رسول الله ﷺ : «نعم الراكب هو» . (٣)
و روى الزرندي عن عُمر و جابر وسعد وأنس روايات أخرى في هذا
المعنى (٤) .

٧- حُبُّ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَرَضٌ

إنَّ الاحاديث التي وردت في وجود حُبِّ الحسين عليه السلام بلغت حدَّ التواتر فقد
روى ابن عبد البر و أبو حاتم و المحب الطبري عن عبد الله بن عمر ان النبي ﷺ قال :

(١) ذخائر العقبى ص ١٣٠ .

(٢) نور الأبصار ص ١٠٩ .

(٣) الترمذي ج ١٣ ص ١٩٩-١٩٨ . نظم درر السمطين ص ٢١٢ . الصواعق ص ١٣٥ .

(٤) نظم درر السمطين ص ٢١٢-٢١١ .

« من أحببني فليحب هاذين » يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال ابن عبد البر: وروى مثل هذا الحديث في المعجم البغوي عن شداد بن الهاد. (١)

و روى الدولابي واحمد بن حنبل عن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يستبقان الى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده في عنقه فضمه الى بطنه ﷺ وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال: « إني أحبهما فاحبوهما » (٢)

٨- فضل حب الحسين عليه السلام و عقاب من أبغضه

روى ابن ماجه، ابن حجر، الديلمي، المناوي، احمد، الحاكم، السيوطي، ابن حجر الهيتمي، هارون الرشيد عن آبائه عن ابن عباس، المحب الطبري، ابو سعيد ابن حرب الطائي، السلفي، ابو طاهر البالسي، ابن السري و ابن الجوزي عن النبي الاكرم ﷺ قال:

« مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي »

وهذا الحديث مشهور ومعروف بين المحدثين، وبعض طرقه تنتهي الى ابي هريرة ومضمونه ان النبي خرج ذات يوم ومعه الحسن والحسين على كتفه يقبل مرة هذا ومرة هذا حتى وصل عندنا فقال: من أحب هذين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني

(١) الاصابة ج ١ ص ٣٣٠ ح ١٧١٩. ذخائر العقبى ص ١٢٣.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٢٣.

و قد نقل بعض الرواة المقطع الاول فقط ، ونقله بعضهم الآخر هكذا :

« هَذَا إِنِّي مَن أَحَبَّهَا فَقَدْ أَحَبَّنِي »

و في أحد الحديثين الذين رواهما هارون الرشيد في هذا الموضوع جاء :

« الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ مَن أَحَبَّهُمَا فِي الْجَنَّةِ وَ مَن أَبْغَضَهُمَا فِي النَّارِ »^(١)

و روى الترمذي و احمد ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وَ حُسَيْنٍ

فَقَالَ : مَن أَحَبَّنِي وَ أَحَبَّ هَذَيْنِ وَ آبَاهُمَا وَ أُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . «^(٢)

و روى الطبراني عن سلمان ان النبي ﷺ قال :

« مَن أَحَبَّ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ أَحَبَّنِي وَ مَن أَحَبَّنِي أَحَبَّهُ اللَّهُ وَ أَدْخَلَهُ النَّعِيمَ وَ

مَن أَبْغَضَهُمَا أَوْ بَغَى عَلَيْهِمَا أَبْغَضْتُهُ وَ مَن أَبْغَضْتُهُ أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَ أَدْخَلَهُ جَهَنَّمَ وَ لَهُ

عَذَابٌ مُّقِيمٌ »^(٣)

٩- النَّظَرُ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

روى ابن حبان ، ابو يعلى ، ابن عساكر ، ابن سعيد ، المحب الطبري ، الشبلنجي

و الصَّبَّانُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْانصَارِيِّ قَالَ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَن أَحَبَّ (أَوْ مَن سَرَّهُ) أَنْ يَنْظُرَ إِلَى سَيِّدِ شَبَابٍ

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٦ . الاصابة ج ١ ص ٣٣٠ حديث ١٧١٩ . كنوز الحقائق ج ٢ ص

٩٤ . الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦٠ . الصواعق ص ٩٠ . تاريخ الخلفاء ص ١٩٤ . مسند أحمد

ج ٢ ص ٢٢٨ . ذخائر العقبى ص ١٢٤-١٢٣ . نظم درر السمطين ص ٢١٠ . مطالب السئول

ص ٧١ .

(٢) سنن الترمذي ج ١٣ ص ١٧٦ . الصواعق ص ١٨٧ . السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٨ . كنز العمال

ج ٦ ص ٢١٦ حديث ٣٧٨٢ .

(٣) كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢ ح ٣٩١٦ .

أهل الجنة فليَنظُرْ الى هذا»

و روى ايضا عن جابر بهذا اللفظ :

« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَوْفِي لَفْظٍ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ

الجنة فليَنظُرْ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ »^(١)

١٠- محبّو الحسين عليه السلام في الجنة

روى في «سيرة الملائكة» عن ابن عباس حديثاً طويلاً عن النبي صلى الله عليه وآله في فضائل

الحسين عليه السلام يقول في آخره «أن الحسن والحسين عليهما السلام وعمهما وعمتهما في الجنة، و

من أحبهما في الجنة ومن عاداهما في النار»

و رواه في «نظم درر السمطين» عن هارون الرشيد و ذكر ان هارون كلما

ذكر هذا الحديث جرت دموعه و خنقته العبرة»^(٢)

و روى نظيره صاحب كتاب «السنة» عن حذيفة.^(٣)

١١- دَرَجَةُ الْوَسِيلَةِ

روى ابن مردويه عن علي عليه السلام أن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قال :

« فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةٌ تُدْعَى الْوَسِيلَةَ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوا إِلَى الْوَسِيلَةِ . قَالُوا : يَا

رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَكَنَ مَعَكَ فِيهَا؟ قَالَ : عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ »^(٤)

(١) نور الابصار ص ١١٤ . ذخائر العقبى ص ١٣٠ . اسعاف الراغبين ص ١٨٢ .

(٢) هذا اعتراف صريح من اهل الباطل على حقانية اهل الحق .

(٣) ذخائر العقبى ص ١٣١ . نظم درر السمطين ص ٢٠٧ و ص ٢١٣ .

(٤) كنز العمال ج ٦ ص ٢١٧ ح ٣٨١٦ . أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٣ .

١٢- الحسين عليه السلام مع النبي في درجته

روى احمد و الطبراني و ابن الاثير عن علي عليه السلام و الحاكم في مستدركه عن ابي سعيد إن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام :

« يَا فَاطِمَةُ إِنِّي وَ إِيَّاكَ وَ هَذَا الرَّاقِدُ (يعني علياً) وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَنِي مَكَانٍ وَاحِدٍ »^(١)

و روى الطبراني عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وآله قال :
 « أَنَا وَ عَلِيٌّ وَ فَاطِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قُبَّةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ »^(٢)
 و روى عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
 « أَنَا وَ عَلِيٌّ وَ فَاطِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ فِي قُبَّةٍ بِيضَاءَ وَ سَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ »
 و مثله عن ابي هريرة^(٣)

١٣- وُجُوبُ نُصْرَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام

ان هذه المفردة مستفادة بوضوح من الاحاديث السابقة وكذا فيما سيأتي منها ، ولو أنَّ امثال عبد الله بن عمر و عبد الله ابن الزبير و غيرهم ممَّن تيقنوا عدم شرعية حكومة يزيد ، كانوا قد نصروا الحسين عليه السلام ، لكان وضع الامة الإسلامية اليوم غير الذي هي عليه وهذه من اكبر الاشكاليات على اولئك النفر من المسلمين .

(١) كنز العمال ج ٦ ص ٢١٦ ح ٣٧٩٣ .

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٢١٧ ح ٣٧٩٨ . فرائد السمطين ج ١ ص ٣٦ .

(٣) فرائد السمطين ج ١ ص ٣٦ .

وقد روى أنس بن الحارث بن نبيه - وهو أحد شهداء كربلاء مع الحسين عليه السلام - عن أبيه - وهو من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - من أهل الصفّة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مشيراً إلى الحسين الذي كان في حجره:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْعِرَاقُ فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَنْصُرْهُ»^(١)

ورواه السيوطي عن البغوي، ابن عساكر و الباوردي و ابن منده و ابن السكن عن أنس بن الحارث بهذا اللفظ:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ بَارِضٍ مِنَ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهَا كَرْبَلَاءُ فَمَنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَلْيَنْصُرْهُ»^(٢)

وروى الخوارزمي في خبر طويل ان الحسين عليه السلام قال لابن عباس: أتعلم أني ابن بنت رسول الله؟ فقال اللهم نعم، لا نعرف في الدنيا أحداً هو ابن بنت رسول الله غيرك وإن نصرحك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصيام والزكاة التي لا تقبل أحديهما دون الأخرى فقال الحسين عليه السلام يا ابن عباس، فما تقول في قولم أخرجوا ابن بنت رسول الله من وطنه و داره و موضع قراره و مولده و حرم رسوله و مجاورته قبره و مسجده و موضع مهاجرته و تركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار و لا يأوي إلى وطن يريدون بذلك قتله و سفك دمه و هو لم يشرك بالله شيئاً و لا اتخذ دون الله ولياً و لم يتغير عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خلفائه من بعده. فقال ابن عباس ما أقول فيهم إلا أنهم كفروا بالله و رسوله (لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى يراؤن الناس و لا يذكرون الله الا قليلاً؛ مذبيين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى

(١) أسد الغابة ج ١ ص ٣٤٩. الاصابة ج ١ ص ٦٨ و ص ٢٦٦.

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٣ ح ٣٩٣٩.

هؤلاء) الآية فعلى مثل هؤلاء تنزل الطبشة الكبرى؛ واما انت ابا عبد الله فانك رأس الفخار، ابن رسول الله، وابن وصيه، وفرخ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظن بابن رسول الله بان الله غافل عما يعمل الظالمون، وانا اشهد ان من رغب عن مجاورتك ومجاورة بنيك، فما له في الآخرة من خلاق، فقال الحسين اللهم اشهد، فقال ابن عباس جعلت فداك يابن رسول الله كانك تنعى الى نفسك؛ وتريد مني ان انصرك؛ فوالله الذي لا اله الا هو لو ضربت بين يديك بسيفي، حتى ينقطع وتنخلع يداي جميعاً لما كنت ابغ من حقك عشر العشير؛ وها انا بين يديك فمرني بامرك. وهذا الخبر طويل وسنقل بغض مقاطعه في الصفحات اللاحقة وفي أول هذا الخبر أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: حسين مقتول فلئن خذلوه ولم ينصروه ليخذلهم الله الى يوم القيامة. (١)

١٤- أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

روى الحاكم وابن سعد عن علي عليه السلام ان النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَنَا وَأَنْتَ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ» قال علي عليه السلام: ففعلتُ: فمحبونا؟ قال ﷺ: من ورائكم» (٢) ورواه الطبراني وأحمد بن حنبل في المناقب ايضاً (٣)

(١) مقتل الحسين - الخوارزمي - ف ١٠ ص ١٩١ وص ١٩٢.

(٢) الصواعق ص ١٥١. ذخائر العقبى ص ١٢٣. كنز العمال ج ٦ ص ٢١٦ ج ٣٧٨٧.

(٣) الصواعق ص ١٥٩. ذخائر العقبى ص ١٢٣. كنز العمال ج ٦ ص ٢١٨ ج ٣٧٨٧.

١٥- القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف من ولد الحسين عليه السلام

روى حذيفة عن رسول الله ﷺ انه قال :

« لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ وَلَدِي اسْمُهُ كَاسِمِي . فَقَالَ سَلْمَانُ : مِنْ أَيِّ وَلَدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : مِنْ وَلَدِ هَذَا وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ »^(١)

١٦- القائم عليه السلام هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام

رُوي عن سلمان قال : دخلت عن النبي ﷺ و اذا الحسين علي فخذهُ و هو يقبل عينيه و يلثم فاه و يقول : « إنك سيد ابن سيد أبو سادة ، إنك امام ابن امام ابو ائمة ، انك حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم »^(٢)

روى الحموي في خبر طويل عن النبي ﷺ قال : الحسن و الحسين إماما امتي بعد أبيهما و سيّد شباب أهل الجنة ، و أمّهما سيدة نساء العالمين ، و أبوهما سيد الوصيين . و من ولد الحسين عليه السلام تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي طاعتهم طاعتي و معصيتهم معصيتي إلى الله اشكو المنكرين لفضلهم و المضيعين لحرمتهم بعدي و كفى بالله ولياً و ناصراً لعترتي و أئمة امتي و منتقياً من الجاحدين حقهم « و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »^(٣)

(١) ذخائر العقبى ص ١٣٧-١٣٦ . و هناك اكثر من ١٨٠ حديثاً تدل على هذا المضمون راجع كتاب منتخب الأثر للمؤلف باب ٨ ف ٢ .

(٢) مقتل الخوارزمي ص ١٤٦ ف ٧ . ينابيع المودة ص ٤٤٥ . مودة القرني المودة العاشرة .

(٣) فرائد السمطين ج ١ ص ٤٣-٤٢ . و الاحاديث في هذا الموضوع متواترة فراجع منتخب الأثر للمؤلف باب ١٠ ف ٢ .

١٧- ثمرة شجرة النبوة

روى الحموي، السمعاني، القندوزي و الخوارزمي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعرفات و علي عليه السلام تجاهه فأومى إلى علي عليه السلام فأتاه. قال: ادن مني يا علي. فدنا علي منه فقال: اطرح خمسك في خمسي (يعني كفك في كفي) يا علي أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنة.

يا علي لو أن أمّي صاموا حتى يكونوا كالحنايا وصلوا حتى يكونوا كالأوتار ثم أبغضوك لأكبهم الله تعالى في النار. (١)

و روى الكنجي الشافعي عن تاريخ بغداد للخطيب عن علي عليه السلام ان رسول الله ﷺ قال: أنا أصلها و علي فرعها و الحسن و الحسين ثمرتها و الشيعة و رقها فهل يخرج من الطيب إلا الطيب و انا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها. (٢)

و الاخبار بهذا المضمون كثيرة.

و قد نظم بعض الشعراء في ذلك فقال:

يا حبذا دوحه في الخلد نابتة ما مثلها في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة ثم اللقاح علي سيّد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر والشيعة الورق الملتف بالثمر

(١) فراند السمطين ص ٣٩. مقتل الخوارزمي ص ١٠٨ ف ٦. ينابيع المودة ص ٩١.

(٢) كفاية الطالب ص ٩٨ و ص ١٧٨.

أنا بحبهم أرجو النجاة غداً و الفوز في زمرة من أفضل الزمر
هذا هو الخبر المأثور جاء به أهل الرواية في العالي من الأثر

١٨- وديعة الرسول ﷺ

نقل الشراوي والسيط بن الجوزي أن زيد بن أرقم اعترض علي بن زياد عندما رآه يضرب ثنايا أبي عبد الله الحسين عليه السلام وقال: إرفع قضيبك، فوالله لظالما رأيت رسول الله يقبل ما بين هاتين الشفتين. وبكى زيد فاغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل وقال: لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فنهض زيد بن أرقم من مجلس ابن زياد وهو يقول: أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة ووليتم ابن مرجانة والله ليقتلن أخياركم وليستعبدن سراتكم فبعداً لمن رضي بالذل والعار ثم التفت راجعاً لابن زياد وقال:

لا حدثتك بما هو أغبط عليك من هذا، رايت رسول الله أقعد حسناً علي فخذته اليمنى وحسيناً علي فخذته اليسرى، ثم وضع يده علي يافوخهما ثم قال:
« اللهم اني استودعتك آيأهما و صالح المؤمنين. » فكيف كانت وديعة النبي عندك يا بن زياد. قال: فغضب ابن زياد وهم بقتله.

و روى هذا الدعاء السيوطي و المناوي نقلاً عن الطبراني عن رسول

الله ﷺ (١).

(١) الاتحاف ص ١٧. تذكرة الخواص ص ٢٦٧. كنوز الحقائق ج ١ ص ٤٣. كنز العمال ج ٦

١٩- دعاء رسول الله ﷺ في حق الحسين عليه السلام

روى الطبراني عن وائلة أن النبي ﷺ دعا في حق علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام فقال :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ جَعَلْتَ صَلَوَاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَمَغْفِرَتَكَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ
اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ فَاجْعَلْ صَلَوَاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَمَغْفِرَتَكَ وَرِضْوَانَكَ عَلَيَّ وَ
عَلَيْهِمْ (يعني علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً) (١)

٢٠- اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالى

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال :

لما خلق الله تعالى آدم أبو البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم بمينة العرش
فاذا في النور خمسة اشباح سجدوا ركعاً . قال آدم : يا رب هل خلقت أحداً من طين
قبلي؟ قال : لا يا آدم . قال : فمن هؤلاء الخمسة الاشباح الذين أراهم في هيتي و
صورتي؟ قال : هؤلاء خمسة من ولدك لولا هم ما خلقتك . هؤلاء شققت لهم خمسة
اسماء من اسمائي . لولا هم ما خلقت الجنة والنار ، ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء
ولا الأرض ولا الملائكة ولا الانس ولا الجن ، فانا المحمود وهذا محمد ، وأنا
العالی وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا الاحسان وهذا الحسن وأنا
المحسن وهذا الحسين ، آليت بعزتي انه لا ياتيني أحدٌ بمثقال ذرة من خردل من بغض
أحدهم إلا أدخلته ناري ولا ابالي . يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم انجيهم وبهم

أهلكهم ، فاذا كان لك الى حاجة في هؤلاء توسل .

فقال النبي ﷺ نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا و من حاد عنها هلك فمن كان له الى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت .^(١)

و روى سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله ﷺ قال :

أنا و علي بن أبي طالب من نور الله عن يمين العرش نسيح الله و نقده من قبل أن يخلق الله عز وجل آدم باربعة عشر ألف سنة ، فلما خلق الله آدم نقلنا إلى أصلاب الرجال و أرحام النساء الطاهرات ، ثم نقلنا إلى صلب عبد المطلب و قسمنا نصفين فجعل نصفاً في صلب أبي عبد الله ، و جعل النصف الآخر في صلب ابي طالب ، و اشتق الله تعالى لنا من أسمائه أسماءً فالله عز وجل محمود و أنا محمد ، و الله الأعلى و أخي علي ، و الله الفاطر و ابنتي فاطمة ، و الله محسن و ابناي الحسن و الحسين ، و كان اسمي في الرسالة و النبوة ، و كان اسمه في الخلافة و الشجاعة ، و أنا رسول الله و علي ولي الله .^(٢)

(١) فرائد السمطين ص ٢٦-٢٥.

(٢) فرائد السمطين ص ٣٠. ان امتال هذه الأحاديث تعدُّ إشارة الى مقام هؤلاء الخمسة الاطهار و انهم متأدبون بالادب الالهي و ان تربيتهم تربية الهية و ان اخلاقهم هي اخلاق الهية ، و كما ان الاسم يدلُّ على المسمى فكذلك اسماءهم المشتقة من الحق جلّ و علا تدلُّنا عليه سبحانه و تعالى ، كما ان ذلك يدل على ارتباطهم الوثيق بعالم الغيب و قد ورد في الخبر عنهم عليهم السلام : « نحن و الله الاسماء الحُسنى » ، و الموجودات و إن كانت كلها اسماء الحق تعالى لكن هذه الانوار الخمسة تمتاز بمقام شاخ و ان دلالتها على المسمى دلالة أظهر و أوضح من سائرهما ، و اما سبب تعدد اسماءهم فشرحه خارج عن اطار هذا الكتاب .

٢١- إرث الحسين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله

ورث الحسنُ والحسينُ عليهما السلام كمالات النبي صلى الله عليه وآله العلمية والروحية والاخلاقية والجسدية . ولقد كان المسلمون يرون في الحسين عليه السلام التجسيد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله في سماته وسلوكه وأخلاقه وروحانيته .

ولا عجب في ذلك بعد أن تبين لنا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان للحسن والحسين عليهما السلام الحجر الشفيق الرؤوف العطوف والمعلم المخلص والاب الرحيم . كان يُحبهما ويشمّهما ويقبلهما ويمسّ لسانهما ويحملهما على كتفه المبارك ويقول : إنهما ریحائتاي .

وكان صلوات الله عليه يحتضنهما كولدته ويتأذى لبكائهما ويضعهما الى جنبه الشريف وعلى صدره ، ويلتذ من سماع اسمهما ، ويصطحبهما معه الى السوق والمسجد والدار . وكان يهتم لامرهما حتى وهو في حال الصلوة أو الخطبة .
والاخبار المروية في كتب اهل السنة المعتمدة ، كلها حاكية عن هذا اللطف والرعاية النبوية ولا عواطف الابوية .

وهذه الاحاسيس والعواطف النبوية وان كانت تُعدُّ نموذجاً لتواضع النبي صلى الله عليه وآله وبساطته في العيش ، الا أنها في نفس الوقت تحكي عن تركز العواطف الابوية الشديدة والحياة تجاه الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام . لانها عواطف صادرة عن رسول الله الذي هو في غاية الاعتدال والاستقامة في كل الكمالات ، والحب والرضا لا يجعلانه يبالغ في وصف الآخرين ولو بكلمة واحدة ، بل ان لياقة الحسنين وعلو شأنهما وصلاحيتهما هي التي دعت النبي صلى الله عليه وآله الى وصفهما بتلك الاوصاف والى صبّ محبته ولطفه فيها ، فلم تكن المسألة مجرد احاسيس

أبوية عارية عن الحقيقة و المصادقية، بل كان النبي ﷺ يرى في سيأهم سرّاً إلهياً كشف عنه النبي ﷺ بوصفه آياهم بتلك الكلمات.

و بحسب ما جاء في احاديث الثقلين الشريفة، و احاديث «إمامان قاما أو قعدا» و أحاديث «السفينة» وغيرها و هو كثير و قد اوردناها في كتابنا الذي ألفناه في إثبات حجية فقه الشيعة و دلالتها الواضحة و الصريحة، بحسب كل ذلك يثبت ان الحسن و الحسين عليهما و ارثا علوم النبي ﷺ و كل منهما هو الإمام و القائد الحقيقي للامة و وصي النبي هو ان يكون ميزاناً لتعادل و اعتدال الامور، اي ان يكون مركزاً و محوراً لطلاب الحقيقة و الهدى و دليلاً للسائرين في قافلة النجاة كي لا يتخلف عن القافلة احد فيضل و لا يتقدم عنها احد فيضيع، و الى هذا المعنى اشار رسول الله ﷺ في قوله في ذيل بعض نقولات حديث الثقلين الصحيحة:

« فلا تَقْدِمُوْهُمَا فَتَهْلِكُوا و لا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا و لا تَعْلَمُوْهُمُ فَانْتَهَمُ اَعْلَمُ مِنْكُمْ »^(١)

اذن فالإمام الحسين عليه السلام هو وارث علم و كمال رسول الله ﷺ بلا شك، و أن جميع الناس فقراء الى علمه و معرفته افتقارهم لعلم و معرفة رسول الله ﷺ. هذا و قد جاء في روايات متعددة ذكرتها الكتب المعتمدة أن فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت بالحسن و الحسين الى رسول الله في مرضه الذي توفي فيه و طلبت منه ان يورثهما، فقال:

أَمَّا الْحَسَنُ فَلَهُ هَيْبَتِي وَ سُوْدُدِي . و أَمَّا الْحُسَيْنُ فَلَهُ جُرْأَتِي وَ جُودِي .^(٢)

(١) الصواعق المحرقة ص ١٤٨.

(٢) نظم درر السمطين ص ٢١٢. الاصابة ج ٤ ص ٣١٦ و ص ٤٨١. ذخائر العقبى ص ١٢٩.

الصواعق ص ١٨٩. كفاية الطالب ص ٢٧٧.

و هذه الاحاديث انما تكشف عن جانب صغير من الكمالات الاخلاقية و الروحية التي ورثها الإمام الحسن و الإمام الحسين عليهما السلام من جدّهما .
و السرُّ في هذا الاختلاف في التعابير هو اختلاف الظروف الخاصة بكل واحد من الحسينين في قيادة الامة و جاءت احاديث النبي الاكرم مصدّقة لسلوكهما مع الامة ، كلُّ بحسب عصره و ليعلم الناس أنَّ مصدر هذين الاسلوبين في القيادة واحدٌ و هو التكليف الديني و الارشاد النبوي المتلقى من الوحي و الذي امرهما به النبي الاكرم ، و لا يتخلف سلوكهما أيّاً كان عن سلوك رسول الله ﷺ لان الحسن و الحسين عليهما السلام كلاهما جامعٌ لكمالات المصطفى و وارث لاخلاقه و كلاهما حافظ للدين و القرآن المبين .

الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام^(١)

من جملة معجزات النبي المصطفى المهمة هي اخباراته وتنبؤاته عن المستقبل واحداثه، والتي حفظتها لنا الاسناد والوثائق التاريخية المعتبرة، وان من له إطلاع على تاريخ الإسلام سوف لن يتردد أو يشك في تلك الاخبارات، ذلك أنها قد تحققت بمخايرها. وفي زمننا المعاصر، وبسبب سيطرة الافكار المادية على الناس، وضعف الارتباط بعوالم الغيب، والتشكيك بعالم الحقائق وكثرة الاهتمام بالظواهر والتجملات والانغماس بالملذات في الماكل والملبس والمشر، قلّ التأمل والتفكير في هذه العوالم والحقائق، وان اكبر ما يشغل بال البشرية المادية هو الاكل والشرب واللباس والالتذاذ الجنسي، ومن أجل هذه التوافه تراهم يُشعلون الحروب و يُجيشون الجيوش، ويرتكبون المجازر الجماعية ويقترفون آلاف المظالم والجنايات للوصول الى غايتهم تلك.

فالبشرية اليوم تعتبر كل الامور مقدمات لهذه المتطلبات المادية الثلاث، و اذا نادت كذباً او صدقا- بالحريات والاستقلال والسياسة والعدالة والقانون و

(١) بعد كتابة هذا الفصل وصلي مقال عن عالم الفيزياء المسمى «روبرت موريس بيچ» تحت عنوان «امتحان ناجح» في كتاب «اثبات الله» في الصفحة ٢٥، يحاول المؤلف فيه اثبات وجود الله عن طريق صحة وتحقق تنبؤات الانبياء. ولو ان هذا العالم الذي سجل لنفسه ٣٧ اختراعاً ووفق لنيل جوائز كبيرة، كان قد اطلع على تاريخ الإسلام و تنبؤات و اخبارات النبي الاكرم المستقبلية، لكان ايمانه بالله اقوى و أكد.

المساواة ورعاية الحقوق وحبّ الوطن ونشر العلم والثقافة وتأسيس الجامعات والكليات والمعاهد والمصانع والشركات ومكافحة الرجعية والدعوة الى التقدمية ... الخ فكل ذلك انما هو للوصول الى تلك المطالب الثلاثة، المأكل والملبس والجنس وسدّ حاجتها منها. ومن هنا نجد أن الانسان لن يصل الى الاستغناء أبداً، بل تزداد رغباته واحتياجاته يوماً بعد آخر.

إن الاكل والشرب والالتذاذ الجنسي امرٌ مشترك بين كل البشر وكل الحيوانات ولكنه ليس قدراً مشتركاً جامعاً للبشرية حول محور واحد يمنعها من التجاوز على بعضها البعض، ولا يمكنه ان يُخمد نيران الحرص والطمع التي تسعر اوارها في نفس البشرية. وهذا القدر المشترك لا يثني احداً من الناس عن التفكير بالاكثار من الاسترباح باي وسيلة كانت حتى بغصب حقوق الآخرين ونهب اموالهم.

ولسنا في هذا المقام بصدد بيان مضار وعواقب المديّة المجردة عن الإنسانية و أنها لا تتناسب مع شأن ومقام الإنسان والهدف من خلقه، و أنها عاجزة عن حلّ مشاكل البشرية، فان كل ذلك يحتاج الى بحث مفصل، و انما غرضنا الحالي هو أن نبين ان البشر اليوم قد غرق في مستنقع الماديات، يسبح من اجل التمتع بالمحظوظ الحيوانية، و انه يتخبط في الظلمات الى درجة الغفلة عن انوار الحقائق ومصابيح عوالم ماوراء المادة، و اذا كان بعض الناس يرون بصيصاً ضعيفاً لتلك الانوار و الحقائق فان انشغالهم بامور الدنيا يؤدي بهم الى نسيان مصدر ذلك النور وجهته فَيَقْوَنَ تائهين في ظلماتٍ وظلمات.

إن إدراك وفهم الانسان المعاصر، راقٍ الى درجة أنه وعلى الرغم من إنغماسه بالمادة و الامور الدنيوية وعلى الرغم من إن زخارف الدنيا تبهّر نظره،

تترشح منه أحياناً حقائق كبيرة، إلا أنَّ الماديات وقواه الحيوانية ونزعاته الهامشية تغطي عليه فتغطي تلك الافرازات الفكرية وتحجبها فلا تُعَدُّ مؤثرة في حياته ولا تقدر على تمزيق تلك الستائر السميكة التي نسجتها دوافعه المادية.

فاذا لم تكن تلك الحُجُب والستائر الغليظة، وإذا كان الناس اليوم يستغلّون تلك الملكات الاخلاقية العالية، وإذا كان هناك منهج واطروحة اخلاقية صحيحة، لتعاضدت النهضة الصناعية مع المنهج الاخلاقي المعنوي الصحيح وتمكنا من صناعة دنيا آمنة سعيدة مستقرة هادئة.

ولكي يقبل الإنسان المعاصر مناهج الانبياء الاصلاحية فكراً ومادياً عليه أن يطالع بدقّة حياة الانبياء وسيرتهم ليقف على بعض المواقف التي تعتبر أدلة إطمئنان معقولة للهداية والفلاح.

و تاريخ الأنبياء الماضين وإن لم تكن جزئياته بل وحتى بعض الخطوط العامة له، مضبوطة ومدونة ومحفوظة وإن بقي منها شيء فانه قابل للنقاش، ولكن تاريخ نبينا الاكرم محمد ﷺ وأئمة الهدى أوصياؤه وتلامذته، بقي واضحاً محفوظاً مسنداً بالوثائق والمدارك المعتمدة الصادقة، مما يُمكنُ المحققين والعلماء من الوصول الى حقائق قيمة فيما يرتبط بالنبوة والوحي وفلسفة بعث الانبياء.

فاحوال و اخلاق النبي الاكرم محمد ﷺ وحروبه و صلحه و سائر ملاحم حياته الشريفة، و تاريخ حياة والديه واجداده وجدّاته واقاربه وقومه وقبيلته و أصحابه، كلها محفوظة مدونة ومعلومة مسندة، وإن بعضها يُعَدُّ فوق المعتبر من جهة القيمة السندية، إذ أنه مقترنُ بشواهد وقرائن توجب اليقين عندنا الى درجة الاحساس بمعاصرة ذلك الزمن والعيش فيه، وبعضها قد وصل الينا عن طريق أسانيد متواترة كثيرة جداً الى حدّ الاطمئنان.

و من جملة الامور التي تفرض علينا القبول والاطمئنان هو ما يرتبط بموضوعنا وهو الاخبار عن المستقبل والتنبؤ باحداثٍ تحققت بلا زيادة ولا نقصان، وهو ما يسمى بالإخبارات الغيبية.

فكل من طالع تاريخ الإسلام، لن يشكّ أبداً بأنَّ الرسول الاعظم ﷺ قد أخبر عن احداث ووقائع مستقبلية، قد حدث قسم منها في فترة حياته وتحقق قسم منها بعد التحافه بالرفيق الاعلى كما أخبر، وإنَّ مثل هذه الموارد تتعدى العشرات بل المئات من القضايا، وإنَّ هذه الاخبارات تورث اليقين خاصة بضم القرائن والشواهد اليها بعد أن ثبت صدورها عنه صلوات الله عليه وآله بالقطع والتواتر.

و من جملة تلك الإخبارات، مقتل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) على يد الفئة الباغية، فهما كان الإنسان مشككاً ألا انه سيذعن بقبول خبر مقتل عمار الذي صرح ابن حجر وغيره بتواتره، مضافاً الى وجود القرائن والشواهد الباعثة على الاطمئنان له. فكتب السيرة والحديث و تراجم الصحابة وغيرها، ذكرت وروت عن رسول الله ﷺ انه قال لعمار: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ»

وقد تكرر ذلك القول من النبي ﷺ حين بناء المسجد النبوي الشريف في المدينة، وفي وقت حفر الخندق فيما كان عمار سباقاً في العمل، وفي مواضع اخرى، وقد روي ذلك الخبر في بعض اسانيده بهذا النحو:

«تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوكَ إِلَى النَّارِ»

وفي بعضها:

«تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ وَقَاتِلُكَ فِي النَّارِ»

وفي بعضها الآخر:

« تَقْتُلُ عَمَّارَ الْفِتَّةِ الْبَاغِيَّةِ »^(١)

إنَّ هذا الخبر كان معروفاً عند المسلمين عامةً بل وحتَّى عند المنافقين، ومن هنا فإن عمر بن العاص اضطرب كثيراً عندما سمع بمقتل عَمَّار الذي يقاتل إلى صف سيد الولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فجاء (أي عمرو) إلى معاوية قائلاً: لقد قُتِلَ عَمَّار!! فقال معاوية: ثمَّ ماذا؟

فقال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تَقْتُلُ عَمَّارَ الْفِتَّةِ الْبَاغِيَّةِ ». فاضطرَّ معاوية إلى الاحتيال للتخلص من تبعة دم عمار أمام جيشه وتضليلهم فقال: إنما قتل عَمَّار من أخرجه من داره!!

وعندما وصل هذا التضليل إلى اسماعيل عليه السلام قال:

علي هذا يكون رسول الله ﷺ هو الذي قتل حمزة^(٢)

وعندما استشهد عَمَّار نزل خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) إلى ساحة المعركة وكان في جيش علي عليه السلام لكنه إلى ذلك الوقت لم يقاتل، وقد كان مقتل عمار على يد الفتنة الباغية دليلاً قاطعاً لخزيمة على حقانية علي عليه السلام وكان خزيمة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٦. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤. أسد الغابة ج ٤ ص ٤٧ وج ٢ ص ١١٤. الاصابة ج ١ ص ٤٢٦ وج ٢ ص ٥١٢ ٥٧٠٤. الاستيعاب ج ١ ص ٤١٨ وج ٢ ص ٤٤٨١. كنوز الحقائق ج ١ ص ١٠٨ وج ٢ ص ١٧. الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٦. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٨ طبعة مصر ص ٢٧١١. وقد نقل بن مزاحم حكاية في هذا المجال يتعسر علينا ذكرها هنا لتحاشي التظويل، ولكننا نوصي القراء الاعزاء بالرجوع إليها للوقوف على صحة هذا الحديث وثبوته، ولكي يتضح كيف ان معاوية وقف ضد الإمام الحق مع انه كان يعلم وكذا المحيطين به انهم على الباطل.

(٢) راجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٨.

«عَمَّارُ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ»^(١)

وكان «ذو الكلاع» أحد قادة جيش معاوية، و أميراً على أربعة آلاف فارس، فقال يوماً لمعاوية: كيف تقاتل علياً ومعه عمار؟
فقال معاوية: سيعود عمار إلينا و يقتلُ معنا.

و صادف ان قتل «ذو الكلاع» قبل استشهاد عمار، فقال معاوية: لو كان ذو الكلاع حيّاً لاخذ نصف العسكر معه الى علي^(٢)

عندما نراجع كتب التاريخ، فكما اننا لا نشك بأصل وجود عمار وياسر وسميّة، فكذلك لا نشك باخبار النبي ﷺ بقتل عمار، وكما اننا على يقين من قتل عمار في صفين بيد جيش معاوية كذلك نحن على يقين من أن النبي ﷺ قد اخبر بشهادته كذلك، وقد اعترف عمرو بن العاص ومعاوية بهذه الحقيقة أيضاً.^(٣)

ونظير هذا الخبر، اخبارات غيبية اخرى وردت عن النبي ﷺ وهي مشهورة ومسلّمة كاخباره صلوات الله عليه وآله- إن أول الناس لحوقاً به من اهل بيته هي ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وكذلك اخباره بخروج عائشة و نباح كلاب الحوآب عليها، وإخباره بقتال أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام للناكثين و

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٨. اسد الغابة ج ٤ ص ٤٧ و ج ٢ ص ١١٤. الاصابة ج ١ ص ٤٢٦-٢٢٥١. وذكر هذه الأبيات للحزمية:

إذا نحنُ بآيِنا عليّاً فحسبنا أبو حسنٍ ممّا تخافُ مِنَ الْفِتْنِ
و فيه الذي فيهم من الخير كُلِّهِ و ما فيهمُ بعضُ الذي فيه من حسنٍ

الاستيعاب ج ١ ص ٤١٨.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٨.

(٣) يقول ابن عبد البر في الاستيعاب: تواتر عن النبي ﷺ: «تَقْتُلُ عَمَّارُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ» وهذا الحديث من اصحّ الأحاديث و من الاخبار الغيبية الدالة على نبوة رسول الله ﷺ.

القاسطين و المارقين وإخباره باستشهاد علي عليه السلام وإخباره بارتداد بعض الصحابة وإخباره بفتوحات المسلمين وغير ذلك من الاخبارات، نكتفي بما نقلناه مراعاةً للإختصار، ونضيف ان هذا دليلٌ وبرهانٌ على صحة ادعاء النبوة من رجل لم يدرس عند أحد ويُخبر عن الغيب وتحقق اخباراته بعد ثلاثين أو اربعين أو ستين سنة؛ بل وحتى بعد الف سنة وأكثر وأقل. وهذا لوحده كافٍ لذوي الايمان والبصيرة لاثبات نبوة الرسول الاكرم محمد ﷺ واثبات نبوات الانبياء وارتباطهم بالسما.

ومن جملة اخبارات النبي محمد ﷺ بالمغيبات هو اخباره باستشهاد ولده الإمام الحسين عليه السلام والذي وردت فيه روايات متعددة بطرق اهل السنة في تواريخهم وكتبهم الحديثية وتراجمهم فضلاً عن ورودها بطرق الشيعة وعلماهم، وهذا يدعم صحة تلك الاخبارات ويثبتها، مضافاً الى انه يجعلها متواترة بالمعنى.

وقد ذكرنا ببعض تلك الروايات فيما مضى، ونضيف هنا بعض الروايات الواردة في مصادر معتبرة جداً عند السنة:

١- روى ابن سعد والطبراني عن عائشة أن النبي ﷺ قال:

«أخبرني جبرئيل أن الحسين يقتل بعدي بارضِ الطفّ وجاءني بهذه التربة فاخبرني أن فيها مضجعه»

وفي الملاحم روى هذا الحديث بتفصيل زائد، ورواه الخليلي في الارشاد عن عائشة وام سلمة بهذا اللفظ:

«إن جبرئيل أخبرني أن ابني الحسين يُقتل وهذه تربة تلك الارض»

وفي سند آخر عن عائشة، قال رسول الله ﷺ:

«إن جبرئيل أراني التربة التي يُقتل عليها الحسين فاشتد غضبُ الله عليّ من

يَسْفِكُ دَمَهُ» (١)

٢- روى ابو داود و الحاكم عن أم الفضل بنت الحارث أن النبي ﷺ قال :
« أتاني جبرئيل فأخبرني أن أُمِّي سَتَقْتُلُ ابْنِي هذا » يعني الحسين » و أتاني
تُرْبَةً من تُرْبَةِ حمراء» (٢)

٣- روى الطبراني و ابو يعلى عن زينب بنت جحش عن رسول الله ﷺ انه
قال :

« إِنَّ جَبْرِئِلَ أَتَانِي و أَخْبَرَنِي أَنَّ ابْنِي هَذَا يَقْتُلُهُ أُمِّي قَلْتُ : فَأَرِنِي تُرْبَتَهُ ،
فَاتَانِي بِتُرْبَةٍ حمراء» (٣)

٤- روى أحمد ابن حنبل ان النبي الاكرم ﷺ قال :
« لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا فَقَالَ لِي : اِنَّكَ هَذَا حُسَيْنًا
مَقْتُولٌ و اِنْ شِئْتَ ارَيْتَكَ مِنْ تُرْبَةِ الْاَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا قَالَ : فَأَخْرَجَ تُرْبَةً
حمراء» (٤)

٥- و روى ابن سعد عن ام سلمة ان النبي ﷺ قال :
« أَخْبَرَنِي جَبْرِئِيلُ بَأَنَّ ابْنِي الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْتُلُ ... » .
و روى ابن عساكر عن ام سلمة الحديث بهذا اللفظ :
« إِنَّ جَبْرِئِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ ابْنِي هَذَا يَقْتُلُ فَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيَّ مَنْ يَقْتُلُهُ » (٥)

(١) الصواعق ص ١٩٠ و ص ١٩١. كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٣ حديث ٢٩٤.

(٢) الصواعق ص ١٩٠. مقتل الخوارزمي ص ١٥٦ ف ٧.

(٣) كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٣ حديث ٣٩٤٤.

(٤) الصواعق ص ١٩٠.

(٥) كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٣ حديث ٣٩٣٦ و حديث ٣٩٤١.

و عن عبد الله ابن يحيى عن أبيه إنه سافر مع علي عليه السلام وكان على مطهرته فلما حادى بيوتنا وهو منطلق الى صفين فنادى علي عليه السلام :
 « صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِشَاطِئِ
 الْفُرَاتِ » ،

فقلت له : ماذا أبا عبد الله ؟ فقال : دخلت على رسول الله ﷺ وعيناه تفيضان .
 قال : قام من عندي جبرئيل عليه السلام قبل وحدثني أَنَّ الحسين يُقتل بشط الفرات . قال :
 فقال : هل لك الى ان أשמك من تربته ؟ فقلت : نعم . فدَّ يده فقبض قبضةً من تراب
 فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا .^(١)
 و رواه أحمد بن حنبل و ابن الضحاك عن علي عليه السلام كما رواه عبد الله بن يحيى
 عن أبيه عن علي عليه السلام .

٧- روى الخوارزمي ان البيهقي نقل في تاريخه ان النبي ﷺ قال للحسين عليه السلام :
 « إِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةً لَا تَنَالُهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ »
 قال ابو علي السلامي : و من هنا كان الحسين عليه السلام و حينما اجتمعت عليه
 الجيوش علم انه سيقتل ولذا فانه صبر على ذلك و لم يجزع الى ان استشهد عليه
 افضل السلام .^(٢)

٨- روى السبط ابن الجوزي : لما وصل الحسين عليه السلام أرض كربلاء قال :
 « ما يقال لهذه الأرض فقالوا كربلاء و يقال لها أرض نينوى قرية بها فبكى و
 قال : كرب و بلاء أخبرني أم سلمة قالت : كان جبرئيل عند رسول الله ﷺ و أنت

(١) الصواعق ص ١٩١ . ذخائر العقبى ص ١٤٨ . تذكرة الخواص ص ٢٦٠ .

(٢) مقتل الخوارزمي ص ١٧٠ ف ٨ .

معي فبكيت فقال رسول الله: دعي ابني فتركته فأخذك ووضعك في حجرة فقال جبرئيل أتحمُّه؟ قال نعم. قال فان أمتك ستقتله. قال وإن شئت أن أريك تربة أرضه التي يقتل فيها. قال نعم. قالت فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلاء فأراه إياها.

فلما قيل للحسين عليه السلام هذه أرض كربلاء شمها وقال هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله ﷺ وإنني أقتل فيها.

و في رواية قبض منها قبضة فشمها وقد ذكر ابن سعد في الطبقات عن الواقدي بمعناه. (١)

و روى ابن بنت منيع حديثين في هذا الباب عن ام سلمة (٢)

٩- ذكر ابن الاثير والطبري وآخرون عن رجل من بني فزاره قال:

لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التَّمارين، التي أقطعت بعد زهير بن القَيْن، من بني عمرو بن يَشْكُر من بَجيلة، وكان اهل الشام لا يدخلونها، فكنا مُحْتَبَيْن فيها، قال: فقلت للفراري: حَدِّثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي؛ قال: كنا مع زهير بن القَيْن البَجَلِي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القَيْن، وإذا نزل الحسينُ تقدَّم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُدًّا من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغدى من طعام لنا، إذ أقبل رسولُ الحسين حتى سلَّم، ثم دخل فقال:

(١) تذكرة الخواص ص ٢٦٠-٢٥٩.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٤٨-١٤٧.

يا زهير بن القَيْن، إِنَّ أبا عبد الله الحسين بن عليٍّ بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كلَّ إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدَّثني دَهِم بنت عمرو امرأة زهير بن القَيْن، قالت: فقلت له: أبيعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيتَه فسمعتَ من كلامه! ثم انصرفت؛ قالت: فأتاه زهير بن القَيْن، فإلبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه؛ قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم، وحمل إلى الحسين، ثم قال لأصحابه: مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي وَإِلَّا فَإِنَّهُ آخِرُ الْعَهْدِ، إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً، غَزَوْنَا بَلَنْجَرَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَأَصْبْنَا غَنَائِمَ، فَقَالَ لَنَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: أَفَرِحْتُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَأَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ! فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ لَنَا: «إِذَا أَدْرَكْتُمْ شَبَابَ آلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحاً بِقِتَالِكُمْ مَعَهُمْ مِمَّا أَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ»، فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ. قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قُتِلَ.

وعبارة ابن الاثير هي:

«إِذَا أَدْرَكْتُمْ سَيِّدَ شَبَابِ آلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحاً بِقِتَالِكُمْ مَعَهُ بِمَا أَصَبْتُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْغَنَائِمِ».

وذكر الطبري «سلمان الباهلي» بدلاً من سلمان الفارسي وهو الاصح اذ ان سلمان الباهلي هو الذي قُتِلَ في بلنجر.^(١)

١٠- روى ابن الاثير عن غرفة الأزدي وكان من اصحاب رسول الله ﷺ من اهل الصفّة قال:

دخلني شكٌ من شأن علي عليه السلام فخرجنا مع علي عليه السلام إلى شاطئ الفرات فعدل

عن الطريق و وقف وقفنا حوله فقال و أوماً بيده: هذا موضع رواحلهم و مناخ ركبهم و مهراق دمائهم بأبي من لا ناصر له في الأرض و لا في السماء إلا الله فلما قتل الحسين عليه السلام خرجت حتى اتيت المكان الذي قتلوا فيه فاذا هو كما قال ما أخطأ شيئاً. قال: فاستغفرت الله مما كان مني من الشك و علمت أن علياً عليه السلام لم يقدم إلا بما عهد اليه فيه. (١)

١١- رُوي عن سويد بن غفلة حديث أن رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام و قال: عبرت وادي القرى و قيل لي أن خالد بن عرفطة قد مات فاستغفرت له و قال له علي أمير المؤمنين عليه السلام لا يموت حتى يقود جيشاً ضالاً و صاحب رايته حبيب ابن حمار.

فقام رجل إليه و قال: يا أمير المؤمنين أنا أحبك و أنا حبيب بن حمار. فقال له علي عليه السلام إنك ستكون حامل رايته و ستدخل برايتك من هذا الباب و أشار إلى الباب الذي كان أمامه.

و ما أن مرّت الأيام حتى أرسل ابن زياد عمر بن سعد لحرب الحسين عليه السلام و كان خالد بن عرفطة أحد قادة الجيش و حبيب بن حمار صاحب لوائه و وردا من نفس الباب إلى مسجد الكوفة و صح بذلك إخبار أمير المؤمنين عليه السلام. (٢)

١٢- روى «الملا» إن علياً عليه السلام لما مرّ بمكان قبر الحسين عليه السلام قال: «هيهنا مناخ ركبهم و هيهنا موضع رحالهم و هيهنا مهراق دمائهم فتية من

(١) اسد الغابة ج ٤ ص ١٦٩.

(٢) الاصابة ج ١ ص ٤١٠-٢١٨٢. و هذا الحديث نقله صاحب الاصابة عن ارشاد الشيخ المفيد و لما لم يُعلّق عليه ظهر لنا أنه معتبر عنده. و في الارشاد (حبيب ابن حماد) بدل حمار.

آل مُحَمَّدٍ يُقْتَلُونَ بِهَذِهِ الْعَرَصَةِ تَبْكِي عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ»^(١)

و روى هذا الحديث ، الحافظ عبد العزيز الجنازدي في «معالم العترة الطاهرة»

عن الاصبع بن نباته عن علي عليه السلام باختلاف طفيف في الالفاظ .^(٢)

١٣- قال ابو حنيفة الدينوري لما ورد الحسين عليه السلام واصحابه الى كربلاء فوقف

الحر واصحابه امام الحسين و منعوهم من المسير و قال انزل بهذا المكان فالفرات

منك قريب . قال الحسين عليه السلام وما اسم هذا المكان ؟ قالوا له كربلاء . قال ذات كرب و

بلاء و لقد مرَّ أبي بهذا المكان عند مسيره الى صفين و أنا معه فوقف فسأل عنه

فاخبر باسمه فقال ههنا محط ركبهم و ههنا مهراق دمائهم فسل عن ذلك فقال

« ثَقُلُ لآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُونَ هَهُنَا »^(٣)

و رواه الدميري ولكنه ذكر كلمة « نفر » بدل « ثقل »

١٤- روى الحسن ابن كثير و عبد خير أن علياً عليه السلام لما وصل الى كربلاء وقف

وبكى و قال :

« بَأبِي أَغِيلِمَةُ يُقْتَلُونَ هَهُنَا ، هَذَا مَنَاخُ رُكَابِهِمْ وَ هَذَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ ، هَذَا

مَصْرَعُ الرَّجُلِ »^(٤)

١٥- روى الديلمي عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال :

« نُبْعِي إِلَى الْحُسَيْنِ وَ أَتَيْتُ بِرَبِّتِهِ وَ أَخْبِرْتُ بِقَاتِلِهِ »^(٥)

(١) الصواعق ص ١٩١ .

(٢) نور الابصار للشبلنجي ص ١١٥ .

(٣) الاخبار الطوال ص ٢٢٦ . حياة الحيوان ج ١ ص ٦٠ .

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٦٠ .

(٥) كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٣ حديث ٣٩٥٢ .

١٦- روى ابن عساكر عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال:

« لا بَارَكَ اللَّهُ في يَزِيدَ الطَّعَانِ اللَّعَانِ أَمَا إِنَّهُ نُعِيَّ اليَّ حَبِيبِي وَ سَخِيلِي حُسَيْنٌ أُتِيتُ بِرَبِّتِهِ وَ رَأَيْتُ قَاتِلَهُ أَمَا إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ فَلَا يَنْصُرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(١)

١٧- روى ابن عساكر عن علي عليه السلام انه قال لعمر بن سعد:

كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَقَمْتَ مَقَاماً تُخَيَّرُ فِيهِ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَ النَّارِ فَتَخْتَارُ النَّارَ»^(٢)

١٨- و روى البيهقي ان رسول الله ﷺ أخبر بقتل الحسين في الطف و هو مكان

قريب من الكوفة يعرف بكر بلاء.^(٣)

١٩- روى ابن ابى الحديد في ضمن خبر عن امير المؤمنين انه قال لتميم بن

اسامة بن زهير التميمي و كان ابنه الحصين طفلاً رضيعاً و أخبره بأن ابنه الحصين هذا سيشترك في قتل ولده الحسين عليه السلام.

و هذا ما حصل فلم يزل الحصين حتى عيّنه ابن زياد على الشرطة و أرسله

يوم التاسع من المحرم إلى كربلاء ليبلغ عمر بن سعد بقتال الحسين و يحذره من امهاله.^(٤)

٢٠- وكذلك ذكر ابن ابى الحديد ضمن إخبار امير المؤمنين بالمغيبات انه قال

للبداء ابن عازب:

« أَيْقَتَلُ الْحُسَيْنُ وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَا تَنْصُرْهُ»

(١) كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٣ حديث ٣٩٤٩.

(٢) كنز العمال ج ٧ ص ١١١ ح ٩٦٠.

(٣) السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٢٠.

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٠٩-٥٠٨.

فقال البراء:

« لا كان ذلك يا أمير المؤمنين »

وكان البراء حينما قُتل الحسين عليه السلام يتذكر هذا الحديث ويبكي حسرةً على عدم نصرته للحسين عليه السلام. (١)

٢١- نقل الخوارزمي عن شيخ الإسلام الحاكم المجسمي أن أمير المؤمنين لما سار إلى صفين نزل بكر بلاء وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا. قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاءً شديداً، ثم قال: مالي ولا آل أبي سفيان. ثم التفت إلى الحسين وقال: صبراً يا بني فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده. (٢)

٢٢- يقول اليعقوبي في تاريخه: وكان أول صارخة صرخت في المدينة أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، كان دفع إليها قارورة فيها تربة، وقال لها: إن جبرئيل أعلمني أن أمي تقتل الحسين عليه السلام، وأعطاني، هذه التربة وقال لي: إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أن الحسين عليه السلام قد قتل. وكانت عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دماً صاحت: وا حسينا! وابن رسول الله ﷺ! و تصارخت النساء من كل ناحية، حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سمع بمثلها قط. (٣)

و روى ابن حجر هذا الحديث عن «الملا» وابن أحمد في زيادة المسند،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٠٩.

(٢) فضل الخوارزمي ص ١٦٢ ف ٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٩-٢١٨.

بتفاوت بسيط و روى أنَّ تلك التربة هي تربة مكان قتل الحسين عليه السلام^(١)
و مثل هذه الاخبار المروية عن رسول الله ﷺ و عن أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة،
و منها يُعلم أنَّ الشهادة قد كتبت على الحسين عليه السلام و قد كانت شهادته من اكبر مناقبه
و فضائله و من جملة مقاماته صلوات الله عليه و آله اجمعين.

(١) الصواعق المحرقة ص ١٩١.

معاجز الإمام الحسين عليه السلام^(١)

تعد المعجزات من جملة ادلة اثبات النبوات والارتباط بالسماء وواحدة من اسس صحة الرسالات السماوية.

و تاريخ النبوات، يثبت اصل صدور المعجزات عنهم، كما ان الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم، يُصرِّح بذكر عدد من معاجز الانبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد جَرَت السنن الاجتماعية على طلب المعجزات من ادعاء النبوة، و من هنا كان الحق تعالى يظهر بعض المعاجز على أيديهم لكي تكون حُجَّة على البشر. وفي زمننا المعاصر قلَّ تصديق بعض الناس بمثل تلك المعجزات كشفاء المرضى و احياء الاموات و انقلاب العصا الى ثعبان و نزول مائدة من السماء. و بعض أتباع الديانات السماوية و بعض المؤمنين بالانبياء أخذوا يفلسفون تلك الامور المخارقة للعادة على اساس العلل و الاسباب الظاهرية و يطبقونها على السنن

(١) المعجزة امرٌ خارق للعادة يتحقق على يد النبي للتدليل على صدق دعواه و قد ذكرت في الكتب الكلامية عدة تعاريف يظهر منها ان ما كان يصدر عن الائمة عليهم السلام و خواص اصحابهم من الامور المخارقة لا يطلق عليها اسم معجزة الا من باب المسامحة في التعبير، و الاكثر يعبرون عن غير ما يصدر عن النبي من الامور المخارقة اسم «كرامة» كما يعبرون عن خوارق العادة الصادرة عن النبي قبل نبوته بالارهاصات، و لكن و لوجود وجه اشتراك بين الجميع يعبر عنها احياناً بالمعجزة.

و النواميس و القواعد العلمية الحاكمة على الطبيعة و ازداد ايمانهم بالمعجزات العلمية التي يذكرها القرآن الكريم، و ازداد تقبلهم و يقينهم بتلك المعجزات.

و الحق أنه ينبغي التسليم و قبول كل المعجزات و الايمان بها، ذلك لان المعجزة تعبير عن القدرة الغيبية و القوة المطلقة لله سبحانه و تعالى، و المؤمن بالله و قدرته و علمه و خلقه و ايجاده لهذا العالم، لا يمكنه ان يُشكك بصدور المعجزة، أوليس هذا العالم الكبير المترامي بكل كراته و مجراته و مخلوقاته الكبيرة و الصغيرة، و كل هذا الروعة في الخلق، معجزة؟

أنَّ المعجزة، هي الامر الذي يعجز البشر عن ايجاده بنفسه بدون الاستعانة بمقدماته و وسائله. و على هذا فنفس العالم، معجزة، و هذه الجبال و البحار و الاشجار و المحيطات و الشمس و المنظومات السماوية، كلها معاجز.

و نزول المائدة من السماء، و احضار الشجرة و احياء الأموات و تكلم الحصى و نظائر ذلك كلها معاجز، فكما إنَّ تلك معجزة فهذه أيضاً معجزة مع فارقٍ و هو أنَّ هذه المنظومات الشمسية و الجبال و البحار و الخ مرئية لنا، و تلك مسموعة فلذا لا نتعجب من الاولى لاننا نراها يومياً، أمّا معجزات الانبياء و لانها لم تكن مستمرة أبدية أغلبها- و لم تتمكن من لمسها و النظر اليها و انما نسمعها فقط، صارت عجيبةً عندنا و لذا يستبعدنا بعض الناس.

اذن، فمن جملة السنن الالهية ان من يُنتخب و يُصطفى من قبل الله للنبوة، لابد ان يكون له معجزة، ليكون ذلك دليلاً على 'تكذيب أدياء النبوة المزيفين'.

و لقد كان كبار الفلاسفة كابن سينا و الفارابي و ابن مسكويه يؤمنون بمعجزات الأنبياء.

يقول فريد وجدي في دائرة المعارف بعد ان يذكر شرحاً في معجزات الانبياء

و خاصة نبينا الاكرم محمد ﷺ :

« لا يوجد اليوم من يستطيع أن ينكر امكان حدوث المعجزات غير جماعة الماديين الذين وقفوا من العلم الطبيعي مع ما وصل اليه منذ مائة سنة و لو كان هؤلاء الماديون يستعرضون أمامهم ما هدي اليه ألوف من العلماء الباحثين في المباحث النفسية في مشارق الارض و مغاربها أمثال الاساتذة «ويليم كروكش» و «روبل ولاس» و «اللورد أفيري واكسون» و «تندل» و «باركس» و «لودج» و «مورغان» و... من الانجليز و «كاميل فلامريون» و «الدكتور داريكس» و «الدكتورة جيبي» و «الاستاذ شارل ريشه» من الفرنسيين و عدد لا يحصى من العلماء الايطاليين و الالمانيين و الروس و سواهم لرأوا أن كل هؤلاء قد هدوا بالتجارب التي أجروها على القوى النفسية الى 'نواميس ارقى' من النواميس الحاكمة على المادة و في استطاعتها في شروط المخصوصة ابطال عمل تلك النواميس و احداث ظواهر جديدة خارقة للنظام الطبيعي المادي فأصبحت المعجزات في نظر العالم من الممكنات و علم أنها تابعة لنواميس خاصة بها. ^(١)

و من البديهي فان من يؤمن بمعاجز الانبياء اليوم، انما يؤمنون بها سماعاً و بالاعتماد فقط على 'النقولات الموثقة الى درجة كبيرة توجب الاطمئنان القريب من المحس.

قد يظن البعض ان دعوي المعجزة غير مقبول عقلاً و انه مخالف للاصول و المقاييس العلمية، أو ان اثبات وقوعها صعب جداً.

لكن هؤلاء على خطأ، ذلك ان المعجزة لا تتنافى ابداً مع العقل، بل إنَّ العقل

يؤيد و يُصدّق وقوعها، عن طريق المشاهدة أو السماع القطعي و النقل اليقيني و المتواتر .

و هؤلاء الذين لا يُخطّون خطوة واحدة في طريق قبول و تعقل المعجزة و يعدونها مخالفة للمقاييس العلمية الطبيعية، إن كان مقصودهم من المخالفة، مخالفة العلوم المادية الحديثة التي توصلوا إليها و التي صارت طريقهم الوحيد لمعرفة اسرار الكون، فاننا نقول لهم في معرض الاجابة: إننا لا نحتاج الى هذه الموازين لاثبات صحة دعوى وقوع المعجزات، اذ انّ تلك القوانين ليست السبيل الوحيد لإدراك كل الحقائق الكونية، إذ إننا اليوم نواجه مجهولات كثيرة جداً تفوق معلوماتنا، و هذه القوانين العلمية لا تهدينا الى تلك المجهولات و اكتشافها فهي قاصرة و لكننا نقبل تلك المجهولات و لا يمكن اثبات امتناعها الا بحكم العقل و البرهان .

اذن، فاذا لم نتعرف على 'تحقق حادثة خارقة العادة، عن طريق الموازين العلمية الحسيّة و التجريبية، فهذا لا يبيح لنا انكار أصل وجودها، و سيكون مثل هذا الانكار غروراً و تعتناً و اعتماداً على 'سلسلة معلومات ناقصة و حفنة من النظريات و الفرضيات غير القطعية .

مثّل هؤلاء الاشخاص مثل الكيميائي الخبير و المطلع المتخصص في التركيبات الكيميائية، الذي يحاول التعرف على 'كل المسائل الطبيّة من نافذة علم الكيمياء الضيقة، فيرد بعضها و يقبل بعضاً، و يبرم بعضاً و ينقُض بعضاً، و الحال إنّ الاطباء في العالم و استناداً الى 'تلك القواعد الطبية التي ينكرها هذا الكيميائي، يقومون بمعالجة و مداواة آلاف البشر يومياً .

و عقيدتنا بمعاجز الانبياء و كرامات الاولياء و عللها هو أنها ظواهر كالظواهر الكونية الاخرى الموجودة في هذا العالم الكبير، و سواء سميتوها باسرار

الطبيعة و عالم الخلقه او سميتموها خوارق العادات، فاننا نقول إنَّ هذه الامور التي اسمها معجزة قد حصلت و تحققت في هذا العالم و قد ثبت ذلك باوثق النقولات المتواترة، و اما تعليلها بالعلل الماديّة فليس بصحيح، و من حاول إضفاء صبغة علمية حسيّة مادية عليها و أنّها معلولات لعلل مادية طبيعية فهو مشتبه، اذ ان انقلاب العصا الى ثعبان و احياء الموتى على يد عيسى المسيح، لا ارتباط له ابداً بالعلل المادية الطبيعية.

و لو لم تكن تلك الاخبار الموثقة الاّ حول امرٍ عادي بسيط لقبها الناس بـ ١٪ من تلك الاخبار و النقولات، و لكن لما كانت تلك الاخبار الموثقة حول امور خارقة للعادة و معجزات غير مأنوسة للبشر فاننا نضطر الى مزيد من التحقق منها و التأمل ثم قبولها.

و في زمننا الحالي، تنتقل أحيانا مراكز الانواء الجويّة و بعض الجرائد بعض الظواهر الجوية الغريبة و التي يصعب التصديق بها، و مع ذلك فنحن نصدق تلك المراكز و الجرائد، مع اننا لو سمعنا ذلك الخبر من شخص عادي من افراد المجتمع ممن ليس له خبرة في هذا المجال لاستهزئنا به و اتهمناه بالسطحية و السذاجة، فنحن نقبل من محطات التلفزة و الراديو و وكالات الأنباء العالمية المعتمدة كالاسيوشيتدبرس و غيرها، لان تكذيب هذه المراكز يعني اضطراب النظام الاقتصادي و السياسي العالمي القائم على اساس هذه الاخبار.

و لكننا نقول إنَّ ذلك خطأ، فان الراي الصادر من انسانٍ عادي محترمٍ أيضاً و لا يمكن ردّه بلا دليل اذ قد يكون مطابقاً للواقع، و انّ الخبر الذي تنقله وكالة الانباء العالمية الفلانية و الذي لم يقوم اي دليل أو قرينة أو شاهد على صحته، لا يمكن قبوله ببساطة كما لا يمكن انكاره و ردّه ببساطة، بل يبقى في حيز الامكان و الرد و

القبول .

و اليوم، نجد ان اكثر الناس يقبلون الاخبار التي ينقلها صحفي او مراسل مركز اعلامي، و يرتبون كل الآثار عليها، وكذلك لو سمعوا عن فلكي مجهول الهوية أنَّ النجم المذنب الكذائي سيرتطم بالارض في اليوم الفلاني و ان الارض ستتلاشى، فانهم سيقبلون ذلك دون تردد و سيُسيطر عليهم الخوف و الهلع، يقبلون ذلك و ينكرون كل هذه الاخبار التي تدلُّ على حصول المعاجز على يد الانبياء خاصة معاجز نبينا الاكرم محمد ﷺ و الائمة الطاهرين من عترته عليهم السلام، و التي نُقلت في اوثق المصادر التاريخية و الكتب الروائية المعتبرة، و التي رواها أوثق الرواة و المستبعين، ما يجعلنا نقطع بتحقيق تلك المعاجز في الزمن السابق .

و اني لا أظن أنَّ متبعا للكتب تتبَّع احاطة بالوثائق و المدارك التاريخية، يقف على تواتر أخبار المعاجز يُمكنه ان ينكرها، و أنَّ اولئك الذين ينكرون المعاجز انما ينكرونها بسبب عدم اطلاعهم و عدم مراجعتهم للكتب التاريخية و الحديثية الروائية، و يندر أن ينكر ذلك احدٌ عن تعصبٍ أو لاغراض اخرى، فان وجود قوة التعقل و استقامة الفكر تمنع الإنسان من ردِّ هذه الاخبار، فانَّ إنكارها يحكي عدم اعتدال القوة الفكرية و شذوذ العقل و انحرافه .

و على كل حال، فأننا نعتقد أنَّ أهم دواعي المنكرين للمعاجز هو الاستبعاد المحض، و مجرد الاستبعاد لم يكن ابداً دليلاً عند العقلاء و لا يُعدُّ دليلاً عقلياً قطعياً للاحكام الجزمية .

و في هذا المبحث سمعنا معجزات الإمام الحسين عليه السلام لا اريد الخوض في هذا الموضوع اكثر مما ذكرت، خاصة و أنَّ اكثر قراءنا الكرام هم من المؤمنين و المعتقدين بالمعاجز و خوارق العادة، و بناءً على ذلك لا نحتاج الى ذكر مقدمات و

توضيحات أكثر في مقام ذكر بعض معجزات الإمام الحسين عليه السلام.

و صدور المعجزات عن الإمام الحسين عليه السلام سواء في حال حياته أو بعد شهادته عليه السلام من المسلمات و المتواترات، وأن صدور تلك المعجزات عن الشُعاع الحق لنور النبوة و الامتداد الطبيعي لوجود شخص الرسول محمد ﷺ، و من صاحب مقام الولاية و الإمامة، غير مستبعد و لا منكر من أي مسلم، فانه اذا لم يكن الحسين عليه السلام له مثل هذه المعجزات، فلمن يكون إذن؟

و اذا لم يكن الحسين عليه السلام مشمولاً للرعاية الالهية الخاصة، فمن ذا الذي يكون كذلك إذن؟

و لما كان غرضنا في هذا البحث هو إظهار سعة دائرة فضائل و مناقب و مقام الإمام الحسين عليه السلام بين عامة المسلمين و في كل نواحي شخصيته العظيمة فاننا لن ننقل ذلك من كتب الشيعة مع قوة اسانيدها و اعتبارها و صحتها، بل سنقتصر على ذكر نماذج مما ورد في كتب كبار علماء اهل السنة و محدثهم و بعبارة اخرى سنكتفي بغيض من فيض ما جاء عنهم في هذا المضمار.

١- نقل الطبري: بعد ان كتب عبيد الله ابن زياد الى عمر ابن سعد: أما بعد فحل بين الحسين و أصحابه و بين الماء، و لا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، و حالوا بين حسين و أصحابه و بين الماء أن يُسقوا منه قطرة، و ذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: و نازله عبد الله بن أبي حُصين الأزدي فقال: يا حسين، ألا تنظر الماء كأنه كبِد السماء! و الله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال حسين: اللهم اقتله عطشاً، و لا تغفر له أبداً.

قال حميد بن مسلم: و الله لعدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو

لقد رأيته يشرب حتى يبغر، ثم بقي، ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى، فزال ذلك دأبه حتى لفظ عصبه. (١)

٢- وكذلك نقل الطبري: روى هشام عن أبيه محمد بن سائب عن القاسم بن اصبح بن نباته قال: حدثني من شهد الحسين عليه السلام في عسكره، أن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المستاة يريد الفرات، قال: فقال رجل من بني أبان بن درام، ويلكم! حولوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين: اللهم أظميه، قال: وانتزع الأباقي بسهم، فأثبتته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهم، ثم بسط كفيه فامتلاّت دماً، ثم قال الحسين: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك؛ قال: فوالله إن مكث الرجل إلا يسيراً حتى صبّ الله عليه الظماً، فجعل لا يروى. قال القاسم بن الأصبع: لقد رأيته فيمن يروح عنه والماء يبرد له في السكر وعساس فيها اللبن، وقلال فيها الماء، وإنه يقول: ويلكم! اسقوني قتلي الظماً، فيعطى القلة أو العس فيشربه، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهنيئة ثم يقول: ويلكم! اسقوني قتلي الظماً؛ قال: فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقذ بطنه انقداد بطن البعير. (٢)

٣- روى الامام أحمد بن حنبل في مناقبه عن ابي رجاء انه كان يقول: « لا تسبوا علياً ولا أهل هذا البيت » إن جاراً لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال: ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق ان الله قتله (يعني الحسين عليه السلام). فرماه الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره. (٣)

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٣. تذكرة الخواص ص ٢٥٧. الحسن والحسين سبطا رسول الله ص ٦٨.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٤. الكامل لابن الاثير ص ٢٩٤. ذخائر العقبى ص ١٤٤.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٤٥.

٤- روى ابن الجراح عن السدي قال: أتيت كربلاء لأبيع التمر بها فعمل لنا شيخ من طي طعاماً فتعشنا عنده فذكرنا قتل الحسين عليه السلام فقلت: ما شرك احد في قتل الحسين إلا مات بأسوأ موته وآيات ظهرت لمقتله. قال: ما اكذبكم يا اهل العراق انا ممن شرك في ذلك. فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو متقد بنفط فذهب يخرج الفتيلة باصبعه فاخذت النار فيها فذهب يُطفئها بريقة فأخذت النار في لحيته فغدا فالتقى نفسه في الماء فرأيت أنه جمجمة. (١)

و ذكره في «كفاية الطالب» و «الحاسن و المساوي» و البيهقي و الصواعق، و ورد فيها حمة بدلاً عن جمجمة، يعني مثل الفحم. (٢)

٥- روى السبط بن الجوزي عن الواقدي أن شيخا حضر قتله فقط «أي الحسين» فعمى، فسئل عن سببه فقال: إنه رأى النبي ﷺ حاسراً عن ذراعيه و بيده سيف و بين يديه نطع، و رأى عشرة قاتلي الحسين مذبحين بين يديه، ثم لعنه و سبّه لتكثير سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى. (٣)

٦- روى ابن الاثير في ضمن وقائع كربلاء: و تقدم رجل اسمه عبد الله ابن حوزة و وقف أمام الحسين فقال: يا حسين، يا حسين، فقال الحسين عليه السلام: ما تشاء فقال: أبشر بالنار. قال عليه السلام: كلاً إني أقدم على رب رحيم و شفيع مطاع. من هذا؟ قال له اصحابه هذا ابن حوزة قال: رب حزة الى النار. فاضطرب به فرسه في جدول و وقع فيه و تعلقت رجله بالركاب و وقع رأسه في الارض و نفر الفرس

(١) ذخائر العقبى ص ١٤٥.

(٢) كفاية الطالب ص ٢٨٩. الصواعق ص ١٩٣. الحاسن و المساوي ج ١ ص ٩٨.

(٣) نور الابصار ص ١٢١. اسعاف الراغبين ص ١٩٢. الصواعق ص ١٩٣.

فأخذ يرمي به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات. (١)
و روى نظير هذه المعجزة عن ابن بنت منيع عن علقمة بن وائل و وائل بن
علقمة في رجب لاسم: جريره. (٢)

٧- روى الطبري قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسر اويل
مُحَقِّقَةً يلمع فيها البصري ياني محقق ففرزه ونكته لكيلا يُسَلِّبَهُ، فقال له بعض أصحابه:
لو لبستَ تحته ثُبَاناً (سراويل قصير) قال: ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن البسه.
قال: فلما قُتِلَ اقبل بحر بن كعب فَسَلَبَهُ إِيَّاه فتركه مجزداً. (٣)

٨- روى الشبراوي شيخ الازهر الاسبق: واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه
حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فتلقى الدم في يده وقال اللهم اقتل حصيناً عطشاً.
قال العلامة الازهوري فابتلي بالحر في بطنه والبرد في ظهره وصار يوضع بين يديه
الثلج والمراوح ويوضع خلفه الكانون وهو يصيح من الحر والعطش وصار يؤتى
بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشرب فلا يرتوى ثم يصيح فيسقى
كذلك الى ان قُذِّ بطنُهُ ومات بعد موت الحسين بايام. (٤)

٩- روى الطبري عن ملاكه وهو من كبار علماء السنة عن رجل من كليب
قال: صاح الحسين بن علي: «إسقونا ماءً» فرمى رجلٌ بسهم فسقَّ شذقه فقال: لا
ارواك الله. فَعَطَّشَ الرجل الى ان رمى بنفسه في الفرات فشرب حتى مات. (٥)

(١) الكامل ج ٣ ص ٣٨٩.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٤٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٥.

(٤) الاتحاف ص ١٦.

(٥) ذخائر العقبى ص ١٤٤.

١٠- روى الترمذي حديثاً صحيحاً عن عمارة بن عُمر قال: لما جرى برأس ابن زياد و وضع في القصر رأيت الناس مجتمعين حوله و إذا بحجة تأتي تدخل الى منخره و تخرج من فيه تفعل ذلك ثلاثاً. (١)

١١- روى ابن بنت منيع عن ابي معشر عن بعض مشيخته: ان قاتل الحسين عليه السلام لما جاء الى ابن زياد و حكى عليه كيفية قتله و ما قال له الحسين، إشد وجهه. (٢)

١٢- روى الطبري عن ابي مخنف قال: حدثني سليمان بن ابي راشد عن حميد بن مسلم، قال: ... و مكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس انصرف عنه و كره ان يتولى قتله و عظيم إثم عليه، قال: و ان رجلاً من كندة يقال له مالك بن النسير من بني بداء، أتاه فضربه على رأسه بالسيف و عليه برنس له، فقطع البرنس و اصاب السيف رأسه، فادمى رأسه، فامتلاء البرنس دمًا، فقال له الحسين عليه السلام:

«لَا أَكَلْتُ بِهَا وَلَا شَرِبْتُ وَ حَشَرَكَ اللَّهُ مَعَ الظَّالِمِينَ» قال: فالتق ذلك البرنس ثم دعا بقلنسوة فلبسها، و اعتم و قد أعيا و بلذ. و جاء الكندي حتى أخذ البرنس و كان من خز. فلما قدم بعد ذلك على امراته ام عبد الله ابنة الحراخت الحسين بن الحرّ البدي، اقبل يغسل البرنس من الدم، فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله ﷺ تدخل بيتي؟ أخرجه عني. فذكر اصحابه انه لم يزل فقيراً بشر حتى مات. (٣)

(١) سنن الترمذي ج ١٣ ص ١٩٧. أسد الغابة ج ٥ ص ٢٠. اسعاف الراغبين ص ١٨٩.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٤٤.

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٤٢. الحسن و الحسين عليه سبطا رسول الله ص ٦٩.

١٣- نُقِلَ عن اليسار بن الحكم قال: إنتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة الأبرصت. (١)

١٤- روى السيوطي: ان ما نُهب من مخيم الحسين عليه السلام من الورس قد تحول الى الرماد. (٢)

١٥- يقول العالم المصري محمد رضا: ومن اعجب كرامات الحسين عليه السلام هو حديث الزهري في قتل الحسين وهذا هو سأل عبد الملك ابن مروان وهو قاعد في ايوانه، من كان مجتمعاً بحضرته فقال: ما أصبح بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي ابن ابي طالب. فلم يجبه أحد، فقال الزهري: إنه لم يرفع تلك الليلة التي قتل صبيحتها علي ابن أبي طالب والحسين بن علي حجر في بيت المقدس الا وجد تحته دمٌ عبيط.

قال عبد الملك: صدقت، حدّثني الذي حدثك وإني وإياك في هذا الحديث لغريبان. ثم أعطاه ما لا كثيراً. (٣)

و روى المحب الطبري عن ابن السري عن الزهري انه لما قُتل الحسين عليه السلام لم يُرفع أو لم يُقلع حجر بالشام الا عن دم. (٤)

١٦- روى المحب الطبري عن ابن لهيعة عن ابي قبيل قال: لما قتل الحسين ابن

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٨٤. الحسن والحسين سبطا رسول الله ص ٧٠-٦٩. وقال بعد نقل هذه الكرامة: ان كرامات الحسين عليه السلام لا تحصى.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٣٨. اسعاف الراغبين ص ١٩٢. الصواعق ص ١٩٢.

(٣) الحسن والحسين سبطا رسول الله ص ٧٠. اسعاف الراغبين ص ١٩٢. تاريخ الخلفاء ص ١٣٨.

(٤) ذخائر العقبى ص ١٤٥.

علي بعث برأسه الى يزيد ففزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون و يتحيّون بالرأس،
فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطرأ بدم:
أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب .

فهربوا وتركوا الرأس. (١)

و لا يخفى ان أخباراً كثيرة وردت في هذا الشعر، منها ما رواه السبط ابن
الجوزي وابن حجر وفي درر السمطين و الشبراوي والدميري وآخرون. (٢)

١٧- ورويت عنه روايات حول بعض الآيات السهاوية و خوارق العادات
حين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مثل مطر السماء دماً و غيرها، نقلها كبار علماء
القوم مثل المحافظ ابي نعيم في دلائل النبوة، و ابن بنت منيع و المحب الطبري و
الشبراوي و الشبلنجي و ابن الجوزي و الصبّان. (٣)

١٨- روى السبط بن الجوزي أن شخصاً علّق رأس الحسين عليه السلام في كُلب فرسه
فروى بعد أيام وجهه أشدّ سواداً من القارّ و مات على أقبح حالة. (٤)

١٩- روى ابن خالويه عن الاعمش عن المنهال الاسدي قال:

والله لقد رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حُمِل و أنا بدمشق و بين يديه رجل
يقرأ سورة الكهف حتى بلغ « أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

(١) ذخائر العقبى ص ١٤٥. اسعاف الراغبين ص ١٩٣.

(٢) الاتحاف ص ١٢. تذكرة الخواص ص ٢٨٤. نظم درر السمطين ص ٢١٩. كفاية الطالب
ص ٢٩١-٢٩٠. حياة الحيوان ج ١ ص ٦٠. الصواعق ص ١٩٤-١٩٣.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٤٥. الاتحاف ص ٢٥-٢٤. نور الابصار ص ١٢٠. تاريخ الخلفاء
ص ١٣٨. نظم الدرر ص ٢٢٢-٢٢١. اسعاف الراغبين ص ١٩٢.

(٤) نور الابصار ص ١٢١. اسعاف الراغبين ص ١٩٣-١٩٢.

آيَاتِنَا عَجَبًا» فنطق الرأس وقال: «قتلي أعجب من ذلك» وقد روى الصَّبَّان هذه الكرامة الباهرة بهذه العبارة: «فنطق الرأس الشريف بلسانٍ عربيٍّ فصيحٍ فقال جهاراً: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي»^(١)

وقال الدميري، وتكلم بعد الموت أربعة، يحيى ابن زكريا حين ذبح، وحبیب النجار حيث قال: «يا ليت قومي يعلمون...» وجعفر الطيار حيث قال: «ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله...» والحسين بن علي عليه السلام حيث قال: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^(٢)

٢٠- يذكر صاحب كتاب «البدء والتاريخ»: في الليلة التي قتل الحسين عليه السلام في صبيحتها سمع اهل مدينة هاتفا يقول ولا يرون شخصه:

مَسَحَ الرَّسُولُ جَبِينَهُ فَلَهُ بَرِيقٌ فِي الْخُدُودِ
أَبَوَاهُ مِنْ عَلِيٍّ قَرِيشٍ وَجَدَّهُ خَيْرُ الْجُدُودِ^(٣)

٢١- روى السبط ابن الجوزي عن عبد الملك ابن هشام في كتاب «السيرة» قال: لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى موثقين في الحبال موثقين مكشفات الوجوه والرؤوس وكلما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل، ثم يعيدوه إلى الصندوق ويرحلوا فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادتهم وأسندوا الرمح إلى الدير فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس

(١) نور الابصار ص ١٢٢. اسعاف الرغبين ص ١٩٣.

(٢) حياة الحيوان ج ١ ص ٥٥.

(٣) البدء والتاريخ ج ٦ ص ١٣-١٢.

إلى عنان السماء فأشرف على القوم وقال من أنتم؟ قالوا نحن أصحاب ابن زياد. قال وهذا رأس من؟ قالوا رأس الحسين بن علي ابن أبي طالب بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال نبيكم. قالوا نعم. قال بس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكنناه أحداقنا ثم قال هل لكم في شيء قالوا وما هو. قال عندي عشرة آلاف دينار، تأخذوها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة وإذا رحلتم تأخذوه قالوا وما يضرنا فنألوله الرأس وناولهم الدنانير فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كله فلما أسفر الصبح قال يا رأس لا أملك إلا نفسي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمداً رسول الله وأشهد الله أنني مولاك وعبدك. ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت. قال ابن هشام في السيرة ثم أنهم أخذوا الرأس وساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض تعالوا حتى نقسم الدنانير لا يراها يزيد فياً أخذها منا فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحولت خزفاً وعلى أحد جانب الدينار مكتوب «و لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون»^(١) وعلى الجانب الآخر «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(٢) فرموها في نهر «برد»^(٣)

و روى هذه المعجزة ابن حجر أيضاً^(٤)

٢٢- ومن جملة معاجز الحسين عليه السلام ما نقله العلامة التلمساني في شرح الشفاء، الفصل ٢٤. ولعدم الاطالة نحيل القارئ المحترم الى الكتاب المذكور وكتاب

(١) سورة ابراهيم، الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٧٤-٢٧٣.

(٤) الصواعق ص ١٩٧.

نور الأبصار للشبلنجي. (١)

٢٣- روى أبو الفرج الاصفهاني ان رجلاً قال للحسين عليه السلام «ألا ترى إلى القُرَاتِ يا حسين كأنه بطون الحيات والله لا تذوقه أو تموت عطشاً.» قال: فوالله لقد كان هذا الرجل يطلب الماء فيسقى فيخرج الماء من فيه ثم يطلب فيسقى فيخرج الماء من فيه حتى مات عطشاً. (٢)

٢٤- نُقل عن سلمان بن يسار قال: وجدوا حجراً كتب عليه:
لأبْدٍ أَنْ تَرَدَّ الْقِيَامَةُ فَاطِمٌ وَقَصِيصُهَا بُدَمِ الْحُسَيْنِ مُلَطَّخٌ
وَيَلْ لِمَنْ شَفَعَاؤُهُ خَصَمَاؤُهُ وَالصُّورُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنْفَخُ (٣)
٢٥- روى الشبراوي والشبلنجي بحزم ان الحسين عليه السلام يرُدُّ سلام بعض العلماء في كل وقت في المشهد الحسيني في مصر. (٤)

وحكى الشبراوي أيضاً أن السلطان صلاح الدين يوسف وشي له مرة بمخادم من خدمة القصر المذكور كان بيده زمام القصور وقيل له انه يعرف موضع الاموال والدفائن التي بالقصر فأخذ وسئل فلم يذكر شيئاً وتجاهل فامر صلاح الدين بتعذيبه فاخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية ويقال

(١) شرح الشفاء. نور الابصار ص ١٢٤-١٢٣.

(٢) فضائل الطالبين ص ١١٧.

(٣) نظم درر السمطين ص ٢١٩. تذكرة الخواص ص ٢٧٤.

(٤) الاتحاف ص ٢٦. نور الابصار ص ١٢٢. لا يخفى ان احد المشاهد الشريفة المنسوبة الى راس الحسين عليه السلام مقام رأس الحسين في القاهرة وهو من المزارات المعروفة عند المسلمين، يؤمه آلاف الزائرين كل سنة، وان اهل مصر يعتقدون كل الاعتقاد به ويحترمون به كثيراً ويجللونه، وكان كبار علماء ومشايخ الازهر، وسلاطين الدولة العثمانية ومصر والحكام وعامة الناس يزورونه على الدوام.

ان هذا أشد العقوبات لانها تثقب بالرأس فلا يطيق الإنسان الصبر عليها فعل به ذلك مرارا والخنافس توجد ميتة ولا تؤذيه فاخبروا به صلاح الدين فاحضروه و قال له عرفني ما سبب هذا فقال ليس له سبب أعرفه غير أنه لما وصل الرأس الشريف الى هنا حملته بالديباج والطيب على رأسى حتى وضعت داخل الضريح فقال صلاح الدين وأى سبب أشرف من هذا وعنى عنه. (١)

٢٧- و من جملة كراماته عليه السلام ان رجلاً يقال له شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلم الكسوة الشريفة، حصل له ضرر في عينيه فكف بصره وكان كل يوم اذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف على باب الضريح الشريف ويقول يا سيدي أنا جارك قد كف بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يرد عليّ ولو عينا واحدة. فبينما هو نائم ذات ليلة اذ رأى جماعة أتوا الى المشهد الشريف فسأل عنهم ف قيل له هذا النبي صلى الله عليه وآله والصحابة معه جاؤوا والزياره السيد الحسين عليه السلام فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة فالتفت السيد الحسين الى جده صلى الله عليه وآله وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام «يا علي كحلّه» فقال سمعا وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومرودا وقال له تقدم حتى أكحلّك فتقدم فلوث المروود ووضعه في عينه اليمنى فاحس بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها الى ان مات وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين عليه السلام وكتب عليها وقفا. (٢)

(١) الاتحاف ص ٢٧. نور الابصار ص ١٢٢.

(٢) الاتحاف ص ٣٠-٢٩.

٢٨- ونقل الشبراوي كرامة أخرى للحسين عليه السلام عن الشيخ أبي الفضل نقيب الخلوتية، ملخصها ان الله تعالى عافاه ببركة التوسل وزيارة المشهد الحسيني من مرض عضال اعين الأطباء علاجه. (١)

٢٩- روى أبو الفرج الاصفهاني عن القاسم بن الاصبع بن نباته قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وكنت أعرفه جميلاً، شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفتكَ، قال: إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصيح، فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي. قال: و المقتول العباس بن علي عليه السلام. (٢)

و لا يخفى على القارى العزيز ان كرامات و معجزات سيد الشهداء عليه السلام في كتب الفريقين كثيرة جداً، و من اراد المزيد عما ذكرناه فليراجع كتاب المناقب لابن شهر آشوب و البحار للمجلسي و العوالم للبحراني و كتب اخرى.

الفصل ما شهدَتْ به الاعداء

إنَّ في وجود كلِّ إنسان بصيص نورٍ من عالم الغيب و مصباحٌ يسوقُه إلى الحقيقة و العدالة و الامانة.

و هذا النور يصل اليه من عالم الغيب و بالامداد الالهي، و يشتدُّ و يقوى اثر

(١) الاتحاف ص ٣٠.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١١٨. و هذه المعجزة و ان كانت من كرامات ابي الفضل العباس عليه السلام لكن المؤلف لم يجد بداً من تسطيرها و عذها من معاجز الحسين عليه السلام بمناسبة الارتباط بين الاخوين و الاولوية.

الاعمال الصالحة والعلم والمعرفة والتربية المستقيمة، وتصل قوته أحياناً إلى الاحاطة بتمام باطنه الواسع وإضاءته إلى درجة انعدام كل الظلمة في نفسه.

كما أن سوء التربية والانغماس بالقبائح والشهوات والاقبال على الماديات وإهمال التعلم والاطلاع على الحقائق والمعارف والمعقولات يوجب ازدياد سمك الحجب والاعشية التي تمنع القلب عن البصيرة.

كما ان الاشتغال بالمناهي والملاهي وحب الدنيا والمال والجاه والمقام والشهوات يُنسي الإنسان الحقائق ويُنسي مصيره وما يؤول إليه أمره ومستقبله الذي ينتظره.

ولكن، وحتى في هذه المرحلة المظلمة، ومهما هوى الإنسان في السقوط وحتى لو صار مصداقاً لقوله تعالى: «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ»^(١) يبقى بصيص أمل لعودته ويبقى بعض المنافذ والشبائيك مفتوحة في وجوده تُرجعه إلى عالم الغيب والحقيقة، ويبقى خلاصه من متهاتات السقوط والانحدار ومن ظلمات الشهوات الحيوانية، ممكناً غير مستحيل.

وسواء سميتم ذلك بالإدراك أو الوجدان الواقعي للإنسان أو غريزة حب الحقيقة أو الفطرة أو أي اسم آخر فالهم هو وجودها في الإنسان مهما انحدر، فهذا البصيص من النور وحتى لو كان ضعيفاً وخفيفاً، يتجلى في باطن الإنسان ويُشعره بمسئولية تجاه ربه ويُتمُّ الحجة عليه إلى درجة ان الناس جميعاً يتوقعون منه القيام بتكاليفه ووظائفه واحترام شرف إنسانيته، والأكان مستحقاً للملامة والذم والتوبيخ، بل ومستحقاً للعقاب والتأديب في نظر العقلاء.

و نلاحظ أيضاً إنَّ أولئك الذين يخالفون الانبياء و المناهج السماوية الداعية الى الحق و العدالة و الحرية ، و في اشدِّ ساعات المواجهة بينهم ، تصدر عنهم احياناً و بلا ارادة بعض عبائر المدح و الثناء للانبياء فتتصرف فيهم فطرتهم السليمة و تؤثر فيهم الحقيقة و المعنويات و الطهارة فتراهم أحياناً يبكون و يتالمون للانبياء ، و لكنهم يعودون الى ما يقتربون من ذنوب و معاصي و اضطهاد للاخيار و كأن هزّة باطنية تعتورهم و تبعدهم عن واقعهم المرير ، ثم يلتفتوا الى 'حالمهم فيعودوا لما نهوا عنه و يرجعون الى الدرجة الاولى في السُّلْم و الى قلعة الانانية و الانكار و التردد . و تاريخ الإسلام مشحون باقرارات و اعترافات أشدَّ اعداء الرسول الاكرم ﷺ و الائمة الطاهرين باحقية هؤلاء الاطهار و صحة منهجهم و سبيلهم .

نعم ، إنَّ اعداء أهل البيت عليهم السلام ، و الحاقدين و المتعصين و عبدة الدنيا و المغرورين الذين اضطهدوا اهل البيت عليهم السلام ، يشهدون في مواقع عديدة بفضيلة و حقانية أهل البيت و يقرّون ببطلان أنفسهم و يعترفون بان حبّ الدنيا أو العناد و اللجاجة هي التي دفعتهم الى انكار حق اهل البيت عليهم السلام . اقرأوا قصة أبي سفيان و الاخنس و ابي جهل في سيرة حياة النبي الاكرم ﷺ و كيف انهم كانوا يأتون في الليالي الظلماء و بعيداً عن الانظار و في الخفاء ، لكي يستمعوا الى آيات القرآن المجيد من لسان النبي ﷺ ، و في النهار يعودون الى محاربتة و انكاره و ايدائه .

و إنَّ من عزل علياً عليه السلام عن ساحة الاحداث و اجلسه الدار ، كان يعترف بفضائل و مقام علي عليه السلام و كان يعترف بان علياً هو الاكفأ و الاقدر و الأنسب من بين كل المسلمين بهذا الأمر و هذا معاوية و عمرو بن العاص و في حياة أمير المؤمنين علي عليه السلام و بعد شهادته ، و في مجالسهم الخاصة و العامة احياناً ، يعترفون بفضائل و

مناقب علي عليه السلام وعلمه وورعه وتقواه، وتارة كان معاوية يبكي عندما يذكر مناقب أمير المؤمنين و يترحم عليه!!

وهذا مروان بن الحكم يشترك في تشييع الإمام الحسن عليه السلام وعندما يُسأل: كنت تجرعه الغصص في حياته و اليوم تمشي في جنازته؟ فيقول: كنت افعل ذلك مع من كان حلمه يوازي الجبال.

وهذا عبد الملك بن مروان، و عندما واجه مشكلة ضرب النقود العويصة كما يذكر ذلك البيهقي و الدميري- اضطر الى التماس محمد بن علي الباقر عليهم السلام و اخذ الحل من علمه الجم، وهكذا كان فقد علمه الإمام الباقر عليه السلام حل تلك المعضلة. (١)

وها هو المنصور الدوانيقي الذي قتل ذراري رسول الله السادات بافجع صور القتل و أبشعها، و طبقا لوثق النقولات المعتبرة أنه دس السم للإمام الصادق و قتله، نفس هذا السفاح و طبقا لما يذكره اليعقوبي (٢) عن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، ان المنصور بكى على الإمام الصادق عليه السلام حتى ابتلت لحيته من دموع عينيه و كان يقول: انه كان سيد أهل بيته و بقية الاخيار منهم و انه ممن نزل فيهم قوله تعالى:

«ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» (٣)

وهذا هارون الرشيد يعترف و يُقر بمقامات موسى بن جعفر عليه السلام و ما ذكره المأمون من قصة احترام هارون الرشيد للإمام موسى بن جعفر و تبجيله، مشهورة

(١) المحاسن و المساوي ج ٢ ص ٢٣٦-٢٣٢. حياة الحيوان ج ١ ص ٦٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٧.

(٣) سورة الفاطر، الآية ٣٢.

و معروفة .

وهكذا سائر الائمة عليهم السلام يحدثنا التاريخ أنَّ خلفاء زمانهم واعدائهم قد اعترفوا بفضلهم و مقامهم و علمهم و اهليتهم لحلّ المعضلات من المسائل و أنَّ اولئك الخلفاء كانوا يلوذون بهم ساعات الابتلاء و الشدائد .

و لا يخفى أنَّ اكثر الاعترافات و الاقرار من هؤلاء الظلمة كان من باب السياسة و خداع الرأى العام و رعاية للمصالح الشخصية و النفاق و المراء لاستغلال الناس ، و لكنها مع كل ذلك كانت شهادة الاعداء بحسن قبول الناس لاهل البيت و حُسن سيرة المعصومين و اتفاق الناس على اهليتهم و صلاحيتهم بل اسبقيتهم على الآخرين في كل المجالات الى درجة عجز اعدائهم عن اخفائه .
و الفضلُ ما شهدت به الاعداء .

و ما ذكرناه من اعتراف الاعداء ، ينسحب الى اعداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام بوضوح ، يقول الاستاذ عباس محمود العقاد : و لكنَّ الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين عليه السلام كان جيشاً يحارب قلبه لاجل بطنه و أويحارب ربّه لاجل واليه اذ لم يكن فيهم رجلٌ واحد يؤمن ببطلان دعوى الحسين عليه السلام أو رجحان حقّ يزيد ، و لم يكن فيهم كافر ينفع عن عقيدة غير عقيدة الإسلام إلّا من طوى قلبه على كفر كمين هو مخفيه و لا نخالهم كثيرين ...

و لو كانوا يحاربون عقيدة بعقيدة ، لما لصقت بهم وصمة النفاق و مسبّة الاخلاق ، فعداوتهم ما علموا أنّه الحق و شعروا أنّه الواجب أقبح بها من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله و معرض عنه بشعوره لأنهم يحاربون الحقّ و هم يعلمون .
و من ثمَّ كانوا في موقفهم ذلك ظلّاماً مطبقاً ، ليس فيه من شعور الواجب بصيصٌ واحدٌ من عالم النور و الفداء ، فكانوا حقّاً في يوم كربلاء قوة من عالم الظلام

تكافح قوة من عالم النور. (١)

وروى ابن أعثم أنه لما ورد كتاب يزيد بن معاوية الى الوليد بن عقبة والذي يأمره فيه بقتل الحسين بن علي عليه السلام ويعدّه بالامارة والجائزة، اغتم الوليد لذلك و قال: « لا حول ولا قوة الا بالله »

و الله لو ان يزيدا اعطاني الدنيا بما فيها لما اشتركت بقتل الحسين ابن رسول الله. (٢)

يقول الدينوري: عندما اقترح مروان بن الحكم على الوليد، قتل الحسين قال:

« وَنَحْكَ أَتُشِيرُ عَلَيَّ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَ اللَّهِ إِنْ الَّذِي يُحَاسِبُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَخَفِيفُ الْمِيزَانِ عِنْدَ اللَّهِ » (٣)

وهذا يدل على مدى تعجب واستغراب الوليد من جرأة مروان وقلة حيائه، ولم يتوقع حتى من مثل مروان المنافق الحاقد، التفكير في قتل مثل الحسين.

يقول السبط ابن الجوزي، قال الوليد لمروان:

« وَ اللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَإِنِّي قَتَلْتُ حُسَيْنًا. » (٤)

وروى ابن الاثير ان الوليد قال:

« وَ اللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَ مَا غَرَبَتْ عَنْهُ مِنْ مَالِ الدُّنْيَا وَ مُلْكِهَا وَ إِنِّي قَتَلْتُ حُسَيْنًا أَنْ قَالَ لَا أَبَايَعُ وَ اللَّهِ إِنِّي لَا ظَنَّ أَنْ أَمْرًا يُحَاسِبُ بِدَمِ

(١) ابو الشهداء ص ١٣٧.

(٢) تاج ابن أعثم ص ٣٤٥.

(٣) الاخبار الطوال ص ٢٠٨.

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٤٧.

الحُسَيْن لَخْفِيف المِيزَان عند الله يوم القيامة .»^(١)

و روى الخوارزمي ان مروان حَذَّر الوليد من التمرّد على امر يزيد بقتل الحسين عليه السلام فقال له الوليد:

« مَهْلًا وَيَحْكَ دَعْنِي مِنْ كَلَامِكَ هَذَا ، وَأَحْسِنِ الْقَوْلَ فِي ابْنِ فَاطِمَةَ فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ وَلَدِ النَّبِيِّينَ . »^(٢)

ونقل الخوارزمي أيضاً أن الوليد لما علم بخروج الحسين عليه السلام الى العراق كتب الى ابن زياد:

« أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ وَهُوَ ابْنُ فَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاحْذَرِ يَا بَنَ زِيَادٍ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ فَتُهَيِّجَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَا لَا يَسُدُّهُ شَيْءٌ وَلَا تَنْسَاهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ أَبَدًا مَا دَامَتِ الدُّنْيَا . »
ثم يقول الخوارزمي بعد نقل ذلك: « فَلَمْ يَلْتَفِتْ عَدُوُّ اللَّهِ إِلَى كِتَابِ الْوَلِيدِ . »^(٣)

ويقول ابن الاثير استمهل عمر بن سعد عبيد الله بن زياد يوماً حتى ينظر في امره بقتل الحسين عليه السلام ، فانصرف عمر يستشير نصحاءه ، فلم يكن يستشير احداً الا نهاءه و جاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن اخته فقال: انشدك الله يا خال ان تسير الى الحسين عليه السلام فتأثم بربك و تقطع رحمك! فوالله لان تخرج من دنياك و مالك و سلطان الارض كلها لو كان لك خير من ان تلقى الله بدم الحسين!^(٤)

(١) الكالم ج ٣ ص ٢٦٥ .

(٢) مقتل الخوارزمي ص ١٨١ .

(٣) مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٢٢١ ف ١١ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦١٠ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٨٣ .

قال ابو زهير العبيسي: سمعت شيبث ابن ربعي ايام اماراة مصعب يقول: لا جزا الله اهل الكوفة خيراً، ومنعهم الرشاد، ألا تعجب اننا قاتلنا علياً و من بعده ابنه، و نصرنا آل ابي سفيان، ثم نصرنا آل معاوية و ابن سمية علي ابن علي و هو خير اهل الارض؟! «ضلال ياله من ضلال»

و روى ابن سعد في الطبقات: ان مرجانة ام عبيد الله بن زياد قالت لابنها: يا خبيث قتلت ابن بنت رسول الله، و الله لا ترى الجنة ابداً»^(١)

قال حميد بن مسلم: كان لي صلبه مع عمر بن سعد فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله فقال لا تسئل عن حالي فانه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعت به قطعت القرابة القريبة و ارتكبت الأمر العظيم.^(٢)

و لما قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلى أهله و هو يقول في طريقه: «ما رجع أحد مثل ما رجعت أطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر و عصيت الحاكم العدل و قطعت القرابة الشريفة».

و هجره الناس و كان كلما مرّ على ملأ من الناس أعرضوا عنه و كلما دخل المسجد خرج الناس منه و كل من رآه قد سبه فلزم بيته إلى أن قُتل.^(٣)

و روى ابن الاثير و الطبري:

دخلوا (القوم الذين جاؤوا برأس الحسين عليه السلام من الكوفة) على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه و حدثوه الحديث قال: فسمعت دَوْر الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ -و كانت تحت يزيد بن معاوية- فتقنعت بثوبها و خرجت فقالت:

(١) تذكرة الخواص ص ٢٦٩.

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٣٢.

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٦٩.

يأمر المؤمنين بأرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله قال: نعم، فأغولي عليه و
حُدِّي علي ابن بنت رسول الله و صريخة قريش عجل عليه ابن زياد فقتله قتله
الله. (١)

و حتى ابن زياد لما رأى اعتراضات الناس وسخطهم عليه و ان نفرة
المسلمين و لعنتهم لحقت به ، حاول التبري من دم الحسين عليه السلام ، حتى انه
حاول اتلاف كل كتبه التي وجهها الى ابن سعد و غيره فيما يرتبط بقتل سيد شباب
اهل الجنة عليه السلام ، قال هشام : عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٨ . الكامل ج ٣ ص ٢٩٨ .

لا يخفى ان مثل هذه الاقوال انما تصدر من امثال هؤلاء الارجاس كيزيد و عمر بن سعد و
شيث و غيرهم ، لا تدل بحال من الاحوال على توبتهم و ندمهم على قتل الحسين عليه السلام بل هي
دليل على شدة اعتراض المسلمين عليهم و تنفرهم من عملهم ، فارادوا بذلك تهدئة مشاعر
الناس ضدهم . ان يزيداً رأى ان قتل الحسين عليه السلام قد اثر حتى في داخل بيته و نسائه
فاعترضن عليه ، و أحس بخطر الانقلاب عليه من كل طبقات المجتمع حتى المجتمع الشامي
الحاقدين على أهل البيت . و كيف نحكم بندم يزيد و هو الذي اكرم عبيد الله بن زياد بعد قتل
الحسين عليه السلام و كافاه و قرّبه بدلاً من توبيخه و عزله و معاقبته ، فكيف يصح القول ان يزيد
برئ من دم الحسين عليه السلام ؟! أبداً ، و كما ورد في خطبة عقيلة الهاشمية التاريخية الشريفة حين
ذكرت ان يزيد كان فرحاناً مسروراً شامتاً بقتل الحسين عليه السلام انتقاماً لاشياخه المشركين في
بدر .

و هذا عمر بن سعد ، فضافاً الى انه صار معرض ذم المسلمين و انكارهم له ، و لم يصل الى ما
كان يصبو اليه من حكومة الري ، و لذا ندم على ما قام به بعد خسارته ما من اجله قتل
الحسين عليه السلام ، و لكنه لو كان قد حصل على ولاية الري و تمكن من قمع معارضيه و الناقين
عليه لقتله سيد شباب اهل الجنة ، لما كان قال ما قال من مظاهر الندم ، و لما توانا و تباطئ عن
القيام بامثال ما قام به في كربلاء ، لو أمر به ثانياً و ثالثاً و رابعاً ، و بكل ميل و رغبة .

إذن ، ما ورد من هذه الاقوال و الخطب انما هي لاستغفال المسلمين و امتصاص نقماتهم و
التخفيف من وطأة الحدث المريع .

قتله الحسين عليه السلام: يا عمر اين الكتاب الذي كتبتُ به اليك في قتل الحسين؟

قال: مضيتُ لامرك و ضاع الكتاب! قال: لتجيئي به. قال: ضاع! قال: والله لتجيئي به. قال: ترك والله يُقرأ على عجايز قريش اعتذاراً اليهنَّ بالمدينة، أما والله لقد نصحتُك في الحسين نصيحةً لو نصحتها أبي سعد بن ابي وقاص كنتُ قد اديت حقه.

قال عثمان بن زياد اخو عبيد الله: صدقَ والله، لوددتُ أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلا وفي أنفه خِزامةُ الى يوم القيامة وأنَّ حُسيناً لم يُقتل. قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله. (١)

روى ابو مخنف: قال الناس لسنان بن أنس: قتلتَ الحسين عليه السلام بن علي وابن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ؟ قتلت اعظمَ العرب خطراً، جاء الى هؤلاء يريد ان يزيلهم عن ملكهم، فأت امراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً.

فاقبل على فرسه وكان شاعراً وكانت به لؤثة (٢) فاقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر ابن سعد ثم نادى باعلى صوته:

أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً أَوْ ذَهَباً أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَبَّبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمَ إِذْ يُسْبُونَ نَسَبًا

فقال عمر بن سعد: أشهدُ إنَّك لمجنون ما صحَّحتَ قُطْ، أدخلوه علي فلما دخل حَدَفَهُ بالفضيب ثم قال: يا مجنون أتنكلم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٦٠.

(٢) مسي من المجنون.

لضرب عُنُقكَ. (١)

و مع هذا التنبيه من عمر ابن سعد بسنان، نجد ان خولى بن يزيد حينما جاء الى عبيد الله بن زياد برأس الحسين، أنشد نفس هذه الابيات (٢)
وروى السبط بن الجوزي ان عمرو بن حريث وكان من خواص زياد وابنه عبيد الله قال لابن زياد:

قد بلغت حاجتك من هذا الرأس فهب لى ما القيت منه فقال: ما تصنع به؟ فقال اواريه. فقال: خذه. فجمعه في مطرف خزكان عليه و حمله إلى داره فغسله و طيبه وكفنه ودفنه عنده في داره وهي بالكوفة تُعرف بدار الحز، دار عمر بن حريث المخزومي. (٣)

و لا تَعَجَّبْ لذلك حتى لو كان عمرو بن حريث في عداد حزب بني أمية و تحت إمرة عبيد الله بن زياد، لان أمثال هؤلاء كانوا يتقيدون بالدين و لو ظاهراً - مادام لا يعارض مصالحهم الدنيوية، فاذا وقعت المعارضة باعوا دينهم بدنياهم بل حتى بدنيا غيرهم، و امثال هؤلاء كثيرون حتى في زماننا. ان عمرو بن حريث كان يُقدس لحم رأس الحسين، و لعله كان يعتقد ان في ذلك بركة لبيته، ولكنه مع ذلك

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٤٩.

(٢) اسد الغابة ج ٢ ص ٢١. يقول ابن حجر في الصواعق: ان قاتل الحسين جاء الى ابن زياد و انشد:

إملاً ركاى فضةً أو ذهباً فقد قتلُ الملك المحجبا
و من يصلي القبليتين في الصُّبا و خَيْرُهُم اذ يذكرون التسبا

فغضب ابن زياد و قال له: اذا كنت تعلم ذلك فلماذا قتلته؟
ثم امر به فضربت عنقه. خسر الدنيا والآخرة.

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٧٠.

كان يُعين قاتل الحسين عليه السلام !!

و في زماننا يوجد بعض الناس يقدسون اهل البيت عليهم السلام و يظهرون المودة و الحب لهم ، لكنهم يحاربون مبادئ و اهداف اهل البيت عليهم السلام ، سيكون لأسر زينب و اخوات زينب من بنات الرسالة ، لكنهم لا يكثرثون لستر نساءهم و حجابهنّ ، و يتبركون بالقرآن و يباركون اولادهم بحمل القرآن و تعليقه على صدورهم ، و يتحرزون به عند سفرهم و لكنهم يخالفون احكام القرآن الكريم . هذه هي الحقيقة المرة و هي ان هؤلاء لو كانوا في زمن يزيد لكانوا من جنده و لم يتوانوا عن سلّ سيفهم في وجه الحسين عليه السلام و هؤلاء هم الذين وصفهم الحسين بروحى فداه بقولهك

« الناس عبيد الدنيا و الدّين لَعَقُ على ألسِنَتِهِمْ فاذا محصّوا بالبلاء قَلَّ

الدّيانون . »

« أُنْفُ لِمِثْلِ هؤلاء المسلمين و أُنْفُ لِمِثْلِ إسلامهم ! »

انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام

استقبل المسلمون في كل بلدانهم نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بلوعةٍ و تأسفٍ شديدين، فما من خبرٍ سمعه المسلمون بأكثرُ أسأً و حُزنًا من خبر قتل السبط الوحيد لخاتم النبيين و سيد المرسلين محمد ﷺ.

فصحيحٌ أنَّ خبر هذه الواقعة الفجيعة لم يصل في البدء الى اِسماع كل المسلمين خاصة تلك المناطق التي كانت تصلها موجات الدعاية و الاعلام الاموي التي تبثها قنوات التضليل و وضع الاحاديث المختلفة مثل المناطق التي كانت السلطة الاموية تحكم السيطرة عليها و تضبط الاخبار الواصلة اليها- ولكن بعد ذلك بأيام و نظراً للدور الاعلامي المبرج الذي لعبته قافلة الاسارى من كربلاء الى الكوفة و الى الشام ثم الى المدينة، و الخطب التي سمعها الناس من بنات الرسالة و الإمام السجاد، و حركة انتقال المسافرين بين بلدان العالم الاسلامي آنذاك، بعد كل هذا وقف المسلمون على قبح الجريمة التي اقترفتها الايادي الاموية، و عَمَّت موجة الغضب و التذمر و السخط على يزيد و ولاته و عمّاله، اكثر المرافي الإسلامية.

و لا نبالغ إذا ما قلنا إنَّ الظروف السياسية و الاجتماعية و الاخلاقية التي قتل فيها الحسين عليه السلام كانت الى درجة من الارهاب و الاستبداد بحيث لو أنَّ نبياً من الانبياء كان قد قتل فيها، لم يكن ليصل نبأ مقتله بسرعة الى كل العالم الاسلامي و لم تكن له انعكاسات واسعة أكثر من انعكاس خبر قتل الحسين عليه السلام، فأمور و السلطة الجائرة و مرتزقتهم و جواسيسهم و وعاظ سلاطينهم و عملاؤهم كانوا قد ملاؤا

الافاق، يرفعون التقارير بكل صغيرة وكبيرة وجلاوزة الحكومة يُلقون القبض على 'من يُظنُّ بانه مخالف لهم و يزجون به في غياهب السجون و المطامير تحت اشد أنواع التعذيب والتنكيل، وفي مثل هذه الظروف كيف نتوقع انتشار نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في الآفاق بسرعة اكبر مما كانت عليه؟

لقد عضَّ الصديق و العدو، العالم و الجاهل، الرجل و المرأة، على أصابعهم دهشة و حيرة من هذه الجسارة على الله و رسوله و هتك حرمة و تعجبوا من تلك القسوة و الوحشية التي مورست بحق ابن بنت رسول الله من قبل اتباع بني أمية في كربلاء.

فبعض الناس، مثل عبد الله بن عمر، لم يُصدِّق خبر إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام و جسارة هؤلاء الاشرار بساحة رسول الله صلى الله عليه وآله مع انه كان قد سمع بخبر إستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في محرابه.

و الحق، أنَّ قتل الحسين عليه السلام بتلك الطريقة و ذلك الاسلوب الوحشي و بتلك الحسنة التي تصرَّف بها قاتلوه، لازال الى اليوم مثاراً للاستغراب و الدهشة، إذ كيف يعقل مثل ذلك و لم يمض على رحيل النبي محمد صلى الله عليه وآله الى الملأ الاعلى اكثر من خمسين سنة فقط إلا و قد انتشرت مبادؤه و تعاليمه و رسالته بسرعة عجيبة الى اسماع كل العالم يومذاك، وإن الفتوحات الإسلامية كانت قد اتسعت لتقتض مضاجع المشركين و عبدة الاوثان و السلاطين و الملوك و الاكاسرة، حتى وصل الإسلام الى آسيا الوسطى و افريقيا، و اعتنق سكان الكثير من بلدان العالم الإسلام و ازدادت يوماً بعد يوم محبة النبي في القلوب بسيرته المحسنة الشريفة و نبيل اخلاقه و صفاته.

ذلك النبي الذي فتح أمام قومه بل لكل البشرية أبواب الهداية و الرحمة و العزة و السعادة و الغنى و الثروة و خير الدنيا و الآخرة، أنقدهم من الجهالة و

الفجور، وأخرجهم من الظلمات الى النور و من الموت الى الحياة و من الذلة و المهانة الى الشرف و الرفعة، لم يمض على وفاته اكثر من خمسين سنة فقط، واجتمع نفرٌ من الاشرار و المنافقين من أمته، و من الذين يشهدون بلسانهم بنبوته خمس مرات باليوم، من الذين اصبح الإسلام و منهج النبي السماوي، راسمال عزّتهم و مجدهم و قدرتهم، اجتمعوا لارتكاب اكبر جناية في التاريخ الانساني، فقاموا بقتل ابن ذلك النبي و عزيزه و من يمثل الامتداد الطبيعي له في حياة المسلمين و عزّتهم و افتخارهم، و الذي كان مظهرًا لكل الكمالات الإنسانية، و الذي كان مجاهدًا في سبيل نجاة الامة، قتلوه في جملة من أهل بيته و أطفاله و عدة من اصحابه و هم خيرة أوتاد الارض و قراء القرآن، العباد و الزّهاد، معلموا الاخلاق الإنسانية الفاضلة العظام، و أدلة المجتمع في طريق السعادة، و نماذج صفاء و نقاء و طهارة ملائكة الرحمن في الارض، بعد أن حاصروهم في صحراء قاحلة، و منعوهم الماء المباح حتى للحيوانات، ثم قتلوهم بافجع طريقة عرفها التاريخ.

ألا يحق لنا وللجميع ان يستغربوا ذلك؟

اذ لم يكن من المتوقع أن تصل الخيانة و الوحشية و نكران الجميل و الطعن من الخلف الى هذه الدرجة من اللؤم و الخسّة.

و لم يكن متوقعاً أن تسقط البشرية الى اسفل درجات الانحطاط الاخلاقي. لقد كان الأمر مذهلاً للعقول و محيراً للأفكار، خاصة و إنّ الكثير من قتلة الحسين عليه السلام كانوا قد كاتبوه و دَعَوْه و بايعوه، و كانوا على يقين من علو قدره و مقامه و فضله بل كانوا يعرفون أنّه الاكثر فضلاً و إستحقاقاً من سائر البشر أجمع. كان الأمر مذهلاً و محيراً، و قد إنكشف اولئك الأشرار، المقنّعين بقناع الدين و الشرف و ظهوروا على حقيقتهم و كيف إنهم باعوا دينهم و باعوا شرفهم و باعوا

ضماثرهم بثمان بَحْس، وقد أقرّوا بأنفسهم بجنايتهم وخسّتهم، فبقيت وصمة عارٍ في جبينهم إلى يوم القيامة. لما سمع أبو عثمان عبد الرحمن الهندي، الذي اسلم زمن النبي واشترك معه في عدة حروب، وصاحب سلمان الفارسي مدة اثني عشرة سنة وكان معروفاً بالعبادة وقراءة القرآن، عندها علم بذلك هجر الكوفة وقال:

لَأَسْكُنُ بَلَدًا قُتِلَ فِيهِ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١)

و روى ابن سعد إنّ أمّ سلمة سالت النبي ﷺ قالت متعجبةً:

«أوقد فعلوها؟ ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ثم بكيت حتى غشي عليها». (٢)

وكان الحسن البصري يقول:

لو كنتُ مع قتلة الحسين عليه السلام أو مع من رضي بقتله، ما دخلتُ الجنةَ حيّاً من رسول الله ﷺ وخوفاً من نظره إلى بعين الغضب» (٣)

وحكى الزهري:

«لما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين عليه السلام بكى وقال: لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله ﷺ لأحبهم وأطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه». (٤)

وقال يحيى بن الحكم (٥) لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين ودخلوا مسجد دمشق قال لهم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتيناً

(١) اسد الغابة ج ٣ ص ٣٢٥.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٧٧.

(٣) نور الابصار ص ١٠٦. الاتحاف ص ٢٤. ونقل مثل هذا الكلام عن ابراهيم التخمي.

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٧٨.

(٥) وهو اخو مروان بن الحكم، و مروان هو الذي رغب الوليد بقتل الحسين عليه السلام.

والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا . فقال :

« حُجِّبْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَنْ أَجَامِعَكُمْ عَلَى أَمْرٍ أَبَدًا »

ثُمَّ قَامَ فَانْصَرَفَ . (١)

ويحییٰ هذا هو الذي انشد تلك الابيات المعروفة في مجلس يزيد .

قال ابو مخنف : حدثني ابو جعفر العبيسي عن ابي عمارة العبيسي قال : فقال

يحيى بن الحكم اخو مروان بن الحكم :

لَهَامٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ أَدْنَى قَرَابَةٍ

مِنْ ابْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي الْحَسَبِ الْوَعْلِ (٢)

سُمِّيَتْ أُمْسَى نَسَلُهَا عَدَدَ الْحَصَى

وَبَنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلٌ

فقال : فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال : إِسْكُتْ . (٣)

وأمثال يحيى بن الحكم كثيرون في حاشية بني امية ومقربهم ، وقد هزَّتهم فاجعة كربلاء ولم يكفوا السنتهم عن ذم قتلة الحسين عليه السلام ولم يسكرتوا على العار الذي لحق بهم جرأ ارتكاب بني امية واعوانهم ، بل حتى حريم القصر ونساء يزيد ، علَّتْ صيحاتهنَّ وصراخهن وبكائهن على الحسين عليه السلام كما اشرنا سابقاً ، ولا عجب في ذلك ، فان من حَمَلَ ذَرَّةً من الإسلام ، وشَمَّ قليلاً من رائحة الدين ، لا يتحمل السكوت عن مثل هذه الجريمة البشعة بقتل أولاد النبيين وأسر نسائهم ، دون أن يُصَبَّ جام لعنته على مقترفيها .

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٥٨ .

(٢) الوغل : الخسيس .

(٣) الطبري ج ٤ ص ٦٥٤-٦٥٥ ، طبعة بيروت .

قال عبد الله بن الزبير:

«لقد اختار الحسين الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، وأخرى قاتل الحسين، فلعمري لقد كان من خلافهم إتياء وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم، ولكنه ما همم نازل، وإذا أراد الله أمراً لن يُدفع. أفبعد الحسين عليه السلام نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا، ولا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوا طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبدل بالقران الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحياء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد- يعرض بيزيد- فسوف يلقون غيًّا»^(١)

وقال ابن عباس: رأيت النبي فيما يرى النائم نصفَ النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، قلت: بابي وأمي أنت يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذا دمُ الحسين لم أزل التقطه» فلما استيقظت وجدته قد قُتل في ذلك النهار.^(٢) وقال الزهري:

لما بلغ الحسن البصري قتل الحسين عليه السلام بكى حتى اختلج صدغاه، ثم قال: واذل أمة قتل ابن بنت نبيها ابن دعيها، والله ليردن رأس الحسين إلى جسده ثم لينتقم له جدّه وأبوه من ابن مرجانة.^(٣)

و روي أن زوجة كعب بن جابر الذي قتل برير عليه السلام قالت له: نصرت قتلة الحسين ابن فاطمة وقتلت برير سيد القراء! والله لا اكملك من راسي كلمة بعد

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٦٨-٦٦٧.

(٢) الاصابة ج ١ ص ٣٣٥ - ١٧٢٤. الاستيعاب ج ١ ص ٣٨١. الاتحاف ص ١٢.

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٧٨.

اليوم. (١)

لقد كان قتل الحسين عليه السلام ثقیلاً جداً على وجدان الناس ونفوسهم الى درجة إنَّ نفس قتلة الحسين الذين حضروا كربلاء من أجل الغنائم وطمعاً بالمناصب و الدراهم، و على الرغم من تعلقهم الكبير بحفظ مناصبهم في اجهزة الدولة و مؤسسات الحكم الاموي، لم يتمكنوا من إخفاء عظم الجرم الذي ارتكبه، فكانوا يستشعرون خستهم و قبح ما ارتكبه و من هنا نجد الواحد منهم يحاول جاهداً القاء اللوم على الآخرين و التبرئ من فداحة الجريمة التي اقترفوها.

يقول الشبراوي:

و لما ضعف جسم الإمام الحسين عن النهضة بالجراحات حمد الله تعالى و أتى عليه ثم قال: « اللهم اني اشكو اليك ما يُصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عددا و اقتلهم مددا و لا تبق منهم أحداً ». و اقبل شمر في نحو عشرة الى منزل السيد الحسين و حالوا بينه و بين رحله و قدموا عليه و هو يحمل عليهم و قد بقي في ثلاث نفر من أصحابه و مكث طويلا من النهار و لو شاؤوا أن يقتلوه لقتلوه و لكنهم كان يتنني بعضهم ببعض و يحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادى شمر في الناس و يحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك التميمي بكفه اليسرى فصار يقوم و يكبو بقوة جاش و ثبات جنان و فضل شجاعة و عدم مبالاة بما فيه من الجراح بشهادة قرشية و عزة هاشمية غير مكترث ذلك الاسد الوثاب بنهش تلك الكلاب غير أنَّ الاقدار الازلية و الحكمة الالهية اقتضت اظهار هذا الخطب الجسيم و الصدع العظيم تنبيها على حقارة هذه

الدار وأنها إنما خلقت مطبوعة على الاكدار وليتأسى بهذه المصيبة المصابون وينال هذا الإمام مقام الشهادة الذي يتنافس فيه المتنافسون والافن أكرم على الله سبحانه من بضعة حبيبة المجتبي و سبط الرسول المصطفى ﷺ ومن المعلوم قدرته سبحانه على نصره على أعدائه وكف أسلحتهم عنه ودفع ضررهم و شرهم

«لَكِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ»^(١)*

لقد كان وقع المأساة عظيماً الى درجة لف الحزن بهاكل العالم الاسلامي، اذ ان موت عالمٍ روحاني متحرق الى هداية المجتمع، مجاهدٍ في تربية النفوس و تهذيب الارواح و تكميلها و تعليم الاخلاق الفاضلة، لمقرحٌ للجنون و مسبلٌ للعيون.

و إن فقدان مرجع ديني و زعيمٍ روحي لمحرقٍ للقلوب أساً و حزناً، فكيف بفقدان الحسين عليه السلام؟!

وكلنا شاهدنا كيف إن ارتحال الزعيم الكبير و المجاهد، استاذنا المعظم آية الله السيد البروجردي قرس سره، قد هز العالم الإسلامي و عمّ الحزن و المآتم انحاء البلاد، فكيف بقتل ابن فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ؟!

فللوقوف على عظم مأساة و مصيبة الحسين عليه السلام و ما تركته من أثر و حزن و انعكاس في اعماق الناس و أنفسهم، لابد من التوسل بالمقاييسه بفقد هؤلاء العلماء، و الاستعانة بهذا الميزان مع الاحتفاظ بالفارق الكبير و البون الشاسع بين القضيتين.

فاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام و أولاده و إخوته و أبناء اخوته و أبناء أخواته، و كلهم من أبناء بيت النبوة، و جواهر بحر الهداية و التقى، لا يقاس أبداً

(١) الاتحاف ص ١٧-١٦.

(*) اقتباس من قوله تعالى «لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْتَلُونَ» سورة الانبياء الآية ٢٣.

بموت عالم عاش حياته على بركات مائدة آل محمد، خاصة إن قتل الحسين عليه السلام لم يكن قتلاً مماثلاً لما عليه القتل في الحروب، وإنما قُتل الحسين واطفاله عطاشاً مُنعوا حتى من الماء المباح للحيوانات.

وإستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترناً بقتل و ذبح الاطفال الرضع بابشع و أخس اساليب القتل!!

وإستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترناً بجريان خيل الضلال على صدره الشريف!!

وإستشهاد الحسين عليه السلام التوأم مع سلب ملابسه و ثيابه و قطع رأسه و اصبعه!!!

وإستشهاد الحسين عليه السلام تبعه الغارة على أخبية بنات محمد و علي و فاطمة و سلب النساء و البنات حليهن و أقراطهن بقسوة و وحشية!!

وإستشهاد الحسين عليه السلام المتعقب بأسر مخدرات الوحي و عقائل النبوة، و هتك ستور حرم العصمة و الجلالة.

أجل، لا يمكن قياس أي واحدة من هذه المصائب بالمقياس العادي كفقْد عالم كبير أو مرجع، بل تعجز كل المقاييس عن بيان فداحة هذا المصاب الجلل، و تبقى كل الموازين صغيرة محدودة تضيق عن كشف ثقل هذه الحادثة الاليمة بأبعادها الكاملة.

فن الواضح إن انعكاسات مثل هذه المصائب تهيج طوفاناً من الاسى و الحزن يعتصر القلوب و الارواح، و لا يهدأ أبداً بمرور السنين و الدهور و الاعصار. و من ثمَّ حاول يزيد و اكثر المشتركين بهذه الجريمة جاھدين من أجل إثبات براءتهم في المحاكمة الكبيرة التي اقيمت في محكمة وجدان المسلمين بل عموم الناس

التي حكمت على كل قتل الحسين عليه السلام والذين ظلموا اهل البيت عليهم السلام بالعار والشنار والارتداد والخروج عن ربة الإسلام بل الإنسانية .

ان يزيد الذي كان منتشياً بنشوة النصر الظاهري ، والذي أمر بنفسه باحضار عقائل النبوة اسارى الى دمشق ، والذي لم يلو جهداً في إيدائهم وإذلالهم في مجلسه وترتم بتلك الاشعار الكافرة علناً ، وكشف عن اسارىة الخبيثة الجاهلية ، يزيد هذا و عندما احس بانقلاب السحر على الساحر وشعر بانعكاس الجريمة الخطيرة والتي ظهرت حتى في غرف حريمه ومخادعه ، وعندما صكت مسامعه خطبة العقيلة زينب وخطبة الإمام السجاد عليه السلام في مسجد الشام ، ورأى بام عينيه اعتراضات اقرب الناس اليه واشدهم عناداً لآل محمد ، أراد أن يستدرك الموقف ، فلجأ الى النعمان بن بشير واليه الذي عزل عن الكوفة لرفقه بدعاة الحسين عليه السلام ، وأمره أن يسير بال الحسين الى المدينة ويجهزهم بما يصلحهم وقيل انه ودع زين العابدين وقال له :

« لَعَنَ الله ابن مرجانة... أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألتني خصلةً أبداً إلا أعطيتُها إياها و لدفعْتُ الحتفَ عنه بكل ما إستطعت و لو بهلاك بعض وُلدي و لكنَّ الله قضى ما رأيت يا بُني!! كاتبني من المدينة و انه اليَّ كل حاجة تكونُ لك »^(١)

و لم يكن بتقديرنا يزيد نادماً أبداً من قتل الإمام الحسين عليه السلام ، اذ لم يكن يزيد يُعيرُ ايَّ اهتمامٍ للفضائل والقيم ولا يقيم لها وزناً في قبال الملك والسلطة ، بل كان مسرور جذلان بالانتقام من رسول الله محمد بما فعله يوم بدر والاحزاب ، ولولا انه خاف الفتنة لأمر بقتل البقية الباقية من آل محمد ﷺ وان كانوا نساءً واطفالاً ،

(١) ابو الشهداء العقاد ص ١٧٢ .

كما فعل باهل المدينة في واقعة الحرّة.

و الثابت الذي لا جدال فيه ، أنّ يزيداً لم يعاقب احداً من ولاته كبر او صغر على شي مما اقترفوه في فاجعة كربلاء ، بل أنّه وكما قلنا سابقا وكما سيوضح لنا اكثر فاكثرا لاحقا ، حتّى ابن زياد وكرمه و جازاه و قرّبه ، ولكن يزيد قال ما قال لزين العابدين ، مكرراً و رياءاً و خوفاً من نقمة الناس عليه ، و لانه احسّ بخطأ خطّئه و فشلها .

لقد ظنّ يزيد و ابن زياد أنّه بعد أن يقتل الحسين عليه السلام و يُوطي الخيل صدره يستطيع أن يخدع الناس باضفاء صبغة شرعية قانونية على عمله بادعاء خروج الحسين عليه السلام على خليفة وقته و شقّ عصا المسلمين ، أو أنّ بإمكانه كمّ الاخواه التي يُحتمل إعتراضها ، بالمال و الرشا ، أو إحكام قبضة الحديد و النار على من لا تنفع معهم تلك الاساليب باجمعها ، و انه سيتوسل بقطع الايدي و جذع الانوف و الآذان ، كما فعل معاوية ابن ابي سفيان مع شيعة علي عليه السلام حيث تتبعهم تحت كل حجر و مدرّ ، و اعلن البراءة ممّن تولى ابا تراب ، و أمر خطباء جمعته بسبّ علي عليه السلام على المنابر ، هكذا كان يظن يزيد ، ولكن كل الحسابات كانت مغلوطة و لم تؤت ثمارها حتى لفترة قصيرة ، لان اعتراض الناس بدأ منذ اليوم الاول من قضية كربلاء ، و لم تستطع مجزرتة بالمدينة من تلافي سلبات ما اقترفته يداه الاثيمتان في كربلاء و محو آثارها في قلوب المسلمين .

إنّ مظلومية الحسين عليه السلام قد تجلّت الى درجة ان قتلته أنفسهم كانوا يشعرون بالخزي و العار بقية حياتهم .

يقول الدكتور العقاد :

و ركب اناساً منهم الفرع الدائم بقية حياته لانهم عرفوا الاثم فيما اقترفوه

عرفاناً لا تسعهم المغالطة فيه ، و من هؤلاء رجل من بني أبان بن دارم كان يقول :
 قتلت شاباً أُمرد مع الحسين عليه السلام بين عينيه أثر السجود . فمأنتُ ليلة منذ قتلته
 إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها ، فأصيح فما يبقُ أحدٌ في الحيِّ
 إلا سمع صياحي .

و رأى هذا الرجلَ صاحبٌ له بعد حين وقد تغيَّر وجهه واسودَّ لونه فقال له :
 « ماكدت اعرفك » وكان يعرفه جميلاً شديداً البياض ^(١)

مكانة الحسين عليه السلام عند الصحابة و التابعين

من بالغ حبّ الرسول الاكرم ﷺ وعطفه الكبير على الحسين عليه السلام ومن كثرة الاحاديث الواردة عنه صلوات الله عليه في خصوص مناقب وفضائل الحسين عليه السلام والتي اصبحت ورد لسان المسلمين وزينة محافلهم ومجالسهم واجتماعاتهم، ومن اقربية الحسن والحسين عليه السلام الى رسول الله ﷺ، ومن كل الخصال الحميدة في الحسين عليه السلام والتي جعلته محبباً للجميع، من كل ذلك، يعلم مدى تجليل واحترام الحسين من قبل عامة المسلمين.

ومما ساعد المسلمين على الصبر على فقدان النبي الاكرم، وجود علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومن هنا كان هؤلاء الاربعة وهم تذكارات النبي ﷺ، مورد احترام وتبجيل المسلمين ومحور تركز احساسهم وعواطفهم، فكانوا عليهم السلام المرهم الشافي لجروح القلوب المفجوعة بفراق رسول الله ﷺ المخفف عن احزانهم وآلامهم.

ولكن كما نعلم ان فاطمة عليها السلام لم تمكث بعد رسول الله الا فترة قصيرة و التحقت بأبيها و ارتاحت من امواج الغم والحزن والمصائب العاتية.

و بقي علي والحسنان عليهم السلام مركز تجلّي احساس المسلمين وعواطفهم الجياشة في رسول الله رسول الله ﷺ، فمن كان محباً لمحمد، كان ملؤ قلبه الحبّ للحسينين، فهما تذكارات رسول الله و احترامهما إحترام النبي ﷺ، وكان الناس يتذكرون رسول الله كلما نظروا الى الحسن والحسين عليهما السلام.

و لا نبالغ اذا ما قلنا بان هاذين الطفلين كانا اعظم مالِكٍ لقلوب رجال و نساء المسلمين بعد النبي ﷺ و أَنَّ المدينة كانت تحتفظ بثقلها الروحي الذي كانت عليه ايام رسول الله ﷺ .

فاذا جاء الحسنان الى المسجد، كأن رسول الله قد جاء، واذ حضرا محفلاً ذكّر وجودهما الناس بالنبي محمد، و كانت تظهر على وجوه الناس ملاح البشر و السرور و الطمأنينة بوجودهما المحاكي عن وجود المصطفى ﷺ .

و من لم يتلّ من الناس إفتخار صحبته النبي، كان يُعزّي نفسه بصحبته للحسينين و هما ذكرى النبي ﷺ، فكان الجميع يجلسون اليها و يسمعون منهما و يتبركون ببركتها و كانت كل القلوب -الأقلوب المنافقين- شرق و غرب العالم الإسلامي مفعمة بحب و لَدَيّ رسول الإنسانية، بل إنّ بعض أهل النفاق و مبغضي اهل البيت، و لكي يخدعوا العوام و من اجل الحفاظ على مصالحهم السياسية، كانوا يظهرن الودّ للحسينين عليه السلام .

و كان وُدّ المسلمين للحسينين كبيراً الى درجة أنّ البعض ظن بانّ المسلمين كانوا يحبونها اكثر من ابيهما علي ابن ابي طالب عليه السلام

و ها هو الاحنف ابن قيس يقف أمام معاوية في المجلس الذي أقامه معاوية لأخذ البيعة لابنه يزيد، و لم يتجرأ أحد على الاعتراض عليه، فقال له الأحنف: أنت أعلمنا بليله و نهاره و بسرّه و علانيته فان كنت تعلم انه شرّ لك فلا تزوّده الدنيا و انت صائر الى الآخرة فانه ليس لك من الآخرة الاّ ما طاب و اعلم انه لا حجة لك عند الله إن قدّمت يزيد على الحسن و الحسين و أنت تعلم من هما و الى ما هما و إنّما علينا ان نقول سمعنا و أطعنا ربنا و اليك المصير. (١)

وقد يكون الأمر كذلك، فخواص الصحابة امثال عمار و قيس بن سعد الانصاري و امثالهم ممن ادرك عهد النبي و عرف ايثار و فداء و مقام علي ابن ابي طالب، كانوا اكثر تعلقاً بعلي عليه السلام، لكن محبة الحسن و الحسين و بملاحظة انها ريجانتا رسول الله و ثمرة فؤاد فاطمة الزهراء، كانت قد ملأت القلوب و النفوس، و كانوا يعتبرونها منبع الكرامات و البركات، فهما تذكارا رسول الله و لا شك في ان كل مسلم يحبُّ تذكار النبي صلى الله عليه و آله.

يقول الاستاذ العقاد:

وقد عاش الحسين سبعاً و خمسين سنة بالحساب الهجري و له من الاعداء، من يصدقون و من يكذبون، فلم يعبه أحد منهم بمعايبة و لم يملك أحد منهم ان ينكر ما ذاع من فضله، حتى حار معاوية بعينه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين له، و اقترحوا عليه أن يكتب اليه بما بصغره في نفسه، فقال: إنه كان يجد ما يقوله في علي و لكن لا يجد ما يقوله في حسين»^(١).

و بعد استهشاد الإمام الحسن عليه السلام ازدادت محبة الحسين عليه السلام في القلوب، و كبر اشتياق الناس الى رؤيته و زيارته، و لا مبالغة في قول: أن كل محبتهم للرسول و علي و فاطمة و الحسن قد اضيفت الى حبهم للحسين عليه السلام.

و يمكن تقريب هذا المعنى بضرب مثل رجل له خمس اولاد مميزين، نوابغ و ابتلي بفراق موت اربعة منهم واحداً بعد الآخر، فمثل هذا الشخص سيتركز حبه

(١) ابو الشهداء ص ٣٤.

و كان معاوية يقصد انه كان يملك حيلة في إضلال الناس بالافتراء على امير المؤمنين بدم عثمان لمشاركته أو سكوته عن قتلته مع ان معاوية كان يعلم ببراءة علي من ذلك، الا انه اراد ان يشعل نار الفتنة، مثله مثل طلحة و الزبير و عائشة الذين كانوا المحرك الاصلي لقتل عثمان.

للخامس ويتأكد حفاظاً عليه واعتزازاً به وفرقاً من فراقه، فتراه دائم الانشغال به مهتماً برعايته ساهراً على خدمته، فإذا ما قُدِّرَ ان ابتلي بفراقه هو الآخر، كانت مصيبته أعظم المصائب عنده.

يقول العقاد:

ولقد كان الحسين بن علي بهذه المزية (النسب الشريف) أحبَّ انسانٍ الى قلوب السلمين وأجدر انسانٍ أنْ تنعطف اليه القلوب. (١)

وكان مجلس الحسين من أفضل مجالس العلم والتفسير في مسجد النبي ﷺ وكان الكل يفتخرون بالحضور عنده، وكما اعترف معاوية بذلك.

وقد نقل ابن كثير أنه لما ورد الحسين عليه السلام وابن الزبير الى مكة واقاما فيها، لازم الناس الحسين بن علي ولم يفارقوه وكانوا يردون عليه افواجاً افواجاً ويجلسون حوله ويستمعون اليه. (٢)

وقد نقل الواقدي والذهبي في تاريخ الإسلام في اخبار مقتل الحسين عليه السلام، حديثاً عن ابي عون - زوي نظيره في تاريخ النبي الاعظم ﷺ - يدل على ايمان الناس واعتقادهم الكبير بمقام الإمام الحسين الروحي وانه مظهر كمالات جدّه رسول الله ﷺ.

والحديث هو: خرج الحسين عليه السلام من المدينة فرَّبَ بابن مطيع وهو يحفر بئرَه، فقال أين فداك أبي وأمي؟ متعنا بنفسك ولا تَسِرْ، فأبى حسين عليه السلام فقال إن بئري هذه رشحتها، وهذا اليوم أو ان ما خرج إلينا في الدلو، فلو دعوت لنا فيها بالبركة، قال هات من مائها، فأتى به في الدلو فشرب منه ثم مضمض ثم رده في البئر. (٣)

(١) ابو الشهداء ص ٥٢.

(٢) سمو المعنى في سمو الذات ص ١٣٩.

(٣) سمو المعنى في سمو الذات ص ١٤٠. تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٣.

يقول الاستاذ العلالي: ومما لا اختلاف فيه بين الرواة أن الحسين عليه السلام كان محباً إلى كل نفس، مصطفياً بين كل قبيل. وزادت به جاذبيته إلى الناس، أنهم غدوا يقدسونه تقديساً وينظرون إليه بالنظر الذي هو فوق اعتبارات الناس. (١)

ومن جملة ملامح خضوع الناس لشخصية الإمام الحسين عليه السلام هو تواضع عبد الله بن عباس له، فابن عباس من بني هاشم وهو ابن عم النبي ومن رجالات الإسلام وهو اكبر سناً من الحسين عليه السلام ومشهور بالعلم والمعرفة بين الناس ومن الرواة المعروفين وحملته حديث النبي صلى الله عليه وآله وكان ابو بكر وعمر يقيان له وزناً أبان خلافتهما، وكان عمر يشاوره في كثير من الامور، وفي زمن خلافة امير المؤمنين عليه السلام كان من كبار صحابة علي وتلامذته، ومع كل ذلك، وكما يقول ابن سعد في الطبقات: إن ابن عباس كان يُمسك بزمام راحلة الحسن والحسين عليهما السلام ليركبا وكان يقول:

«هُمَا إِنَّمَا رَسُولُ اللَّهِ» (٢)

وكان عمر ابن الخطاب يلتزم باظهار الاحترام وتعظيم مقام الحسين عليه السلام وكان يقول له:

«إِنَّمَا أَتَيْتَ فِي مَا تَرَى فِي رُؤُوسِنَا اللَّهُ ثُمَّ أَنْتُمْ» (٣)

اي إن كل ما لدينا من عزة وفخر ودين ودنيا هو ببركة الله وبركتكم.

وكان عبد الله بن عمر جالساً في ظل الكعبة فقدم ابو عبد الله الحسين عليه السلام

فقال ابن عمر:

(١) سمو المعنى، ص ١٣٩.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٤٥.

(٣) الاصابة ج ١ ص ٣٣٣ - ١٧٢٤. اسعاف الراغبين ص ١٨٣.

« هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم »^(١)

وكان أبو بكر يحاول التشبه برسول الله ﷺ فكان يُركب الحسن والحسين على كتفيه. ^(٢)

وكان أبو هريرة يطلب من الحسين عليه السلام ان يسمح له بتقبيل شُرَّتِه. ^(٣)
وكان الحسن البصري يقول: الحسين سيّد زاهدٌ صالحٌ يحب الخير للمسلمين
حسن الخلق» ^(٤)

و خطب عبدالله بن الزبير في المسجد الحرام بعد مقتل الحسين عليه السلام فقال :
لقد اختار الحسين الميتة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ، و
اخزى قاتل الحسين ، فلعمري لقد كان من خلافهم إتياءه وعصيانهم ما كان في مثله
واعظ وناهٍ عنهم ، ولكنه ما همّ نازل ، و اذا اراد الله أمراً لن يُدفع . أبعد الحسين عليه السلام
نظمناً الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً ؟ لا ، ولا نراهم لذلك أهلاً ،
أما والله لقد قتلوا طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، احقّ بما هم فيه منهم و
أولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يُبدّل بالقران الغناء ، ولا بالبكاء من
خشية الله الحُداء ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض
في تطلاب الصيد- يعرض بيزيد- « قَتَلُوهُ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظالمين » . ^(٥)

(١) الاصابة ج ١ ص ٣٣٣- ١٧٢٤ .

(٢) مقتل الخوارزمي ، ص ٩٣ ف ٦ .

(٣) مقتل الخوارزمي ، ص ٩٣ ف ٧ .

(٤) مقتل الخوارزمي ص ١٥٣ .

(٥) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٦٨-٦٦٧ . تذكرة الخواص ص ٢٨٨ .

اخلاقية الإمام الحسين عليه السلام

لا شك في أن قيمة المرء، في علمه وكماله وفضائله وكريم خلقه. فافراد البشر مهما تفاوتت أوصافهم الجسمية والعرقية وتمايزوا ببلدانهم وملابسهم ومالهم ومقامهم وسائر العوارض الاخرى إلا أن كل ذلك لا يفضل بعضهم على بعض، والأمر الوحيد الذي يمايزهم هو الكمالات الروحية والاخلاق الحميدة والمآثر الجميلة. وبعبارة، ان فضيلة الإنسان ليست في الاستمتاع باللذائذ الحيوانية والاتصاف بما يشترك به مع سائر الحيوانات والبهاائم، وانما كمال الإنسان بالاتصاف بما يميزه عن الحيوانات، وكلما تعمق اتصافه بهذه الفوارق، ازداد تمايزاً وابتعاداً عن عالم البهاائم واقترب الى الإنسانية وتجلت فيه صفات البشر.

فكثير من الناس صورهم صور البشر، لكنهم لازلوا يراوحون في الحيوانية، والبعض يطوي الفاصلة بين الحيوانية المحضة والإنسانية الكاملة ويتوقف في نقطة في منتصف الطريق، وبعضهم الآخر يطوي تلك الفاصلة كاملة فيصل الى حد الكمال التام.

والعلوم والمعارف والاخلاقيات الحميدة، هي كواشف عن مقدار المسافة التي اجتازها هذا الفرد او ذاك في هذا الطريق، وتجل للمرحلة التي توقف عندها وصلها.

فالإنسان بفطرته يمتاز بحب الاخلاق الحميدة، ويحب ذوي المكارم والفضل ويتأثر بالمشاهد الاخلاقية وصور القيم الرائعة.

و على مرّ العصور، كانت العدالة و طهارة النفس، الامانة، الصدق، الاستقامة، الثبات، الشجاعة، الصراحة، الصبر، الحلم الوفاء بالعهد، التواضع، الرحمة، الاحسان، الايثار، الفداء، والرغبة في التحرر من الظلم، و خدمة البشرية من الامور المحببة و الممدوحة عند الإنسان و مهما تغيرت الظروف الحياتية و تبدل شكل الحياة و تنوعت ظواهر العيش، إلا أن احساس البشر و تفاعلهم مع هذه الاخلاقيات، بقي ثابتاً صامداً لا يعتريه التغير، لانه امرٌ فطري و في المقابل، تنفر الطبائع البشرية عن رذائل الصفات كالحسد، التكبر، النفاق، الكذب، الظلم، الخيانة، الحقد، الغرور و الخيلاء.

و علمُ الاخلاق و التربية أنشأ على أساس هذا الافراز الفطري و الادراك الباطني.

و مطالعة التحقيقات العلمية لعلماء الاخلاق و معرفة النفس، ضرورية للسائرين في طريق تهذيب النفوس و تربيتها للتعرف على فوائد و مضار الاخلاق الحميدة و اضدادها.

و قد عني الإسلام و هو آخر الاديان السماوية الالهية، بهذه الجهة فكانت برامجه التربوية و الاخلاقية، اكمل و اتمّ البرامج المعروفة منذ بدء الخليفة و الى يوم الناس هذا. فضافاً الى تضمّن قسم كبير من الاحكام التكليفية و الوضعية، للمفاهيم الاخلاقية التي تساهم في تربية و تهذيب النفوس، كما في باب العبادات و المعاملات و التكاليف اليومية، كذلك وضع القرآن و المنهج الإسلامي برنامجاً تربوياً مستقلاً لاصلاح الارواح و تزكيتها، لا يصالها الى الكمال.

و قد كتب العلماء و الفلاسفة المسلمون، اقتباساً من التعاليم الاخلاقية للإسلام، أفضل الكتب في علم الاخلاق، و القاء نظرة خاطفة على أدبيات العرب و

العجم، يكشف لنا بوضوح صحة هذه الدعوى.

وكلمات نبي الإسلام العظيم الجامعة، وخطب أمير المؤمنين وكلماته القصار، وما نُقل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ومحامد اخلاقهم وكرائم صفاتهم وجميل سيرتهم، كلها أسناد فخر للمسلمين وادلة حية على كمال المنهج التربوي للإسلام. كما إنَّ ميزان اهتمام الدين الاسلامي الحنيف بنشر الاخلاق والمكارم يتجلى اكثر فاكثر من خلال التشويق والترغيب بالثواب والأجر الجزيل لكل واحدة من تلك الصفات الكريمة الالفة الذكر.

وفي سورة آل عمران، الآية ١٦٤، وسورة الجمعة الآية ٢، لخصت براج عمل النبي ﷺ التربوية في ثلاث امور هي:

١- تلاوة الايات القرآنية.

٢- تزكية وتربية النفوس.

٣- تعليم الكتاب والحكمة.

وقول النبي ﷺ معروف ومشهور:

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١)

(١) ومما يؤسف له، ان المسلمين اليوم يتخطون في المفاصل الاخلاقية والانحرافات الروحية مع امتلاكهم لهذه الثروة العظيمة الغنية من المعارف الاخلاقية والبرامج التربوية السماوية، فتراهم يُقلدون الغرب المسيحي الكافر، الفاقد لكل القيم المعنوية، ويتجرّدون عن كرائم الاداب والخلق الايماني الرفيع الذي كان فخراً للامم الإسلامية، ويتقمصون ثوب الابتذال والميوعة والتبرج والتحلل والاختلاط الجنسي والشذوذ والسكر والمجون والقمار واللهو، ويعملون على ترويض هذه الصفات والاخلاقيات الرذيلة في مجلاتهم وصحفهم ومطبوعاتهم، و ينشرون الصور الخليعة ويخرجون الافلام الماجنة المفسدة التي تأبأها النفس الكريمة بل و

→ حتى 'بعض الحيوانات والبهائم التي تستتر في مثل تلك الحالات عن الناظرين . مع ان استقلال وكرامة و عزّة كل أمة من الامم انما هو في الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها و اخلاقياتها و آدابها ، فاذا ما ذابت عاداتها و تقاليدها و مكارم اخلاقها في الثقافات الاخرى ، لم يُعَدْ لهذه الامة ايّ مقدار و لا رصيد و صارت أمة هشّة رخيصة تتقاذفها امواج الثقافات الاخرى و تلعب بها رياح المناهج التربوية الفاسدة ، فتذوب هويتها و شخصيتها و عنوانها في العناوين الاخرى ، فلم يُعَدْ لها وجود مستقل كسائر الامم الاخرى .

و كما يقول العلماء و المفكرون و المختصون في علم الاجتماع ، فان ضعف الامة الإسلامية اليوم و خمولها و تطفلها على المجتمعات الاخرى ليس ناشئاً عن ضعف و ندرة البرامج التربوية الإسلامية ، اذ لا توجد تعاليم و مناهج اكثر دقة و ثباتاً و واقعية من المناهج التربوية للاسلام ، و انما السبب كل السبب هو عدم الالتزام بتلك المناهج و التمرد عليها و عدم الامتثال لاحكام الشرعية الإسلامية ، و الجهل بالمعارف و البرامج التربوية ، و الكسل في طلب العلوم حتى الاكاديمية و الطبيعية منها ، و عدم الجدّ في كسب الخبرات التجريبية و الصناعية .

فعلى المسلمين ان يشمروا عن سواعدهم لتطوير صناعاتهم و الاستفادة من العلوم الحديثة و النهضة التكنولوجية للوصول الى الاكتفاء الذاتي و التخلص من سيطرة و هيمنة الاجانب ، و الاستفادة من الاموال الطائلة التي تصرف في تقليد الاجانب و عاداتهم القبيحة و صرف تلك الاموال في المشاريع الانمائية و الاعمار و الصناعة و التطور ، لكي يخطو العالم الإسلامي خطوات سريعة في عالم الرقي و التطور من جهة ، و حفظ هويته الإسلامية و المحافظة على شبابه من الانحراف الاخلاقي و آفات المدنية الكاذبة من جهة اخرى .

و ليت هؤلاء المتأثرين بالثقافة الغربية البراقة الكاذبة ، رجعوا الى مطالعة و قراءة الكتب التربوية الإسلامية ، بل ليتهم قرأوا كتب علماء الغرب أنفسهم بدقة و استفادوا من المفيد منها ، لأن يُقلّدوا الغرب تقليداً أعمى عجبواً ، و ان لا ينخدعوا باساليب الغربيين البراقة الخداعة التي لا تحيّر الإنسان الا الى الفساد و الانحراف و الهلاك . و اليوم تنشأ الدنيا من النكبات الاخلاقية و المفاصد الغربية ، و يحترق العالم في لهيب الاضطراب الفكري و الروحي و يحتوي مليارات البشر بجمرة الرغبة الطائشة لطغيان و حرص و طمع اصحاب الاسلحة المدمرة ، و في كل يوم نسمع جديداً عن برامجهم الانحرافية و سوء اخلاقهم و ظلمهم و

لقد كان النبي الاكرم ﷺ المثل الأعلى لكل الاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والكالات الروحية والنفسية، وباعتراف العدو والصديق.

فاخلاق النبي ﷺ وسيرته المحسنة ومعاشرته الحميدة، مذكورة في كتب ألف في هذا المجال بالخصوص، مضافاً الى ما ورد في كتب السيرة والتاريخ، ومطالعة مثل هذه المصنفات لكبار المتخصصين في التربية، كاف لتوجيه الإنسان وهدايته لمكارم الاخلاق.

كما إنَّ اهل بيت النبي، الائمة الطهار عليهم السلام وهم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم، يمثلون النموذج الجميل للكمال، وباتفاق الموافق والمخالف، كانوا نوابغ عصورهم والمصاديق الاكمل للاخلاق النبوية الإسلامية المحسنة.

ولقد كان عليُّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يمثلوا التكامل والرقى الإنساني، وكانت اشعة نور اخلاق رسول الله بادية الانتشار في وجوداتهم الكريمة.

→ طغيانهم وخلاعتهم مما لا يليق ذكره.

نعم، على المسلمين ان يكون انموذجاً يُحتذى به في الاخلاق والفضائل، وان يحافظوا على وحدتهم وعزتهم وكرامتهم بالتمسك بتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد، وان يبرهنوا للعالم انهم أقوى الامم وأشرفها، لا ان يتشبهوا بالمجتمعات المسيحية الخاوية الهزيلة التي كانت عالية على المجتمع الإسلامي في مناهجه وقيمه وعلومه.

مكارم اخلاق سيد الشهداء عليه السلام

لقد كان لتضحية الحسين عليه السلام واستقامته وطلبه الحق وتوكله و ارادته القوية وتخليه عن الدنيا، من أبرز تجليات شخصيته المقدسة في عاشوراء والتي جذبت الانظار الى درجة أنها غطت على سائر صفاته وعظمة سجايه الاخرى. وكأن العقل البشري والفكر الاجتماعي اذا وجد الشخص مبالغاً في الفداء والايثار في طريق الحق، اعتبره مالكا لكل السجايه الحميده الاخرى، وكلما ارتقى في درجات التضحية والفداء، واخلص في الصمود والايثار، ازدادت عظمتة وشموخه في القلوب.

إنَّ فداء الحسين المنقطع النظير، رفعه و رفعه الى درجة امكان قياس كل صفاته الحميده الاخرى بمقياس هذه الصفة، ووزنها بهذا الميزان، وإنَّ ذلك جعله السَّباق لكل الكرام والمتفوق على كل الأفاضل.

وهذه هي الحقيقة، فان صدور مثل تلك التضحيات والاستقامة والفداء و الشجاعة والثبات والمناعة، لا يتيسر الا لمن تحققت فيه كل الكمالات الاخرى باتم صورها وأروعها.

و تحقّق ذلك الصمود والفداء، محالٌ إلاّ بوفرة الايمان واليقين والمعرفة و البصيرة والتوكل والاعتماد على الله والزهّد والصبر باعلى مستوياتها، وبغير ذلك لا تتجلى تلك الآيات العظيمة المحكّمة في الصبر والاستقامة العاشوراءية.

يقول العلايلي:

« ونحن فيما اتَّسق لدينا من الأخبار عن الحسين عليه السلام وصفته، نراه كيف كان يتحرَّم على نفسه بكل مظاهر القدوة الصالحة، بحيث لا يُعدُّو أن يكون مثلاً نبوياً في حدوده ومن شتى أقطاره.

ولقد انصرف بكل نفسه عن الدنيا وما إليها، حتى قال زين العابدين عليه السلام لمن قال له: ما كان أقل ولد أبيك! قال عليه السلام: العجب كيف ولدت له، كان لا يفتر عن الصلاة في ليل أو نهار فتي كان يتفرغ للنساء؟
فهذا المتحنُّث المتألِّه في تأمله وإطراقه، وتحركه وسكونه. هو الذي سنراه مجاهداً مكافحاً ومغامراً مستميتاً حتى كأنه الأسد لا تُنال تلايبه. فلم يكن يشغله أمر عن أمر، ولا حاجة لله عن حاجة للناس. (١)

ويضيف قائلاً:

«أرايتم إلى الرجل يقوم على اسم الله ويمضي على اسم الله ويموت على اسم الله، كيف تسمو به الغاية ويعلو به الهدف. هو هدفٌ ولكن ليس من شهوات النفوس، وغايةٌ ولكن ليس كمثلهما الغايات، غاية تحقِّر كل ما في الحياة من أسيائها، ولا ترى سوى الملوك الأعلى هدفاً وسوى السماء مستقراً، لأنه مهدها فلا بدع أن حنَّشت إليه وطلبت اللِّحاق به فللناس أوطانهم، وللناس حنينهم، ومثل هذه الشخصية وطنها ولها حنينها، فهي تشقُّ طريقها بين الجلامد والصُّخور، راضيةٌ مرضيةٌ وماضيةٌ مطمئنةٌ، لأنها تناجي الأمانة السامية وتشدُّ المثل الأعلى، وهل وراء الله مطلب؟ وهل إلى غير الله مصير؟ وهل بعد الله حقيقة؟

هذه مبادئ الرجل المصطفى، والرجل المختار. فلا عَجَب أن راح يطلبها في

كل شيء، ولو حال الموت دونها فهو يستعذ به، لأنه الطفرة التي تصل به الى أعذب الأمانى، وهل مع الأمانى العذاب، شعور بمريرات العذاب.

وقديماً ارتفع صوت المسلم في إقدام ومضاء، بالكلمة الرهيبة عند الناس والأغنية عنده.

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
الشخصية الكبيرة من الناس، ولكن بما فيها من المعنى الإلهي والسر القدسي والقبس العلوي، تنير السبيل للإنسانية في حالة الظلم وفي الليل الأليل الادكن «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كأنها كوكب دري». وكذلك تكون في حياتها دليلاً أميناً، وبعد مماتها أمثلة رائعة فيها من كل عناصر الخلود والسمو.

و تاريخ كل أمة إنما هو في الحقيقة تاريخ عظمائها، فأمة لا عظيم فيها لا تاريخ فيها أو ليست جديرة بالتاريخ.

ونحن اذا قدمنا حسيناً بين العظماء، فإننا لا نقدم فيه عظيماً فحسب، وإنما نقدم فيه عظيماً دونه كل عظيم، وشخصية أسمى من كل شخصية، ورجلاً فوق الرجال مجتمعين.

ولا بدع فكل من عرفهم التاريخ وعرفناهم قضا دون غاية من أبحاد الأرض، فكان من قضى دون مجد من أبحاد السماء أسمى.

والآن سأخوض في بيان نواحي العظمة التي امتاز بها الحسين عليه السلام في كل ميدان، حتى يبدو أمة بين العظماء. فقد عرفنا العظيم في ثوب الشجاع، وعرفنا العظيم في ثوب البطل، وعرفنا العظيم في ثوب الضحية الشهيد، وعرفنا العظيم في ثوب الزاهد، وعرفنا العظيم في ثوب العالم، وأما العظمة في كل ثوب، والعظمة في

كل مظهر، حتى كأنها تآزحت من أقطارها فكانت شخصاً مانثلاً للناس يقرأونه و يعتبرون به. فهذا ما نراه في الحسين عليه السلام وحده، وهذا ما تلمسناه فيه فقط، حيث هو من نفسه و حيث هو من نسبه، فلقد يكون أبوه مثله ولكن لا يجد له أباً كمثل نفسه. فرجل كيفاً سموت به من أي جهاته انتهى بك الى عظيم، فهو ملتقى عظبات و مجمع أفاذا. فإن من يتيق من عظمة النبوة «محمد ﷺ»، و عظمة الرجولة «علي عليه السلام» و عظمة الفضيلة «فاطمة عليها السلام» يكون أمثلة عظمة الانسان، و آية الآيات البينات.

فلم تكن ذكراه ذكرى رجل بل ذكرى الإنسانية المخالدة، و لم تكن أخباره أخبار بطل بل خبر البطولة الفذة.

فالحسين عليه السلام رجل ولكن فيه آية الرجال، و عظيم ولكن فيه حقيقة العظمة. فرعياً لذكراه، و رعياً للعظمة به.

و من ثم كان جديراً بنا أن نستوحيه على الدوام، كمصدر إلهامي انبثق وهاجاً قوياً، و امتد بأنواره أجيالاً و أجيالاً، و لا يزال يسطع كذلك حتى ينتظم اللانهايات و ينفذ الى ما وراء الأرض و السموات، و هل لنور الله حد يقف عنده أو معلّم ينتهي اليه؟ «و يأتى الله إلا أن يتم نوره»^(١)

و يقول العقاد:

«و قد لبث بنو أمية بعد مصرعه (الحسين عليه السلام) ستين سنة يسبون و يسبون أباه على المنابر، و لم يجسر أحد منهم قط على المساس بورعه و تقواه و رعايته لاحكام الدين في اصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً أو علانية، و حاولوا ان يعيبوه

بشيء غير خروجه على دولتهم فقصرت ألسنتهم و ألسنة الصنائع و الأجراء دون ذلك.» (١)

و قال أيضاً: «فهي (كربلاء) اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة و الذكرى، و يزوره غير المسلمين للنظر و المشاهدة، و لكنها لو أعطيت حقها من التنويه و التخليد، لحق لها ان تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة و حظاً من الفضيلة، لاننا لا نذكر بقعة من بقاع الارض يقرن اسمها بمجملته من الفضائل و المناقب اسمي و أأزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء، بعد مصرع الحسين عليه السلام فيها.»

فكل صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الإنسان انساناً و بغيرها لا يحسب غير ضرب من الحيوان السائم، فهي مقرونة في الذاكرة بايام الحسين عليه السلام في تلك البقعة الجرداء.

و ليس في نوع الإنسان صفات علويات أنبل و لا أأزم له من الايمان و الفداء و الايثار و يقظة الضمير و تعظيم الحق و رعاية الواجب و الجد في المحنة و الانفة من الضيم و الشجاعة في وجه الموت المحتوم و هي و مثيلات لها من طرازها- هي التي تجلّت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين عليه السلام.

ثم يقول بعد ذلك: «و حسبك من تقويم الاخلاق في تلك النفوس، انه ما من أحد قتل في كربلاء الا كان في وسعه ان يتجنب القتل بكلمة أو بخطوة و لكنهم جميعاً آثروا الموت عطاشاً جوعاً مناظرين على ان يقولوا تلك الكلمة و أو يخطوا تلك الخطوة لانهم آثروا جمال الاخلاق على متاع الحياة.»

و بعد ان يُفصل العقاد بذكر جملة من فضائل الحسين واصحابه ومناقبهم في كربلاء، يقول:

«وقد تناهت هذه المناقب الى مداها الاعلى في نفس قائد هم الكريم ويُخيل الى الناظر في أعماله بكريلاء ان خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها، ايها يظفر بفخار اليوم، فلا يدرى أكان في شجاعته أشجع، ام في صبره أصبر، ام في كرمه اكرم، ام في ايمانه وأُفْتَتِه و غيرته على الحق بالغاً من تلك المناقب المثلّى أقصى مداه»^(١).

و مع اننا نقربُ بعجزنا عن وصف عظام سجايا الحسين عليه السلام و من حقنا ان نعجز عن بيان كل تلك المناقب، و لكننا مع ذلك سنذكر بعض جوانب كمالات الحسين الاخلاقية والعلمية بنحو الاختصار، ليُعلم ان وجوده عليه السلام هو التجليّ الاتمّ للعظمة والاستقامة والصبر والفداء والاباء في طريق تعظيم الحق، وانه عليه السلام محور كل كرائم المزايا والصفات.

١- علمُ الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ ما نعرفه و يشهد له تاريخ و سيرة النبي الاعظم و الائمة الاطهار عليهم السلام، هو أنَّ علمهم و معارفهم هي مواهب الهية و لم يتلמדوا على يد احد و لم يدخلوا في ايّ مكتبة و مدرسة.

فالنبي الاكرم كان يتلقى العلم من المصدر الالهي و صار مصدراً لكل هذه المعارف و العلوم و الشرائع المحكمة.

لقد فتح النبي ﷺ مدرسة بقيت لاربعة عشر قرناً يفتخر الفلاسفة والعلماء الكبار بتلقي دروسها، وينتقون من معارفها وينهلون من فيوضاتها ويجرعون من كاسات علومها الحقّة.

وكذلك معارف وعلوم علي عليه السلام وسائر الأئمة، فهي افاضات ربّانية وهبات الهية وعلوم محمّدية استقوها من النبي المصطفى ﷺ.

فأيّ مدرسة في تلك الفترات المظلمة يمكنها ان تخرّج مثل هؤلاء الافذاذ، ليكونوا اساتذة العالمين في كل فنون العلم حتى في زمن صباهم وطفولتهم، ويكونوا مراجع لكبار المراجع في المسائل العلمية الدقيقة، وحلّالي عويصات المشكلات الفلسفية والفقهية عند كبار العلماء والفلاسفة؟

انها المدرسة السماوية فقط، التي من شأنها تخرج هؤلاء الاساتذة. إنّ الاحاديث المعتبرة تدلّ على أنّ النبي الاكرم ﷺ قد علّم علياً وابناءه عليهم السلام علوماً خاصة، وانه أُملي على علي عليه السلام كتاباً كتبه علي يمينه، كان ولازال محفوظاً في هذا البيت، كمرجع ومستند يرجعون اليه، وفي الحقيقة إنّ برامج وتعليمات الأئمة عليهم السلام وسيرتهم واسلوبهم هو اكمال وتتميم اهداف النبي في تربية المجتمع البشري وهدايته.

ومن مثل حديث الثقلين المتواتر والمشهور، والذي ارجع النبي فيه الامّة الى هؤلاء الاطهار، تتجلى لنا صلاحيتهم العلمية التامة وتظهر وتتضح لياقتهم واهليتهم لهذا المقام.

اضف الى ذلك الروايات الكثيرة الواردة بطرق اهل السنّة والذّالة على تميّز علي عليه السلام من بين سائر اصحاب النبي ﷺ في اهتمام الرسول به، وتلقّيه المعارف والعلوم والفيوضات النبوية، فحقّ له ان يكون المرجع العام للمسلمين في المسائل

العلمية والعلوم الشرعية، وكان الكلّ منتهياً إليه في معرفته.

لقد كان عليُّ عليه السلام أعلم الصحابة، وكان علم الصحابة مجتمعين لا يساوي شيئاً في قبال علم علي عليه السلام، وكان الكل محتاجاً لعلِّيٍّ وكان عليُّ مستغنٍ عن الجميع.

فعليُّ عليه السلام، ومضافاً إلى استعداداته الخاصة ومواهبه الإلهية التي لم يُشاركه فيها أحدٌ من الصحابة، حتى صار حلال المشكلات في عهود الخلفاء الثلاثة، و الممتاز في فهم ودرك الأحكام والمعارف والعلوم الغامضة والمسائل المشككة وحقائق الوحي و كليات القواعد الدينية، كان اختصاص النبي وتفرد به، له الأثر الكبير في تربية عليٍّ وصياغته علمياً وروحياً، فطالما كان علي ينهل العلم من محمد ﷺ، وقد شرح الله صدره إلى درجة أنه تمكن من فتح باب من العلم من باب واحد تعلمه من رسول الله ﷺ.

لقد كان تتلمذ عليُّ عليه السلام على يد النبي ﷺ تتلمذاً خاصاً لا نظير له، فصار علي نسخة مطابقة للأصل.

ولذا، فصورة النظام الإسلامي، كلها واضحة ومتجلية في سلوك عليٍّ وسيرته و متجسمة في فعاله وأقواله.

ومن بعد عليٍّ عليه السلام اختص ولداه الحسن والحسين عليهما السلام بهذا المنصب الإلهي والقيادة العلمية والدينية، فكانا الملاذ والمجأ للناس في المسائل الإسلامية وعلوم التفسير والأحكام الشرعية، فكان خطابهم هو الفيصل المقبول عند الناس، وكانت سيرتهم وسلوكهم هما الميزان والنموذج الذي يُحتذى به.

فاذا ما أمعنت النظر في حالات الإمام الحسين عليه السلام وجدته مقتفياً لأثر بصيرة نافذة ومنهج غيبي، فعلمه واحتجاجاته مع خصوم أهل البيت، خاصة معاوية ومروان، والكتب التي تبادلها مع معاوية، وخطبه التي القاها بمناسبة مختلفة، و

دعاؤه يوم عرفة وادعيته الاخرى المنقولة في كتب المسلمين عامة، خير دليل على هذا المدعى.

وما أثر عنه في توديعه للصحابي الجليل ابي ذر الذي كان من أجلّة صحابة النبي ومن السابقين، حيث ذكر ابن الاثير وفي أسد الغابة إنّ ابا ذر كان خامس من اعتنق الإسلام وعدّ الكثير من مناقبه - عندما نفاه عثمان الى الربذة بعد ان طرده معاوية من الشام، وكان الحسين عليه السلام في جملة من شيعه وودعه وهم الإمام علي والحسن وعمار وعقيل، قال الحسين عليه السلام لابي ذر:

«يا عمّاه إنّ الله قادرٌ على أن يُغيّرَ ما قد ترى، والله كل يومٍ في شأنٍ، وقد منّعَكَ القومُ دُنياهم ومَنَعَتَهُم دينَكَ، وما أغناكَ عمّا منَعوكَ، وأخوَجَهُم الى ما منَعَتَهُم، فاسألَ الله الصَّبْرَ والنُّصْرَ واستعِذْ بِهِ مِنَ الجَشَعِ والجَزَعِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الدِّينِ وَالكَرَمِ، وَإِنَّ الجَشَعَ لَا يُقَدِّمُ رِزْقاً وَلَا يُؤَخِّرُهُ أَجْلاً»^(١)

وهذه الكلمات قالها الإمام الحسين عليه السلام مرتجلاً وكان يومئذٍ في نحو الثلاثين من عمره، يخاطب بها رجلاً مسنّاً فاضلاً جليلاً من الصحابة، فكأنما أودع هذه الكلمات شعار حياته كاملة منذ ادرك الدنيا الى ان فارقتها في مصرعه بكرلاء، وهي تعبر عن قدس مقام وروحانية الحسين العالية وعلمه ومعرفته وغناه وكمال بصيرته.

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ٤ ص ٣٢٣ عن نافع بن الازرق رئيس فرقة الازارقة الخوارج حينما قال نافع للإمام الحسين عليه السلام:

صِفْ لي رَبِّكَ الذي تَعْبُدُ!

فقال الحسين عليه السلام:

« يا نافع مَنْ وَضَعَ دِينَهُ عَلَى الْقِيَّاسِ لَمْ يَزَلْ الدَّهْرُ فِي الْإِلْتِبَاسِ ماثلاً ناكباً عَنِ
الْمَنَاجِحِ ، ظاعناً بالاعوجاج ، ضالاً عن السَّبِيلِ قاتلاً غَيْرَ الْجَمِيلِ ، يابنَ الْاَزْرَقِ ،
اَصْفُ إلهِي بما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَ لَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ قَرِيبٌ غَيْرَ
مُتَلَصِّقٌ وَ بَعِيدٌ غَيْرَ مُسْتَقْصِي يُوحِّدُ وَ لَا يُبَعِّضُ ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ مَوْصُوفٌ
بِالْعَلَامَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ »

فبكى ابن الازرق وقال:

« مَا أَحْسَنَ كَلَامِكَ »

فقال له الحسين عليه السلام: بلغني انك تشهد بكفري وكفري أبي وأخي!

فقال ابن الازرق:

« أَمَّا وَ اللَّهِ يَا حُسَيْنَ لَنَنْ كَانَ ذَلِكَ ، لَقَدْ كُنْتُمْ مَنَارَ الْإِسْلَامِ وَ نَجْمُومُ

الاحكام »^(١)

ثم استشهد الحسين عليه السلام بقوله تعالى:

« وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ »^(٢)

وَأَتَمَّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ .

وكان معاوية اذا اراد ان يبين لجلسائه علم الحسين عليه السلام وفضله ، يقول:

« إِذَا دَخَلْتَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ فَرَأَيْتَ حَلَقَةً فِيهَا قَوْمٌ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ

الطَّيْرُ ، فَتِلْكَ حَلَقَةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، مُؤْتَرَأً إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ »^(٣)

(١) سمو المعنى ص ١٤٨ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٨٢ .

(٣) سمو المعنى ص ٩٨ ، نقلًا عن تاريخ ابن عساکر ج ٤ ص ٣٢٢ .

و يقول العلالي :

«كذلك يظهر المعنى الحي في محل القداسة على المؤمنين الذين ينشرون أشعة من سيئاتهم تورث الناظر خشية في اطمئنان، وسكوناً في دعة، كأنما زوت الى قواعدهم. فما أنت بناظر جماعة في مواضع من المعبد في معالم من الأرض، بل يتداركك حين تنظر كأن الملاء الأعلى تجسم وانتشر في أشخاص استعلى بهم أو اعتلوا به فوق دنيا الناس (ما اجتمع قوم على ذكر الله إلا حقت بهم الملائكة و غشيهم الروح و ذكرهم الله فيمن عنده) وفي رواية (في ملاء عنده).

قد تكون كلمة ساذجة طَفَحَ بشعورها قلب ساذج، لو صدرت من غير معاوية الملك، الذي كان يجمع أسباب السيطرة والرهبة والقنفخية على نفسه جمعاً ليظهر بكل ذلك غير تارك منها إلا ما يزيده في مظهر الجبروت قوة.

و أما هي معاوية نفسه فإنها ذات وجه آخر بمعان أخرى..، فقد نظر الى الحسين عليه السلام من جانبه الذي انزوت إليه الدنيا بعظائمه، و توافرت لديه أشياءها حتى بدا كأنما انجمت الدنيا في ناحية مكانه، وهذا ما يجعل للكلمة قيمة أخرى. فان معاوية لم تحل به أتهات الملك عن أن يرى المعنى الإلهي في الحسين عليه السلام بما له من رَهَبَات، تَرَعُ النفس الإنسانية الجاحمة وتردها رداً عنيفاً الى حدود عبوديتها، حتى تُبَصِّر ما تلبس به بطلاً من الباطل و آلا من الآل، فتظل مشدوهة مأخوذة كالذي يكون مع خاطرة أو فكرة. ثم تنقب قوتها التي اشتقت من طبيعة المبالغة، ضعفاً فيه طبيعة المبالغة.

فكان معاوية ينظر الى نفسه بما أحاطها به من أشياء الدنيا، و الى الحسين عليه السلام بما أحاطته به الحقيقة العظمى من أشياءها، فيرى نسبةً كما بين العدم و الوجود، ثم ينظر فيرى في الوجهة المقابلة منبعث النور الذي يُعشي فيهِ، وفي الوجهة الأخرى

متراكم الظلال ومختلط الأشباح والأوهام.

وهذه ساعة تستيقظ فيها النفس الى حقيقتها، فترى كل شيء على حقيقته، ونِعْمًا هي كلمة معاوية في جلوة سماها على دنياه بما جمعت.

وكان الحسين عليه السلام اذا برز للناس يتحلّقون بين يديه صفًا بعد صف حتى يذهب فيهم البصر، ويقعون عليه وقوع الطير في اليوم الحرور على ثمد يتبرّد به ويتصأّب، وكأنهم بذلك يهربون ولو ساعة من اسر الشهوات وعبودية أنفسهم، ليقولوا كلمة الايمان خالصة بها قلوبهم، كما كان يعبر الصحابة حينما يرجعون الى النبي صلى الله عليه وآله «هَيَّا بِنَا نُؤْمِنَ بِرَبِّنَا سَاعَةً» (١)

والمؤمن مؤمن في كل الحالات، ولكن الحضور في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله و حلقة افادة ولده العزيز الحسين، والتذوق من حلاوة الايمان والاستزادة من العلم والمعرفة، واستشعار عوالم الغيب وجداناً، لا تتيسر دائماً وفي كل المحافل والجامع، يقول ابن كثير:

«انَّ الحُسَيْنَ خَرَجَ وابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ المَدِينَةِ الى مَكَّةَ وأقاما بها عَكَفَ النَّاسُ على الحُسَيْنِ يَفِدُونَ اليه وَيُقَدِّمُونَ عليه وَيَجْلِسُونَ حَوالِيهِ وَيَسْتَمِعُونَ كَلَامَهُ وَيَسْتَفْعِلُونَ بِمَا يُسْمَعُ مِنْهُ وَيَضْطَبُّونَ مَا يَرَوْنَ عَنْهُ.» (٢)

ويقول العلالي:

«والذي ينبغي أن لا يفوتنا في هذا الخبر، التعبير بكلمة (عكف) وهي تفيد في كل مشتقاتها معنى التعلق والانقطاع. فما كانت بواحد إلا الحسين عليه السلام رجلاً علّقه

(١) سمو المعنى ص ٩٩.

(٢) سمو المعنى ص ١٣٩.

كل الناس عَرَضاً، كأنما هم من ناحية الدنيا يشهدون فيه حقيقة أخرى من عالم الابداع الالهي. فهو إذا نطق كأنما انطلق لسان الغيب يعبر عن رموزه ويكشف عن خفاياه، وإذا صمت كأنما راح الغيب يعبر عن معناه بطريقة أخرى بلحن آخر، فإن من الحقائق ما لا يعبر عنه إلا الصمت العميق، كالنقطة في ثنايا السطور، فإنها تعطى معنى لا يقوم إلا بها، ولا يتم إلا إذا كانت، وهي بعد إشارة سلبية ولكنها تدل على غرض إيجابي؟، أو كقرار النغمة الصامت فإنه جزء من تمام اللحن الناطق.

وفي الخبر صورة كاملة لمقام الحسين عليه السلام، في زمن لم ينتف من طغيان السلطة وتحامل المتغلب، ولكن أنى للقوة أن تحول بين الإنسان وقلبه، أو بينه وبين ما هو من ضميره، فإن القوة لا تعمل إلا في حدودها، ولا تجد مضاءها إلا في ملابساتها، وهي كيفما امتدت بأسباب فإنها لا تحيك في مواطن الشعور. والخبر بعد ذلك يعرفنا بأن الحسين عليه السلام كان أكثر من الحديث والرواية، ولم يكن كما تشاء بعض كتب الأخبار تصويره بأنه كان مقللاً نزر الآثار.

ثم ينقل العلالي بعد ذلك، ما روي عن الحسين عليه السلام. (١)

ويقول أيضاً:

«الأخبار عن الحسين عليه السلام في هذا الباب أكثر من أن تحصي، ولقد كان يجي بالمدهشات في الفتيا وما إليها من العلم، حتى قال فيه ابن عمر: «إنه يُعَرِّ العلم غراً» (٢).

(١) سمو المعنى ص ٩٧.

(٢) سمو المعنى، ص ١٤٨. ونظير هذه الكلمات وردت عن لسان يزيد في شأن الإمام زين العابدين، عندما اقترح الإمام علي يزيد أن يرتق المنبر فلم يقبل يزيد وقال: إذا صعد فانه

فكما ان الطيور ترقّ الطعام زقاً، فكذلك الحسين عليه السلام زُقّ العلم زقاً في بيت النبوة والولاية، واغتذى من اصابع علم رسول الله ﷺ، وارتضع من ثدي معارف الإسلام، فمني و تربّي على ذلك.

٢- عبادة سيد الشهداء عليه السلام.

روى ابن عبد البر وابن الاثير عن مصعب بن الزبير انه قال:

«كَانَ الْحُسَيْنُ فَاضِلاً دَيِّناً كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ.»^(١)

وقال عبد الله ابن الزبير في وصف عبادة الحسين عليه السلام:

«لَقَدْ كَانَ قَوْماً بِاللَّيْلِ صَوَّاماً بِالنَّهَارِ»

ويقول العقّاد:

«وَكَانَتْ لَهُ صَلَّاتٌ يُؤَدِّيهَا غَيْرُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَآيَامٌ مِنَ الشَّهْرِ يَصُومُ

نَهَارَهَا وَيَقُومُ لَيْلَهَا، وَلَمْ يَفْتِهِ الْحَجُّ.»^(٢)

وكان عليه السلام يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وحج البيت ماشياً خمس و

عشرين حجة تقادّ معه نجائبه.^(٣)

وهذا دليل كمال عبادته وخضوعه لله عز وجل.

→ لا ينزل الا بفضيحتي وفضيحة آل ابي سفيان! فقيل له و ما قدر ما يُحسن هذا الغلام؟ فقال: هذا من اهل بيت قد زقوا العلم زقاً» نفس المهموم ص ٢٤٢.

(١) اسد الغابة ج ٢ ص ٢٠. الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٨.

(٢) ابو الشهداء ص ٦٣.

(٣) الاستيعاب ج ١ ص ٣٨٢. اسد الغابة ج ٢ ص ٢٠. تذكرة الخواص ص ٢٤٤. تاريخ اليعقوبي

ج ٢ ص ٢١٩. تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ١٠٧.

و ذات يوم شوهد في احد اركان الكعبة داعياً متوسلاً:

«إِلَهِهِ نَعَمْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِراً، وَ لِيَتْلِيَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِراً، فَلَا أَنْتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ الشُّكْرِ، وَ لَا أَدَمْتَ الشَّدَّةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ، إِلَهِهِ مَا يَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرَمُ»^(١)

و من اراد الوقوف على احوال سيد الشهداء في دعائه و مناجاته و طلبه و مسكنته بين يدي الله عز وجل فليراجع دعاءه يوم عرفه فإنه كافٍ في توضيح المطلب.

فقد روى بشر و بشير ابنا غالب الاسدي، قالوا: كُنَّا مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَشِيَّةَ عَرَفِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فُسْطَاطِهِ مُتَذَلِّلاً خَاشِعاً فَجَعَلَ يَمِشِي هَوْنًا هَوْنًا حَتَّى وَقَفَ هُوَ وَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَ وَلَدِهِ وَ مَوَالِيهِ فِي مِيسَرَةِ الْجَبَلِ مُسْتَقْبِلِ الْبَيْتِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ كَاسْتِطْعَامِ الْمَسْكِينِ ثُمَّ قَالَ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَ لَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ وَ لَا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صَانِعٍ وَ هُوَ الْجَوَادُ الْوَاسِعُ...»

و هو الدعاء المعروف بدعاء الحسين يوم العرفه و المذكور في كتب الادعية و الزيارة. فقرأ الدعاء حتى وصل الى هذه الجملة:

«و صلى الله على خيرته مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْمُخَلَّصِينَ وَسَلَّم». ثم اندفع في المسألة و اجتهد في الدعاء و عيناه سالتا دموعاً حتى وصل الى قوله: «و اذْرَءْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الْجَنِّ وَ الْإِنْسِ» ثم رفع رأسه و بصره الى السماء و عيناه ما طر تان كأنَّهما مزادتان و قال بصوت عال:

« يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ » الى ان وصل الى فقرة: « وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا رَبِّ » وكان يُكرر قوله « يَا رَبِّ » وشغل من حَضَرَ ممن كان من حوله عن الدعاء لأنفسهم واقبلوا على الاستماع لَهُ والتأمين على دعائه ثُمَّ عُلَتْ اصواتهم بالبكاء معه وغرَبَت الشمس و افاض الناس مَعَهُ الى مزدلفة .

٣- سخاء الحسين عليه السلام

عُرِفَ اهل البيت عليهم السلام بالجود والكرم فصاروا مضرب المثل بذلك ، وقد نزلت آيات كثيرة في امير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته ، ثناءً من الباري عز وجل لجوده وانفاقه في رضا الله فلا ذكْرُ علي الآفاق حين تصدق بدرهمه الوحيد وقرص خبزه وخبز اولاده و امهم فاطمة للفقراء والمساكين و ابناء السبيل مؤثرين على انفسهم على خصاصة كانت بهم .

فكم من ليلة بات علي وأهل بيته جوعاً لاجل اطعام واشباع غيرهم من الفقراء في سبيل الله ، وكم من رداءٍ وهبة علي لفقير كان علي احوج منه لذلك الرداء .

روى ابن عساكر في تاريخه عن ابن هشام القنّاد انه كان يحمل الى الحسين عليه السلام بالمتاع من البصرة ولعلّه لا يقومُ حتى يهب عامّته .^(١)
و روى أيضاً: أن سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين عليه السلام ففرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن حرك من خلف بابك الحلقة

(١) سُمُو المعنى ص ١٥١-١٥٠ .

أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقة
وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلي فخفف من صلاته وخرج الى الاعرابي فرأى
عليه أثر ضرٍّ وفاقة، فرجع ونادى بقنبر فأجابه لبيك يا ابن رسول الله قال ما تبقى
معك من نفقتنا. قال مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك، فقال هاتها فقد أتى
من هو أحق بها منهم، فأخذها وخرج يدفعها الى الاعرابي وأنشأ يقول:
خذا فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقه
لو كان في سيرنا عصا تمد اذن كانت سمانا عليك مندفة
لكن رب الزمان ذو غير والكف منا قليلة النفقة
فأخذها الاعرابي وولى وهو يقول:
«اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» (١) (٢)

و روي أنَّ الحسين عليه السلام دخل على اسامة بن زيد، وهو مريض وهو يقول
واغماء، فقال له الحسين عليه السلام وما غمك يا أخي. قال: ديني وهو ستون ألف درهم،
فقال الحسين عليه السلام هو عليّ قال إني أخشى أن أموت. فقال: لن تموت حتى أقضيها
عنك فقضاها قبل موته. (٣)

و روى البحراني ان الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جده رسول الله ﷺ
بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد وعتبة

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤.

(٢) سمو المعنى ص ١٥١ عن عيون الاخبار ج ٣ ص ١٤٠.

(٣) سمو المعنى ص ١٥٢-١٥١. وذكر البيهقي في المحاسن والمساوي ج ١ ص ١٨٩ هذه الحكاية
عن الإمام الحسن، وفي نفس الصفحة روى حكاية عن الحسين عليه السلام وان كل واحد منهما
اعطى ١٥٠ درهماً لفقر سألها.

بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي على ناقة ففعلها بباب المسجد ودخل فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال الاعرابي اني قتلت ابن عم لي وطلبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً، فرفع رأسه إلى غلامه و قال ادفع إليه مائة درهم، فقال الاعرابي ما أريد إلا الدية تماماً ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبد الله لغلامه ادفع اليه مائتي درهم، فقال الاعرابي ما أريد إلا الدية تماماً، ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام وقال يا ابن رسول الله اني قتلت ابن عم لي وقد طلبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم وقال هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم اخرى وقال هذه تلم بها شعئك وتحسن بها حالك وتتفق منها على عيالك. فأنشأ الاعرابي يقول:

طربتُ وما هاجَ لي مَعْبِقُ	ولا لي مقامٌ ولا مَعشَقُ
ولكن طربت لآل الرسول	فلذَّ لي الشعرُ والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون	نجومُ السماء بهم تُشرقُ
سبقت الأنام إلى المكرمات	وأنت الجواد فلا تلحقُ
أبوك الذي سادَ بالمكرمات	فقطّر عن سبقه السُّبْقُ
به فتح الله بابَ الرشاد	وبابُ الفسادِ بكمُ مغلقُ ^(١)

٤- أدبُ الحسين عليه السلام ورافته:

لقد كان الحسين عليه السلام في الذروة، في حُسن معاشرته للناس وأدبه وشفقته

(١) سمّو المعنى ص ١٥٣-١٥٢ نقلاً عن « عقد اللآل في مناقب الآل ».

وعفوه .

روى جمال الدين محمد الزرندى الحنفى المدني عن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال :

« سمعت الحسين يقول : لو شتني رجل في هذه الاذن وأومى الى اليمنى و اعتذر لي في الاخرى لقبلت ذلك منه ، وذلك أن أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام حدثني أنه سمع جدي رسول الله ﷺ يقول : لا يرد الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل . » (١)

ولقد كان الحسين عليه السلام في قمة الأدب والمحبة والرافة والعطف والمودة في اهله واولاده ونسائه .

روى ابن قتيبة أن رجلاً أتى الحسن بن علي عليه السلام يسأله . فقال الحسن إن المسألة لا تصح إلا في غرم فادح أو فقر مدقع أو حمالة مقطعة ، فقال الرجل ما جئت إلا في إحذهن ، فأمر له بمائة دينار ثم أتى الرجل الحسين بن علي عليه السلام فسأله فقال له مثل مقالة أخيه فردّ عليه كما رد على الحسن فقال كم أعطاك ؟ قال مائة دينار فنقصه ديناراً . كره أن يساوى أخاه ، ثم أتى الرجل عبد الله بن عمر فسأله فأعطاه سبعة دنائير ولم يسأله عن شيء ، فقال له الرجل إني أتيت الحسن والحسين واقتصص كلامهما عليه وفعلهما به فقال عبد الله : ويحك وأنى تجعلني مثلها إنهما غرّا العلم غرّاً المال . (٢)

روى ياقوت المستعصي عن أنس قال : كنت عند الحسين بن علي عليه السلام

(١) نظم درر السمطين ص ٢٠٩ .

(٢) سيمو المعنى ص ١٥٢ .

فدخلت عليه جارية بيدها طاقة من ريحان، فحيته بها، فقال لها:

« أَنْتِ حُرَّةٌ لَوْجِهَ اللَّهِ تَعَالَى »

قال: فقلت له: « جاريةٌ تحيئك بطاقةَ رِيحَانٍ فَتَعْتَقُهَا؟ »

قال عليه السلام: كَذَا أَدْبَنَا اللَّهُ... قال تبارك و تعالى: « وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا

بأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا »^(١) وكان أَحْسَنَ مِنْهَا عِتْقُهَا »^(٢)

يقول العقّاد بعد ذكره لهاذين البيتين عن الحسين عليه السلام

لَعَمْرُكَ إِنِّي لأُحِبُّ دَاراً تكونُ بها سُكِينَةٌ والربابُ

أُحِبُّهُمَا وَأَبْذُلُ كُلَّ مَالِي وليس لِعَاتِبٍ عِنْدِي عِتَابٌ

وهما البيتان - معبران عن خُلُقِهِ في بيته وبين أهله فقد كان من أشدّ الآباء

حَدَباً على الأبناء واشدّ الأزواج عطفاً على النساء، ومن وفاء زوجاته بعد مماته ان

الرباب هذه التي ذكرت في البيتين السابقين خَطَبَهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ بعد مقتله فقالت:

« مَا كُنْتُ لَا أَخْذَ حَمَآءَ رَسُولِ اللَّهِ » و بقيت سنةً لا يظللها سَقَفٌ حَتَّى فَنِيَتْ. وماتت

وهي لا تفتر عن بكائه والحزن عليه. ^(٣)

هـ- طلبُ الحق:

لا تجد نظيراً لآل عليٍّ في العالم، في طلب العدل و حماية المظلوم و مقارعة

الظالم.

فحكومتهم، حكومة الحق والعدل، وسيرتهم وسلوكهم و دينهم إقامة العدل

(١) سورة النساء، الآية ٨٦.

(٢) سمّو المعنى ص ١٥٩. أبو الشهداء ص ٦٢.

(٣) أبو الشهداء ص ٥٧-٥٦.

و أخذ حق المظلومين، فلا يقرُّ لهم قرار اذا ما سمعوا بظليمةً حتى يأخذوا الحق للمظلوم من الظالم.

وما ذكر في كتب التاريخ عن عدل علي عليه السلام يُدَلِّك على 'عشق علي للحق، و فثائه في العدالة، و قد اوصى علي ولديه الحسين بقوله: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً و لِلْمَظْلُومِ عَوْناً»

و الحسين عليه السلام، ابن علي و وارثه، فلم يكن ليصبر على 'ظلم بني أمية و عمّاهم، فكانت ثورته ثورة الحق ضد الظلم و الاضطهاد و الجور، و كانت نهضته نهضة نجاة المظلومين و المقهورين.

فلم يكن عند الحسين عليه السلام كما عند جدّه و أبيه و أخيه شيّ الذّ و احلى من صور عبادة الله و العدالة و القسط، و لا أمرّ من مناظر و صور الظلم و الجور و الفساد، فكان، بقدر إمكانه مدافعاً عن شرف و كرامة و ناموس و ارواح و اموال المسلمين.

و من جملة ما نقل عن الحسين عليه السلام و الذي يكشف عن مدى حرص الحسين على 'كرامة المسلمين و شرفهم، هو قصة أرينب (أوزينب) بنت إسحاق، زوجة عبد الله بن سلام.

فهذه القصة المعروفة تكشف النقاب عن انحطاط و سقوط و فساد بني أمية و عن رذالة معاوية و يزيد و تجردهم عن كلّ القيم الاخلاقية حتى أبسطها، و تدلّك على 'ضحالة هموم المتسلطين على 'رقاب المسلمين.

و قد نقل هذه الحكاية ابن قتيبة، الشبراوي، العلايلي، النويري، و ابن بدرون، العقاد و آخرون^(١) مضافاً الى ذكرها في كتاب مستقل باسم «أرينب»^(٢)

(١) الامامة و السياسة ص ٢١٢-٢٠٣. الاتحاد ص ٨٣-٧٩. سمّو المعنى ص ١٥٩-١٥٦. أبو الشهداء ص ٣٩-٣٧.

ولما كانت هذه القصة طويلة، طوينا كشحاً عن سردها بأكملها، ولكن نذكر مجملها كشاهدٍ على مدّعانا:

طمع يزيد، الذي كان يعيش حياة المجون والخلاعة واللعب ومعاقرة الخمرة والغناء والرقص، طمع في إمارة سمع بجهاها ودلالها وهي أَرِينب زوجة عبد الله بن سلام، والتي كان من وظائف يزيد وابيه حماية وصون عرضها وشرفها، وكانت أَرِينب أو زينب هذه على ما قيل أشهر فتيات زمانها بالجمال وكانت زوجة والي معاوية على العراق عبد الله بن سلام القرشي. فرض يزيد في حبّها واخفى سرّه عن أهله حتى استخرجه منه بعض خصيان القصر الذين يعينونه على شهواته... فلما علم أبوه سرّ مرضه أرسل في طلب عبد الله ابن سلام واستدعى إليه أبا هريرة و أبا الدرداء، فقال لهما ان له ابنة يريد زواجها ولم يرض لها خليلاً غير ابن سلام، لدينه وفضله وشرفه ورغبة معاوية في تكريمه وتقريبه. فخدع ابن سلام بما بلغه و فاتح معاوية في خطبة ابنته، فوكل معاوية الأمر إلى أبي هريرة ليلبّعها ويستمتع جوابها. فكان جوابها المتفق عليه بينها وبين أبيها أنها لا تكره ما اختاروه، ولكنها تخشى الضرّة وتشفق أن يسوقها إلى ما يغضب الله. فطلق ابن سلام زوجته و استنجز معاوية وعده.. فإذا هو يلويه به ويقول بلسان ابنته انها توجس من رجل يطلق زوجته وهي ابنة عمه وأجمل نساء عصره..

وقيل إنّ الحسين عليه السلام سمع بهذه المكيدة، فسأل أبا هريرة أن يذكره عند زينب خاطباً.. فصدع أبو هريرة بأمره وقال لزينب: «إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبد الله بن سلام..»

قالت: «من؟» قال: «يزيد بن معاوية والحسين بن علي، وهما معروفان لديك بأحسن ماتبتغيه في الرجال.»

واستشارته في اختيار أيهما، فقال: «لا أختار فم أحد علي فم قبله رسول الله، تضعين شفتيك في موضع شفتيه»
فقالت: «لا أختار علي الحسين بن علي أحداً وهو ربحانة النبي وسيد شباب أهل الجنة»

فقال معاوية متغيظاً:

أُنْعِمِي أُمَّ خَالِدٍ رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ

ولم يلبث الحسين عليه السلام أن ردها إلى زوجها قائلاً:

«ما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي رغبة في مالها ولا جمالها، ولكن أردت إحلالها لبعليها»^(١)

٦- زهد الإمام الحسين عليه السلام:

لعل من ابرز شواخص زهد الإمام الحسين عليه السلام ورغبته عن الدنيا هو فداؤه وبذله روحه و ارواح اولاده و اخوته واصحابه طلباً للحق، وتحمل كل تلك البليات والمصائب في كربلاء.

فمن لم يستحقر الدنيا باموالها ونعيمها وزينتها ومغرياتها، لا يقوى على مثل تلك التضحيات في سبيل الله والحق والقيم، حتى انه شاهد أجساد فلذات كبده يقطعون إرباً إرباً، وسمع أنين عطش أطفاله ولوعتهم، وعين دموع نسائه وبناته

(١) ابو الشهداء . عباس محمود العقاد ص ٣٩-٣٧.

المهارقة، فكل ذلك أوجع قلبه المفحم بالحب والعاطفة والشفقة والرأفة، مضافاً إلى عشرات الجراحات التي لا يسعها إلا جسمُ الحسين عليه السلام الصارخ لنصرة دين الله، الثابت عن الخنوع والاستسلام للباطل، ثبات الجبل الاشمّ قبال الاعاصير.

نعم لقد اقترحوا عليه التنازل ولو بالقليل ليزيد وابداء المرونة في موقفه الصلب، بما لا يقلل من شأنه ومقامه مقابل السماح له ولاهله بالعيش الرغيد وعدم التعرض له.

ولكن، لم يكن الحسين عليه السلام بالذي يبيع مصالح المسلمين وعزتهم من اجل حياة ذليلة، ولم يكن الحسين عليه السلام ليغض الطرف عن تجاوزات بني امية على الاحكام الشرعية الإسلامية، ولم يكن الحسين عليه السلام ليقبل بمتاع زائف في قبال إمضاء خروقات الحكم الفاسد الظالم لتعاليم السماء واضفاء الشرعية عليها، ولم يكن من المتسامحين في الحق وفي اداء الدور الذي كُلِّفَ به من قبل الله تعالى.

ان حُسيناً هو ابن الذي قال:

«و الله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى أهلك دونه أو يظهره الله»

ان الحسين عليه السلام هو ابن القاتل:

«إن دنياكم هذه أهون عليّ من عَقْطَةِ عَنَزٍ»

يقول العلالي:

«هذا الجانب عظيم و غريب عند الإمام الشهيد، فقد كان مستهيناً بالحياة و مستهيناً بالموت، غير ناظر إلى شيء إلا برهان ربه، الذي امتزجت به نفسه فهو يفتيه بكل شيء هان أو عزّ، و من ثم كان جديراً بأن يسمى «البَنَاءُ الثاني في الإسلام» بعد جده المصطفى ﷺ، و بأنه المجدد لبناية التوحيد كما يقول الشاعر

الهندي «معين الدين اجميري» رحمه الله» (١)

و يقول ايضاً:

«لقد انصرف «الحسين عليه السلام» بكل نفسه عن الدنيا و ما إليها» (٢).

فالحسينُ اذن، كأيّيه امام الزاهدين الذي قال:

«و الله إنَّ ابنَ أبيطالبِ آنَسَ بالموتِ من الطِّفلِ بثدي أمِّه»

«و ما أنا إلا كقاربٍ ورَّذْأو كطالِبٍ وجَدُ»

وقال الولد:

«إني لا أرى الموت إلا سعادةً ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً»

قال ابن شهر آشوب في معرض حديثه عن زهد الحسين عليه السلام: قيل للحسين:

«ما أعظمَ خوفَكَ مِنْ رَبِّكَ»

فقال عليه السلام:

«لا يَأْمَنُ الْقِيَامَةَ إِلَّا مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا» (٣)

٧- تواضع الحسين عليه السلام:

كلما ازداد الإنسان معرفةً بربه و توحيده، و كثر عِلْمُهُ و حكمته، كلما ازداد

خضوعاً و تواضعاً، فالكبر ينشأ من الجهل و قلة المعرفة والغفلة و الغرور.

و قد ذمَّت الآيات القرآنية الكريمة، و الاحاديث النبوية الشريفة، الكبر، و

مدحت التواضع.

(١) سمو المعنى ص ١١٩.

(٢) سمو المعنى ص ١٠٢.

(٣) المناقب ج ٤ ص ٦٩.

و اذا كان التواضع مطلوباً، فهو من القادة و الزعماء اكثر مطلوبةً و ينبغي عليهم الابتعاد و التخلص من الكبر و الغرور الخيلاء، فان تكبرهم يُبعدهم عن قلوب افراد المجتمع و يُنفّر الناس عنهم، و يُفردهم عن الامّة و يعزّلهم. و الجهلاء، و بمجرد أن ينالوا يسيراً من حُطام الدنيا، يدخلهم الخيلاء و التكبر، فيستحقرون الناس، و يحاولون فرض آرائهم مهما كانت سخيفة. إنَّ من أبرز ملامح الحكم الاسلامي، كما كان في زمن امير المؤمنين عليه السلام، هو تواضع ولاة الأمر و القضاء و الغاء الفوارق الطبقية و القومية التي كانت سائدة في الانظمة الحاكمة قبل الإسلام.

لقد كان علي عليه السلام يعيش مع المسلمين كأحدهم، يسعى في قضاء حوائجهم، و يهتم بنفسه بحوائجه، فكان يتسوّق بنفسه لنفسه، و يحمل متاعه برذائه أو عباءته و يأتي به الى داره، و في نفس الوقت كان يستمع الى شكاوى الناس و ينظر فيها، و كان يلبس الخشن من اللباس و هو مع ذلك يُرَقِّعُه و يتقشف، و كان يصلح نعليه بنفسه و امام الناس، و طعامه الخشب، فطالما كان يأكل الخبز و الملح أو اللبن، و لكنه لم يكن مع ذلك يأمر الآخرين بمثل ذلك، فهو الخليفة و عليه ان يواصي أضعف الرعية حالاً، و من هنا صار علي مظهر العدالة الإنسانية و الزهد الفريد.

كان و هو الخليفة يحضر مجلس الترافع و القضاء، اذا ما اشتكى عليه شاكٍ، فيجلس كما يجلس المدعي، و كم من مرّة لم يُحكم لصالحه و لم يُقلل ذلك من شأن الخلافة و الخليفة.

لقد روّض علي نفسه بالزهد و التواضع و بساطة العيش و عودها على القناعة، كيلا تطغى غريزة الطمع فتجرّه الى الحيف و اختلاس بيت المال و صرفه في التجملات و القصور الفارهة.

وقد ورد في الرواية: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ فَلْيَتَبَوَّءْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»
فمن الفاسد في مقياس الحق والعدل الاسلامي، أن يلبس الخليفة ويركب و
يسكن، أفضل ما يلبس ويركب ويسكن عُباله، وان يحيط نفسه بجهاز حاكم مبذر
مسرف ليميز عن سائر المسلمين، متخلفاً باخلاق الجاهلية.

إنَّ هذه العادات القبيحة، هي ما اعتادت عليه حكومة بني أمية حيث
جددت اعراف الجاهلية، وهذا الانحراف ارجع خلافة الممالك الإسلامية الى طرز
الجاهلية في الحكم.

وستتطرق في الصفحات اللاحقة انشاء الله الى تفصيل هذا الأمر ونكتفي هنا
بالحديث عن تواضع الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان الحسين عليه السلام على تواضعه، مُهاباً مبجلًا من قبل الناس، وعندما كان
يسير هو واخوه الحسن المجتبي الى الحج، كان كبار الصحابة، يترجلون احتراماً
لهما، ولم يكن هذا الاحترام للحسين عليه السلام من أجل قصر مُجَلَّل يسكنه الحسين أو
مركب ودابة غالية الثمن، او لكثرة غلمانه وجنوده وخدمه وحشمه، فلقد كان
الحسين عليه السلام يعيش بين الناس ومعهم، متواضعاً بسيطاً في عيشه، وكان يذهب الى
الحج في كل سنة ويجلس مع الناس، ويجالس الفقراء ويحضر الجماعات ويعود
المرضى ويشترك في تشييع الجنائز ويجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وآله مع اصحابه، و
يجيب دعوة الفقراء الى طعامهم ويدعوهم الى طعامه، وكان يحمل الخبز والطعام
بنفسه الى الفقراء والمعوذين والأيتام والارامل.

وعندما جرّده اهل الكوفة الظالمين عن ملابسه يوم عشا وراء، وجدوا آثار
حمل الجراب على كتفه الشريف، فسألوا عن ذلك فاجابهم الإمام السجاد، بان ذلك
آثار حمل الطعام الى فقراء المدينة و ايتامهم.

٨- خلوص الايمان والثبات

يُعتبر الايمان بالهدف من اهم عوامل الاستقامة والثبات والاستمرارية عند ارباب وزعماء النهضات الاصلاحية الدينية والاجتماعية، فاذا كان القائد على يقين من حقانية اهدافه، سار بخطى راسحة نحو تلك الاهداف ولم تنه عقبات الطريق مهما بدت كأداء، فهو يستلهم قوته وعزمه من ايمانه و يقينه ذلك.

و اذا ما استقرأنا تاريخ الانبياء، وخاصة خاتمهم محمد المصطفى ﷺ و امعنا النظر في سيرته، لوجدنا ان عمدة اسباب نجاحه هو ايمانه القاطع والثابت، و يقينه المجازم بنبوته و وحي السماء له، و مع مثل ذلك الايمان، دعا النبي ﷺ الى التوحيد أشد الناس وحشية و جهلاً و عناداً من بين عبدة الاوثان، و حمل راية الدعوة الى كل الملل، و مع ان العقبات التي كانت تعترض طريقة، كانت كثيرة و كبيرة، لكنه نادى باعلى صوته و بكل قوة قلب و اطمئنان خاطر:

« قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا »

و هذا الايمان الراسخ و العزم الذي لا يلين كان يبنياً و ملازماً له صلوات الله عليه طيلة حياته المثخنة بمجراح الاحداث و البليات. ففي حروبه و غزواته، و ابان الفتح و ايام الانكسار الظاهري و في بداية الدعوة و قلة الناصر و تسلط الكفار و الضغوط المادية و الروحية، في كل تلك الحالات، كان النبي ﷺ ينفذ برامجه بكل اطمئنان و يتقدم نحو الهدف بخطوات ثابتة هادئة مستقرة.

و كان الحسين عليه السلام كجده الاكرم في ارتقاء الرتبة الاعلى في الايمان بالهدف و الاطمئنان و اليقين بصحة السبيل.

كان يعتقد حقانية هدفه، و بطلان نهج الامويين، و ان ما يقوم به انما هو

لصلاح الامة الإسلامية و انقاذها، وكان يعرف أنَّ السبيل الوحيد لافشال مخططات بني امية هو بالامتناع عن بيعه يزيد و الثورة ضده.

كان الحسين عليه السلام متيقناً أنَّ الطريق الذي سلكه موافق لرضا الرب عز وجل و الرسول ﷺ و انه ينتهي به الى الشهادة و السعادة. و من ثمَّ، اعلن صراحةً مخالفته لاستخلاف يزيد مع علمه المسبق بان ذلك سيكلفه غالياً، و استقبل كل المصائب و البليّات ليقينه بانها بعين الله و رضاه.

فكما التاجر الذي يتيقن الربح الكبير في معاملة تجارية، لا يتراجع عنها أبداً فكذلك الحسين عليه السلام الذي تعامل مع ربه معاملة يعلم بكل ارباحها و منافعها الدينية الاخرية، و من حمل مثل هذا اليقين بالله و بثوابه الجزيل، لا يقبل بالبديل، فهما كانت التضحيات، كان النفع أعظم.

لقد كان ابو عبد الله الحسين عليه السلام متيقناً وجوب دفع الاخطار المحدقة بالاسلام و المسلمين، و يعلم أيضاً أن ذلك متوقف حصراً على استشهاده و تسليمه للبلاء بعد البلاء.

اقرأوا تاريخ واقعة كربلاء من البدء الى الانتهاء، و ستجدون الايمان الراسخ بالقضية و الهدف و المصير و المسير، جلياً واضح التجسّد في الحسين و ابنائه و اصحابه و نساءه و اخواته و بناته.

لقد كانت كلمات الحسين عليه السلام في المدينة و في مكة و في الطريق و في كربلاء، بضمون واحد و ان اختلفت العبارات، ففي المدينة و عندما طلب منه الوليد ان يبايع يزيداً، قال الإمام الحسين عليه السلام:

« إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطُ الرَّحْمَةِ، بَنَّا فَتَحَ اللَّهُ وَ بَنَّا خَتَمَ وَ يَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبٌ خَمِرٍ قَاتِلٌ نَفْسٍ مُّعَلَّنٌ بِالْفُسْقِ، فَثَلِي لَا

يَبَايَعُ مِثْلَهُ» (١)

ولما قال له مروان بن الحكم ان صلاحه في مبايعة يزيد قال عليه السلام: «إنا لله وانا اليه راجعون وعلى الإسلام السلام اذِ لَيْتُ اَلْأَمَةَ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدٍ» (٢)

فالحسين عليه السلام يرى ان بيعته يزيد خيانة للإسلام، و أنها تعني نهاية الإسلام و اضمحلاله، و الموافقة على مبايعته يعني إمضاء تدمير الإسلام و انقراضه. و ورد هذا المعنى ايضاً عنه عليه السلام عند قبر جدّه رسول الله ﷺ و مواضع اخرى. و في مكة، و في ضمن خطبته المعروفة «خُطُّ المَوْتِ عَلَى وَلَدِ آدَمَ» اعلن الحسين عليه السلام صراحةً براجعه، و بيّن نهاية المطاف بوضوح. و ذكر ابن الاثير عن عتبة بن سمعان الكلبي قال:

لما ارتحلنا من قصر ابن مقاتل، و سرنا ساعة خَفَقَ رأس الحسين عليه السلام خفقة ثم انتبه فاقبل يقول: «إِنَّا لله و إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» و «الحمد لله ربّ العالمين» مرتين. فاقبل اليه علي بن الحسين عليه السلام و هو على فرس فقال له: يا أبا جُعَلْتُ فداك مِمْ استرجعت؟ و علامَ حمدت الله؟

قال الحسين عليه السلام: يا بني انه عَرَضَ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسرون و المنايا تسيرُ اليهم، فعلمت أنها أَنْفُسُنَا نُعِثُ اليها.

فقال: يا أبتاه لا اراك الله سوءاً أبداً، السنا على الحق؟ قال: بلى و الذي يرجع اليه العباد.

(١) مقتل الخوارزمي ص ١٨٤ ف ٩.

(٢) مقتل الخوارزمي ص ١٨٤ ف ٩.

فقال: «يا ابت، فاذاً لا نبالي أن نموت محقين.»

فقال له الحسين عليه السلام: «جزاك الله من ولدٍ خيرٍ ما جزى ولدًا عن والدِهِ.»^(١)

وفي أحد المنازل خطب خطبةً بأصحابه وأصحاب الحرّ، وبعد أن حمد الله و

اثني عليه، قال:

«أيها الناس إن رسولَ اللهِ ﷺ قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرِّمِ

اللهِ ناكثاً لعهدِ اللهِ مخالفاً لِسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ يعملُ في عبادِ اللهِ بالإثمِ والعُدوانِ

فلم يُغيّرْ عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقاً على اللهِ أن يُدخلَهُ مَدخلَهُ ألا وإنَّ هؤلاء قد

لَزِمُوا طاعةَ الشَّيْطَانِ وتركوا طاعةَ الرَّحْمَنِ وأظهروا الفسادَ وعطلّوا الحدودَ و

استأثروا الفَيءَ وأحلّوا حرامَ اللهِ وحَرَّموا حلالَهُ وأنا أحقُّ مَنْ غَيَّرَ.»^(٢)

وقال عليه السلام للفرزدق:

«أنا أولى مَنْ قامَ بِنُصرةِ دينِ اللهِ وإِعزازِ شَرعِهِ والجِهادِ في سبيلِهِ لتكونَ

كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا»^(٣)

و اصرح كلام صدر عنه في هذا المعنى، هو خطبته يوم عاشوراء في جيش

عمر بن سعد، والتي تدل على ثباته على نفس المبادئ والقيم التي أعلن عنها في

المدينة وفي مجلس الوليد، وأنه لم يعدل عنها ولم يتغير ابداً، فقد جاء في خطبته

البليغة تلك:

«ألا وإنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السَّلَةِ وَالذَّلَةِ، وَ

هِيَهَاتَ مِمَّا الذَّلَةُ يَأْبَى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَ

(١) الكامل ج ٣ ص ٢٧٢. مقاتل الطالبين ص ١١١.

(٢) الكامل ج ٣ ص ٢٨٠. تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠٤.

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٥٢.

طَهَّرَتْ وَأَنُوفَ حَمِيَّةٍ مِنْ أَنْ تُؤَثِّرَ طَاعَةَ اللِّثَامِ عَلَى مُصَارَعِ الْكِرَامِ»^(١)

٩- شجاعة الحسين عليه السلام

قد يظنُّ البعض، إنَّ شجاعة الحسين عليه السلام هي تلك القوة العضلية الجسدية، و علمه بفنون القتال و الحرب، و قتل الابطال و الفرسان، و إنَّ أروع صور شجاعته هي حملاته و صولاته منفرداً على جيش الاعداء و تفريق جموعهم و فرارهم بين يديه كفرار الاغنام بين يدي الذئب، و عندما يتسوا من منازلته و جنبوا، اخذوا يرشقونه بالحجارة و السهام، و هؤلاء و ان استطاعوا ان يقتلوا الحسين عليه السلام و يطعوا و يقطعوا رأسه و يرفعوه على راس الرمح، و لكن لم يدع ايُّ منهم إنَّه استطاع ان يناجزه و يقتله، و انما اجتمع عليه نفرٌ بعد ان اثخن بالجراح و اضرب به العطش حتى اسودَّت السماء بعينه، و اعياء الزف و أضعفه، فاستبسل الجبناء بالاجهاز عليه بطريقة و حشية حاقدة باجمعهم حتى اختلفوا في تعيين قاتله.

يقول ابن حجر في شرح الحمزية: «وكان أكثر مقاتليه المكاتبين له و المبايعين له فلما جاءهم فرّوا عنه الى عدوه و كان الجيش الذي ارسله ابن زياد لمحاربته عشرين ألف مقاتل فحارب ذلك الجيش الكثير و معه من أهله نيف و ثمانون فقتل أكثرهم و ثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً و لولا انهم حالوا بينه و بين الماء ما قدروا عليه اذ هو الشجاع القرم الذي لا يحول و لا يزول»^(٢).

اذن، لقد كانت حملات الحسين عليه السلام و صولاته مظهراً من مظاهر شجاعته و

(١) كتب المقاتل . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠٢.

(٢) الانحاف ص ١٦.

ليست كل شجاعته، فالشجاعة التي نحن بصدددها، والتي تعدُّ من جملة سجايا الحسين عليه السلام البارزة، هي تلك الحالة النفسانية والروحية الوسط بين التهور والجبن، والتي تمنع صاحبها من الخوف والجبن والضعف والفتور، وتردعه عن التهور والتجبر والظلم والاسراف.

وهذه الملكة النفسانية، تقود القوة الجسمية العضلانية وتوجهها نحو الاعتدال والاستقامة، وحينئذٍ تعدُّ من الشجاعة، والآ كانت وبالأعلى صاحبها و صارت سبباً لملامة الناس له وذمهم إياه.

وهذه الصفة، من اشرف صفات الكمال والفضيلة، و ان تجليات الكمالات البشرية مرتبطة.

فالامة التي تنعدم في افرادها تلك الشجاعة الروحية الاخلاقية، يكون مصيرها الى العدم والفناء، وتصبح أسيرة سلطة الاجانب والطامعين. فبقاء الأمم وعزتها وكرامتها، رهنٌ ترجمتها للشجاعة.

فالتقيّدات الزائدة، والاحتياط بلا دليل، وخداع عوام الناس، وعدم قبول الرأي الآخر والنقد، ومنع الحريات، وكنم الانفاس والفكر، والتهور في العمل، والتجاسر المجنون، والضعف الروحي وعدم الصبر، والظلم والعبالة للاجنبي، وخيانة الامة، والسريّة والتستر في الامور، والخنوع والذلّ، كلها امور كاشفة عن فقدان الشجاعة. كما ان ضبط النفس والثبات والاستقامة، والصراحة ومقاومة الصعاب والعقبات، ومواجهة منعطفات الحياة، وقبول النقد والحوار البناء، واحترام حريات الآخرين، كلها امور تفرزها الشجاعة.

وكل مظاهر هذه الشجاعة قد تجسدت في الحسين عليه السلام، وكانت روحه مكاناً جسماً، مركز عرض اسمي مراتب الشجاعة حتى صارت «الشجاعة الحسينية»

مضرب المثل .

ينقل الشيخ الشبراوي عن بعض اهل العلم إنَّ آل البيت حازوا الفضائل كلها علما و حلما و فصاحة و صباحة و ذكاء و بديهة و جوداً و شجاعة ، فعلموهم لا تتوقف على تكرار درس و لا يزيد يومهم فيها على ما كان بالأمس بل هي مواهب من مولاهم من أنكرها و أراد سترها كان كمن أراد ستر وجه الشمس فما سألهم في العلوم مستفيد و وقفوا ، و لا جرى معهم في مضمار الفضل قوم إلاَّ عجزوا و تخلفوا و كم عابنوا في الجلال و الجدال أمورا فتلقوها بالصبر الجميل و ما استكانوا و ما ضعفوا تفرّ الشقاشق اذا هدرت شقاشقهم و تصغى الاسباع اذا قال قائلهم و نطق ناطقهم سجايا خصمهم بها خالفهم .

ثم يضيف الشبراوي :

« و قد حل الإمام الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في اوج ذراه و علافيه علوا تظامنت الثريا عن أن تصل الى معناه ، و لما انقسمت غنائم المجد كان له منها السهم الاوفر و الحظ الاكبر ، و قد انحصرت جرثومة عزّ هذا البيت فيه و في أخيه فكان لهما من خلال المجد و الفضل ما لا خلاف فيه ، كيف لا و هم ابنا فاطمة البتول الملحظان بعين الودّ و الرأفة و القبول من أشرف نبي و أكرم رسول :

هُمَا سَمَرُ الْمَجْدِ يَبْتَنِيَانِيهِ كَأَنْ لَمْ يُؤَسَّسْ وَالِدُهُمَا مَجْدًا

و لو لَمْ يُجَدِّ ، و استراحا و أقلعا لَمَا نَظَرَا مِثْلًا و لا وَجَدَا نِدَا

ثم يقول :

« و الحسين عليه السلام أقدم بقوة الجنان الى مقارعة الابطال الشجعان و منازلة السيف و السنان فكان عليه السلام في حرب أعدائه كرارا صبارا يرى الفرار دناءةً و عاراً فلم يزل خائضاً غمرات الاهوال بنفس مطمئنة و عزيمة مرحجة يرى مصافحة

الصفاح غنيمة و مراوحة الرماح فائدة جسيمة و بذل المهج و الارواح في نيل العزّ ثناً قليلاً و يأبى الدنية و إن تركته قتيلاً:

يرى الموت احلى من ركوب دنيّة و ليس يعيش عيش من ركب الذلّا
ثم يقول:

عندما قصد الحسين عليه السلام الكوفة سمع ابن زياد بهذا الخبر و أرسل اليه عشرين الف مقاتل و أمرهم أن يأخذوا البيعة منه ليزيد و إن أبى قتلوه. و عندما عرضوا عليه البيعة لم يقبل و تأسّى بحجده و أبيه و لم يرض بالعار و الذلّ و تجلّت فيه الشجاعة و النجدة الهاشمية مع أنه كان قد حوصر هو و أهل بيته و أعزّته و أصحابه و صار مرماً للرماح و التبال و أثر أن يبقى ثابت القدم في الجهاد و صمد بشهامة عالية و بقوة قلب لا نظير لها في مثل هذا الموقع الخطير و ناداهم قائلاً:

« يا أهل الكوفة ما رأيتم أعدّ منكم قبحاً لكم، و تَعَسَّأَ لَكُمْ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ، اسْتَصْرَخْتُمُونَا فَأَتَيْنَاكُمْ، و أَسْرَعْتُمْ إِلَيْنَا بِسُرْعَةِ الذُّبَابِ و لَمَّا أَتَيْنَاكُمْ تَهَاوَيْتُمْ تَهَاوَيْتُ الْفَرَّاشُ، و سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْوْفَ أَعْدَائِنَا مِنْ غَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، و لَا ذَنْبٌ مِنَّا كَانَ إِلَيْكُمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. »

ثم حمل عليهم، و سيفُهُ مصلّت في يده و هو يُنْشِدُ:

أنا ابن عليّ الحبر من آل هاشم كفاني بهذا مفخرًا حين أفخرُ^(١)*

(١) و حرّى بحبّي أهل البيت أن يحفظوا بقية أبيات هذه القصيدة و هي:

و جدّي رسول الله أكرم من مضى	و نحن سراج الله في الخلق نزهه
و فاطم أُمّي من سلالة أحمد	و عَمّي يُدْعَى ذَوِ الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
و فينا كتاب الله أنزل صادقاً	و فينا الهدى و الوحي بالخير يُذَكِّرُ

ويقول الشبراوي أيضاً: ثم لم يزل يقاتلهم الى ان اتخنوه بالجراح فطعن إحدى و ثلاثين طعنة و ضرب أربعاً و ثلاثين ضربة و غلب عليه العطش الى أن سقط الى الارض و مكث طويلاً من النهار كلما انتهى اليه رجل من أعدائه رجع عنه و كره أن يتولى قتله فقدم عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس و أدماه. و مكث طويلاً من النهار و لو شاؤوا أن يقتلوه لقتلوه و لكنهم كان يتقى بعضهم ببعض و يحب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء فنادى شمر في الناس و يحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك التيمي بكفه اليسرى فصار يقوم و يكبو بقوة جاش و ثبات جنان و فضل شجاعة و عدم مبالاة بما فيه من الجراح و تمسك بشهامة قرشية و هاشمية غير مكترث ذلك الاسد الوثاب بنهش تلك الكلاب» (٢).

و روى الطبري و ابن الاثير عن عبد الله بن عمار: «فشدّ عليه رجاله ممّن عن يمينه و شماله، فحمل على من عن يمينه حتى ابتعدوا، و على من عن شماله حتى ابتعدوا، و عليه قيص له من خزّ و هو معتم؛ قال: فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده و أهل بيته و أصحابه، أربط جأشاً، و لا امضى جناناً و لا أجراً مقدماً منه، و الله ما رأيت قبلاً و لا بعده، مثله؛ أن كانت الرّجالة لتتكشف من عن يمينه و شماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، قال: فوالله إنه لكذلك إذ خرجت زينب ابنة

نَسِيرٌ بِهَذَا فِي الْأَنَامِ وَ نَجْهَرُ
بِكَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَيْسَ يُنْكَرُ
و مُبْغِضُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْسِرُ

→ وَ نَحْنُ أَمَانُ اللَّهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ
وَ نَحْنُ وُلاَةُ الْحَوْضِ نُسْقِي وَ لَا تُنَا
وَ شِعْنُنَا فِي النَّاسِ أَكْرَمُ شَيْعَةٍ

(*) الاتحاف ص ١٥-١٦.

(٢) الاتحاف ص ١٦-١٧.

فاطمة أخته، وهي تقول:

«لَيْتَ السَّمَاءَ تَطَابَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ!»

وقد دنا عمر بن سعد من حسين؛ فقالت:

«يَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ أَيُقْتَلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ!»

قال: فكأنني أنظر الى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته؛ قال: و
صرف بوجهه عنها. (١)

و يقول ابن ابي الحديد:

ومن كالحسين عليه السلام في شجاعته حيث نقل من حضر كربلاء أننا لم نجد مكثوراً
قط قتل أهله وولده وأصحابه أشجع منه حيث كان يحمل على الاعداء فينهزمون
من بين يديه كفرار المعزى وكيف ظنك برجل لا يرضى بالذل ولم يضع يده في
يدهم حتى قتل. (٢)

و يقول العقاد:

«و شَجَاعَةُ الْحُسَيْنِ صِفَةً لَا تُسْتَغْرَبُ مِنْهُ» «الشَّيْءُ مِنْ مَعْدِنِهِ» كما قيل، وهي
فضيلة ورثها عن الآباء وأورثها الأبناء بعده»
الى ان يقول:

«و لَيْسَ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ مَنْ هُوَ أَشْجَعُ قَلْباً مِنْ أَقْدَمَ عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ
الْحُسَيْنِ فِي يَوْمِ كَرْبَلَاءَ».

و يقول في موضع آخر:

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٥. الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٨٢.

فأنه كان يقاسي جهد العطش والجوع والسهر ونزف الجراح ومتابعة القتال، و يلقي باله إلى حركات القوم ومكائدهم، ويدبر لرهطه ما يحبطن به تلك الحركات ويتقون به تلك المكائد، ثم هو يحمل بلاءه وبلاءهم... ويتكاثر عليه وقر الأسى لحظة بعد لحظة كلما فجع بشهيد من شهدائهم. ولا يزال كلما أصيب عزيز من أولئك الأعزاء حمله إلى جانب أخوانه وفيهم رمق ينازعهم وينازعونه وينسون في حشجة الصدور ما هم فيه... فيطلبون الماء ويحز طلبهم في قلبه كلما أعياه الجواب، ويرجع إلى ذخيرة بأسه فيستمد من هذه الآلام الكاوية عزماً يناهض به الموت ويعرض به عن الحياة... ويقول في أثر كل صريع: «لا خير في العيش من بعدك» ويهدف صدره لكل ما يلقاه...^(١)

ويقول أيضاً:

«و ظلَّ (الحسين عليه السلام) على حُضور ذِهنه وثبات جأشه في تلك المحنة المترابكة التي تعصف بالصبر وتطيش بالألباب، وهو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم و الدم، ولا ينهضُ به إلا أولوا العزم من أندر ما يلد آدم و حواء.»

ولكنَّ حسين عليه السلام الشهامة والاستقامة والايان، تحمّل كل هذه المصائب و دافع تلك البليات التي تكفي واحدة منها لهدّ عزم اشجع الشجعان، كما يدفع الشجاع عن نفسه الابطال في الوغى.

بوركت حقيقة الإنسانية التي اذا تجلّت غطّت كل مناظر الجبال في عالم الخلقة، ومنحت لحم و دم و عظام و شحم الإنسان قدراً عالياً و تسامت حتى ساوت كل الممكنات وزناً و قدراً و اعتباراً، و اهتزّت رايتها في السماوات العلى!

و بورك طلب الحق و رضا الرب، الذي يرتفع بروح الإنسان و يُعظمها الى درجة الارتقاء الى 'مصاب الانوار القدسية.

و بورك آل محمد، اهل بيت الرسالة، و قربي النبوة، الذين علّموا البشرية دروس الشرف والاستقامة والصبر والفداء و رباطة الجأش والعزيمة!
و بورت الامة الإسلامية، و الفخر و العزُّ للطائفة الشيعية المحقة و الفرقة المحقة، التي تحيي الذكرى السنوية لهذه التضحيات و الفداء الفريد، و التجلي العظيم للروح الإنسانية مستفيدة ومفيدة من هذه المراسم و الشعائر، دروس الابداء للمجتمع البشري!

١٠- تجليات عظمة الحسين عليه السلام

يتحدث العلالي ضمن تعدادة لمظاهر عظمة الحسين عليه السلام، عن عظمة صراحة لهجة الحسين و صدقه، و عن عظمة تصميمه، و عن عظمة إباء نفسه و علو همته و رجولته.

ولان هذه المزايا التي ذكرها مستقاة من روح الحسين عليه السلام القياضة الشجاعة الظافرة، لذا فسنتصر على نقل مقاطع من كلام العلالي:

عظمة المضاء

و هذا جانب أكثر عمليّة من الصراحة إذ هو التصميم و العزم النافذ و توطین النفس الى النهاية على أية أشكالها. و هذا شيء يشعر به أرباب المشاعر المُرّهقة حتى أنهم يحسون في دمائهم غلياناً، كأن بركاناً انفجر و ثار في شرايينهم فهو يقذف بالحمم و يندفع كالسيل الناري حين ينصب من علو بين الشرر المتصاعد و القوة

المتدافعة، وبين النفس اللاذخ والانهار القوي، فلا براح من أن يمضي بدون تراخ تحت شعوره الجيتاش واحساسه الملتهب. و اسمعوا اسمعوا إلى كلمات الحسين عليه السلام كيف تخرج مع هذا الشعور الخطير قال: « الحمد لله، وما شاء الله ولا قوة إلا بالله و صلى الله على رسوله خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقية كآني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلا فيملأن مني أكراشاً جَوْفًا و أجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضئ الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه و يوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تُقرُّ بهم عينه وينجز بهم وعده، إلا فن كان باذلاً فينا مهجته و موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فاني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى» .

هذه الكلمات الثائرة كانت منطق الحسين عليه السلام لأولئك الذين أرادوا أن يحملوه على غير رأيه، وهؤلاء عذرهم فانهم لا يحملون نفسه ولا يشعرون بشعوره، ولا تتوقّد في نفوسهم ما يتوقّد في نفسه.

ولندرك عظمة هذا الموقف الذي يقفه إلا أن يمضي إلى غايته، نذكر الرجال الذين نهوه عن الخروج، منهم أبوبكر عمر بن عبد الرحمن المخزومي، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن عمر، و محمد بن الحنفية، و كلهم من خُلص الرجال، و لكنهم في مواجهة الرجولة الحققة فقدوا جلد الرجولة و بدوا كدقاق الحصى في سفح الجبل الأشم حين تعصف العاصفة، تُسمع أصواتاً مع انحدارها و ربما كانت ضجة من الأصوات، و الجبل في موقفه ساخر في صموت، و ساكن في غير مبالاة. و ربما كان جواباً خالداً في التصميم، و العزيمة، قول الحسين عليه السلام لابن عمر لما أشار عليه بصلح أهل الضلال، و حذره من القتل و القتال فقال: « يا أبا عبد الرحمن

أما علمت أن من هوان الدنيا على الله، أن رأس يحيى بن زكريا، أهدي إلى بغى من بغايا بني إسرائيل»

هذه فقرة نبيلة من جواب الإمام، تجعلنا نلمس مقدار قوة التصميم عنده، و مقدار مضاء العزيمة لديه، لتحقيق هدفه الذي لا يحيد عنه قيد أئمة.

وكذلك مضى وهو لا يرى إلا مبدأه الذي يألف من كلمات ثلاث، ثم لا يسمع سوى صوت هذه الكلمات عميق الصدى سحرياً...

اللَّهُ رَسُولُهُ الْقُرْآنُ

عظمة الإباء

وهذا جانب آخر من عظمة الإمام الشهيد، ولكنه أنبلها جميعاً وذلك إذا رأينا كيف يفقد المبدأ والصراحة والمضاء ما فيها من معاني إذا أرضت صاحبه شهوة أو أقنعه مفس، أو أجاب إلى دنيا. وليست تفقد معناه فحسب بل ينقلب النبل فيها عاباً، والشرف حطة فكان الإباء حجر الأساس وركن الزاوية وكذلك أبي الامام عليه السلام إلا الإباء ونطق بها كلمة تفرق منها نفس العاتي وتزول معها كبرياء الظالم «لا والله لأعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرار العبيد، يا عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعود بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»^(١)

ثم قال عليه السلام:

«ثم أيم الله لا تليثون بعدها إلا كزيت ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور

الرَّحَى، وَتَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ الْحَوْرِ عَهْدُ عَهْدَهُ إِلَى أَبِي عَن جَدِّي فَأَجِيعُوا أَمْرَكُمْ، وَ
شُرَكَائِكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى
اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١)
ثم أناخ راحلته، وركب فرسه، وتهيأ للقتال...

أَعْظَمَ بِهِ بَطْلاً لَمْ يَعْطِ مَتَّضِعاً يَدَ الصَّغَارِ وَأَعْطَى دُونَهَا الرُّأْسَا
كَذَلِكَ الْحَرْثُ يَسْتَعِدِّي الْمَمَاتِ عَلَى عَيْشِ الدُّنْيَا إِدْلَالاً وَارْكَاساً
أَكْرَمَ بِهَا خَلَّةً كَانَتْ لَنَا نَهْجاً ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَى الْإِيَّامِ نِبْرَاساً
أَجَلْ، اِنْ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِمَا وَرَثَهُ مِنْ عِزَّةٍ عَنْ جَدِّهِ وَبِبَاءِ شَخْصِيَّتِهِ لَمْ يَمِنْ وَلَمْ
يَنْكُلْ أَبَداً، وَعَجَزَ التَّارِيخُ أَنْ يَجِدَ لَهُ نَظِيراً فِي شُمُوحِهِ وَإِبَائِهِ وَعِزَّتِهِ. فَلَقَدْ كَانَ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلا زَالَ مُعَلِّمَ الْأَجْيَالِ مُعَلِّمَ الْعِزَّةِ وَالشُّمُوحِ.

ويقول ابن أبي الحديد:

«سَيِّدُ أَهْلِ الْإِبَاءِ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ الْحَمِيَّةَ وَالْمَوْتَ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيُوفِ
إِخْتِيَاراً لَهُ عَلَى الدُّنْيَا، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي عُرِضَ
عَلَيْهِ الْأَمَانُ وَأَصْحَابُهُ فَأَنْفَ مِنَ الذِّلِّ...»^(٢)

عظمة البطولة:

هذا جانب من العظمة أشد ما يكون وضوحاً عند الحسين عليه السلام، وربما لم يظهر
عند غيره بالروعة التي نراها عنده، ولعل أبرع مواقف بطولة الحسين عليه السلام، هذا

(١) مقطع من خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠٢.

الموقف الذي يقول فيه :

« قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه ، فإن هذه السهام رُسلُ القوم إليكم » ، فاقتتلوا ساعة من النهار حملةً وحملةً ، حتى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة . فعندئذ ضرب الحسين عليه السلام يده إلى الحية وجعل يقول :

« اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً ، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة ، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه ، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم ، أما والله لا أجيهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي » ^(١)

محل الروعة البالغة أو بلاغة الروعة في قوله « قوموا إلى الموت رحمكم الله » و في قوله « أما والله لا أجيهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله تعالى وأنا مخضب بدمي »

هاتان الفقرتان اللتان ترسمان بكل وضوح نفسية الحسين عليه السلام غير هباب ولا وجل ولا شكس ولا وكل . يدعو أصحابه إلى الموت كأنما هو يدعوهم إلى مأدبة لذيذة ، ولقد كانت لذيذة عنده حقاً ، لأنه وهو ينازل الباطل يرتسم له برهان ربّه الذي هو مبدؤه ، ويسمع صوت الله الذي هو صوت ضميره ، ثم يشد على القوم ، وهو لا يرى بناظريه إلا هذه الكلمات الثلاث ...

اللهُ رسوله القرآن

و اذا ما اردنا ان نواصل الحديث في شجاعة الحسين عليه السلام وثباته الروحي و المجسدي ، لن نكمل كتابة هذا الكتاب قريباً ، ولذا نحاول ان نطوي هذه الصفحة

المشرقة من حياة أبي الشهداء، وتقع بهذا القليل، محيلين القارئ العزيز الى كتب المقاتل، للتأمل في تاريخ حياة وسيرة الإمام الحسين عليه السلام.

١١- صبر الحسين عليه السلام

تعدُّ هذه الصفة من اصول الاخلاق الحميدة والملكات المحمودة، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم وصلت الى السبعين آية في خصوص الصبر، من جملتها:

- «أَتَمُّ يَوْمٍ فِي الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(١)
«وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٢)
«وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»^(٣)
«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا»^(٤)
«إِصْبِرُوا وَصَابِرُوا»^(٥)
«وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ»^(٦)
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»^(٧)
- و من الروايات المعروفة في هذا المجال:

(١) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٦.

(٣) سورة الانفال، الآية ٤٦.

(٤) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٦) سورة مريم، الآية ٦٥.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

« الصبرُ من الايمانِ كالرأسِ من الجسدِ لا خيرَ في جسدٍ لا رأسَ معه ولا في ايمانٍ لا صبرَ معه »

و عن امير المؤمنين عليه السلام :

« اِطْرَحْ عَنْكَ وارِثَاتِ الْهُمُومِ بِعِزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ »^(١)

و للوقوف على 'فضيلة الصبر و تعريفه و مراتبه و درجاته و اقسامه، راجع كتب الحديث و الاخلاق، كبحار المحلّسي و المحجّة البيضاء و جامع السعادة و معراج السعادة.

يقول الراغب في « مفردات القرآن » :

« الصبرُ حَبْسُ النفسِ على ما يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَ الشَّرْعُ أَوْ عَمَّا يَقْتَضِيَانِ حَبْسَهُمَا عَنْهُ. »

و المستفاد من الآيات و الروايات، مضافاً الى 'علو مقام و مرتبة الصابرين، ان الصبر مفتاح البركات، و انه مقدمة لنيل كل المقامات المعنوية، و انه شرط الموفقية و النجاح في كل عمل و كسب كل فضيلة.

و لقد نجح الإمام الحسين عليه السلام في الامتحان في مقام الصبر نجاحاً أبهر أعداءه قبل محبّيه، بل ان صبره مما تعجبت منه الملائكة، و كما ورد في الزيارة المنسوبة الى الناحية المقدسة :

« لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ صَبْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ »^(٢)

و وصل صبره الى درجة انه صار من اوضح الواضحات و المسلّمات، ولكن

(١) شرح نهج البلاغة . ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٠٧.

(٢) الزيارة الناحية - ضياء الصالحين.

و مع ذلك و لتتميم الفائدة الاخلاقية و السلوكية ، نعرض لبيان عدة تجليات من صبره عليه السلام :

الصبر على الجهاد:

و أحد معاني هذا الصبر ، هو عدم ضعف المجاهد في سبيل الله ، اذا ما اتخن بالجراح ، و عدم الادبار في المواجهة ، و عدم التزلزل في العزم و الصمود ، و المحافظة على الاقدام عند مواجهة الحشود الهاجمة .

إن من جملة اسباب فتوحات المسلمين في صدر الإسلام ، هو حالة الصبر التي كانوا يتدربون بها في الجهاد لكسب الثواب و الفوز بالقرب الالهي في ساحات الوغى ، و القرآن يمتدح هؤلاء بقوله :

«وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ»^(١)

و قال تعالى :

«كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»^(٢)

و هذا سبق في سوح الجهاد ، كان و بالدرجة الاولى نصيب علي عليه السلام و آل علي ، حيث لم نعهد لهم هزيمة و إدباراً أبداً . فلقد كان امير المؤمنين عليه السلام في بدر و أحد و الاحزاب و حنين و غيرها من الحروب و الغزوات ، ثابت القدم و في غاية الصبر و التحمل ، حتى انه اصيب في «أُحُد» بتسعين جراحة و ضربة ، و لم يكف عن القتال دفاعاً عن رسول الله ﷺ و عن الإسلام .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

ولقد أصيب أخوه جعفر ابن أبي طالب في «مؤته» بأكثر من سبعين جراحة سيف و رمح و سهم، و مع ذلك بقي رافعاً راية الإسلام عالية حتى قُطعت يداه الكریمتان، و طبقاً لبعض الاخبار انه بقي مرابطاً حتى قُذَّ جَسَدُهُ نصفين.

يقول عباس محمود العقّاد واصفاً صبر الحسين عليه السلام:

فانفرد وحده يُقاتل الزحوف المطبقة عليه، و كان يحمل على الذين عن يمينه فيتفرقون، و يشدُّ على الخيل راجلاً و يشقّ الصفوف وحيداً و يهابه القرييون فيبتعدون، و يهيمُّ المتقدمون بالاجهاز عليه ثمَّ ينكصون....»

ثمَّ يقول:

«و وجدت بعد موته عليه السلام ثلاث و ثلاثون طعنة، و اربع و ثلاثون ضربة غير اصابة النبل و السهام و احصاها بعضهم في ثيابه فاذا هي مائة و عشرين»^(١)

بل، ان المستفاد من بعض الروايات أنَّ مجموع الجراحات الواردة على جسده الشريف بلغت (٣١٠) جراحة سيف و طعنة رمح و إصابة سهم و جرح حجارة، و الملفت للنظر هو إنَّ كل تلك الجراحات كان في مقدم جسده و وجهه و صدره الشريف.^(٢)

و مع كل هذه الجراحات الدامية، ظلَّ يجاهد و ينازل الجموع و يرتجز و يحمل على الرجال راجلاً، حتى انه و عندما خرَّ على وجهه جعل يقوم و يكبو و هم يطعنونه برماحهم و يضربونه بسيوفهم حتى سكن حراكه، فتنادى القوم بمصرع الحسين عليه السلام فبلغت صيحتهم مسمعه الذي اثقله النزاع، فلم يخطر له انه ضعيف

(١) ابو الشهداء ص ١٥٥.

(٢) القمقام الزخّار ص ٤٦٨. مروج الذهب ج ٣ ص ١١.

منزوف فالتمس سيفه فاذا هم قد سلبوه، فلم يجد الا مِدية صغيرة قنع بها و غالب
الوهن و الموت ثم وثب على قدميه من بين الموتى وثبة المستيثس الذي لا يفرُّ من
شيء، فتولاهم الذعر، و شلَّت أيديهم من الخوف، فانطلق يُتخن فيهم قتلاً و جرحاً
و لم يقووا عليه، فكان عليه السلام الصابر حقاً و المجاهد صدقاً.

الصبر على فقدان الأحبة

و هذا القسم من الصبر، اشدُّ من الصبر على الجراح و السيوف و الأسرع في
اضعاف العزيمة، و لكنَّ الحسين الذي يعدل صبره و ثباته صبر الجبال الرواسي،
صبر على تلك المصائب المفجعة من مصرع الاولاد و الاخوة و الاحبة و هم خير
الأهل و خير الصُحب الذين كانوا يتلظون عطشاً امام عيني الحسين عليه السلام، لكنه
صبر. صَبَرَ الحسينُ صبراً لم يشهد عالم الخلق الإنسانية نظيراً له، صبر عندما رُمي
طفله الرضيع في حجره بسهم حقود مسموم، و صبر عندما ضرب ابنُ اخ له لم
يتجاوز العاشرة من عمره، جاء مدافعاً عن عمه الحسين عليه السلام فضربه لثيم من اللثام
بضربة اتقاها الغلام بيده فقطعت يده و هو في حجر عمِّه الذي كان ملقاً على
الرمضاء، و حيداً لا ناصر له و لا معيناً، و صبر الحسين عليه السلام عندما رأى طفلاً له فرَّ
من الخيمة طلباً لجرعة من الماء يطفي بها لهيب قلبه الذي اضرَّ به العطش فاذهله عن
مخاطر تلك الساعة، فضربه القوم بعامود خيمة لا يتحملها كبار الرجال، ففضى
الغلام عطشاناً مظلوماً.

و صبر الحسين عليه السلام و أمر ابن اخيه الصغير الذي قطعت يده في المعركة و بقيت
معلقة بجلدة عضده، أمره بالصبر كما يأمر الفرسان بذلك، و قال :

« يا ابنَ أخي اصبرْ على ما نَزَلَ بك ، و احتسب في ذلك الخير . »

وصبر الحسين عليه السلام وهو يرى بوادر أسر بناته وأخواته ونسائه وهنَّ عقائل النبوة ومخدرات الإمامة، وكان وقع ذلك على قلبه، أكبر من وقع السيوف والرماح، لكنه صَبَرَ وأوصاهم بالصبر والوقار والتحمل وبشَّرهم برحمة الله ولطفه وحمايته لهم، فقال:

«وَرَحْمَةُ اللَّهِ لَا تُفَارِقُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.»

ضبط النفس

ورد عن رسول الله ﷺ أنَّ القوي من ملك نفسه عند الغضب، ولم يُعهد عن الحسين عليه السلام أنه تبع غضبه يوماً ما، بل كان مالكا لنفسه حين غضبه، ومهما اجتمعت عليه مناشي الغضب لم تؤثر في سلوكه ولو لطفرة عين، ولم تخرجه عن حلمه وسكينته، يقول العلالي:

إِنَّ غَلاماً وَقَفَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ فَوَقَعَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ يَدِ الْغَلامِ فِي الطُّسْتِ، فَطَارَ الرِّشَاشُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ الْغَلامُ يَا مُوَلَايَ: «وَالْكَاضِمِينَ الْغَيْظَ»

قال عليه السلام: كَظُمْتَ غَيْظِي، قال: «وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» قال عليه السلام: «قَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ»، قال: «وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». قال الحسين عليه السلام: «أَذْهَبَ فَاَنْتَ حَرُّ لَوْجَةِ اللَّهِ الْكَرِيمِ»^(١)

ومن جملة تجليات حلم الحسين عليه السلام وملكه لنفسه ساعة الغضب، ما قام به في كربلاء عندما التقاه جيش الحر بن يزيد وهم عطاشا في تلك الصحراء القاحلة فسقاهاهم الحسين عليه السلام الماء عن آخرهم وسقى خيولهم ورشَّفها.

يقول علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من اصحابه، فلما رأى الحسين مابي وبفرسي من العطش قال: «يا ابن أخ أنخ الراوية» فآخنته، فقال: إشرّب، فجعلتُ كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقام الحسين عليه السلام: «إخنت السقاء» اي اعطفه. قال: فجعلت لا ادري كيف أفعل، فقام الحسين عليه السلام فآخنته، فشربت وسقيتُ فرسي. (١)

و من غماذج صبر الحسين عليه السلام إياؤه البدء بالحرب، على معرفته بان هؤلاء الكفار لن يرحموه ولن يرحموا اعزّته، فرموه بالنبال وصبر و اقام الحجّة عليهم ولم يمدّ ولا أحد من صحبه يداً على سلاح.

لما وصل كتاب ابن زياد الى الحرّ بن يزيد بمحاصرة الحسين عليه السلام والجمعجة به على غير ماء وكلاء، قال زهير بن القين: يابن رسول الله أنّ قتال هؤلاء اهون علينا من قتال من يجي من بعدهم، فقال له الحسين عليه السلام: «إني أكره أن أبدأهم بقتال»

و حتى عندما منعوا الماء عن الحسين عليه السلام وصحبه، فلم يبق في مخيم الحسين ذو روح من الرجال والنساء والاطفال وحتى الجياد، الا وهو يعاني من العطش، و تعالت الصرخات بالعطش، مع ذلك لم يبدأهم الحسين عليه السلام بقتال.

و رأى شمر ابن ذي الجوشن، من أبغض مبغضيه المؤلّبين عليه - يدنو من بيوته و يجول حولها ليعرف منفذ الهجوم عليها، فابى على صاحبه مسلم بن عوسجة ان يرميه بسهم و قد امكنه ان يصميه و هو اسدّ الرماة، لانه (اي الحسين عليه السلام) كره ان يبدأهم بعداء (٢)، و كانه اراد ان تكون حربه دفاعية محضة.

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٠٣. منشورات مؤسسة الاعلمي.

(٢) ابو الشهداء ص ١٤٤-١٤٣.

ومن جملة مظاهر عفوه وصبره، وعملاً بالآية الشريفة: «وَلِمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُور»^(١)

هو قبوله توبة الحر بن يزيد، وملاطفته له ومحبته اليه، وهو لا يصدر إلا من معدن الصبر والحلم والعمو والمغفرة.

الصبر على العطش

ولعمري أنه لمن أقوى أنواع الصبر، وخاصة عندما يشتد العطش بالمرء. فالثبات والصمود عند اشتداد العطش وعدم الخضوع والتسليم للباطل، هو من علامات العزم الراسخ الكبير ولعلنا لا نجد في التاريخ من صَبَرَ على العطش كالحسين عليه السلام.

وبحسب النقولات التاريخية، فإن الماء قد مُنِعَ عن خيام الحسين عليه السلام من اليوم السابع من المحرم، وإن كان بعض أصحاب الحسين عليه السلام وخاصة أبو الفضل العباس قد تمكنوا من الاستقاء لبعض الماء ما بين اليوم السابع والعاشر، فإن هذا الماء كان يخص للأطفال والنساء ولم يكن للكبار نصيب فيه، وعلى هذا فالحسين وأصحابه لم يشربوا الماء ليومين أو ثلاثة أيام، ويكون صبرهم على العطش، خاصة يوم القتال، صبراً لا نظير له. ومن عاش حرارة الطقس في العراق، يعرف جيداً أن تحمل العطش لعدة ساعات أمرٌ بعيد المنال، خاصة في زحمة الجهاد والمبارزة والجراح وحرارة الشمس ونزف الدم والهيحاء والغبار، كل ذلك باعث على اشتداد إضرار العطش، ولكن الإمام العطشان صبر على ذلك ولم يستسلم لأولئك

الاولاد.

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ

الصبر على الطاعة

لا شكَّ في أنَّ كلَّ تجليات صبر الحسين عليه السلام إنما كانت طاعة لله وأمره، ولامتثال تكاليفه، فاستقبال الحسين عليه السلام لتلك البليَّات والمصائب، ورفضه لكلِّ الدعوات التي صدرت من محبِّيه ومن أعدائه، للتنازل والاستسلام والبيعة ليزيد، إنما كانت امتثالاً للأوامر والنواهي الإلهية وتطبيقاً لأحكام الشريعة وتجسيداً للصبر على الطاعة.

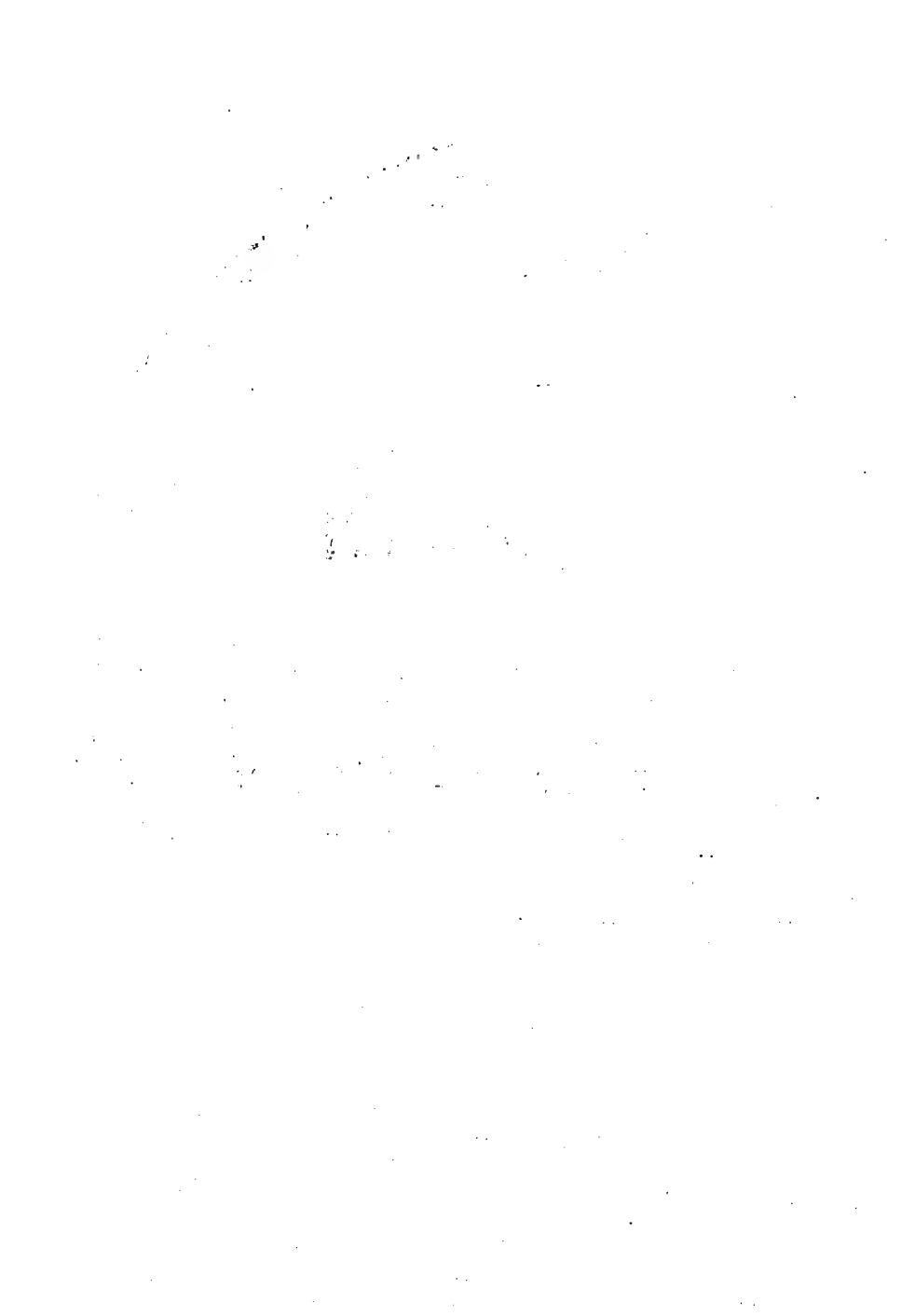
عزيزي القارئ، إنَّ شخصية الإمام الحسين العظيمة، ومناقبه وفضائله وكرامته أخلاقه، قد بلغت وفي كلِّ الجهات، حدّاً من العظمة إلى درجة استحالة الامتثال بها بعدة مقالات، بل وحتى المؤلفات المستقلة المختصة بذلك عاجزة عن الإحاطة ببعضها، ولذا نجد أنفسنا عاجزين إلّا عمّا قدمناه من مختصر وجيز لبعض تجليات تلك الصفات، ونقول بنحو جامع وملخص: إنَّ الحسين عليه السلام هو أكملُّ الناس علماً ومعرفةً وحلماً وفصاحةً وبلاغةً.^(١)

(١) ان الكلمات الاعجازية للحسين عليه السلام وخطبة الفصيحة البليغة ومواعظه ونصائحه الجامعة والادعية التي أثرت عنه وضبطت في كتب العامة والخاصة، لخير دليل وبرهان على ان الحسين عليه السلام كأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، مالكٌ مُلك الفصاحة وحاكم اقاليم البلاغة. يقول معاوية بن ابي سفيان في معرض وصفه لمنطق الحسين عليه السلام وجميل بيانه: «لكنّها ألسنةُ بني هاشمٍ الحِداد التي تفلقُ الصخرَ وتعرفُ من البحر.»



البحث الثاني

بني هاشم و بني أمية



بني أمية و بني هاشم

لا نبالغ اذا ما قلنا باننا لم نجد صراعاً بين الحق والباطل، ولا مواجهة بين اولياء الله و المصلحين مع المفسدين و الظالمين، كالمواجهة و الصراع الذي كان بين بني هاشم و بني أمية، حيث تشخّصت الفرقتان و امتاز صفُ اصحاب الفضيلة، اصحاب الخير و الشرف عن صفُ عناصر الشرِّ و الباطل.

كما لا مبالغة في القول: أنّه لم تنكشف حقيقة صراع بين أهل الحق و اهل الباطل، كانكشافها في صراع الحسين (عليه السلام) مع بني أمية في قدسية اهداف الحسين (عليه السلام) و رذالة اهداف يزيد.

و ما تجلّى من الحق في جبين الحسين يومَ كربلاء، و انتشار جمال حقيقته في آفاق العالم، و تمزيق ستائر الخداع و الفساد، لم يتجلّى في مظلومية و استشهاد ايّ واحدٍ من شهداء طريق الحق و قادة الاديان.

أجل، إنّ المثل الأعلى و النموذج الاكمل لخصال الايمان و طلب الحق، و حُب الخير و العدالة و الفضيلة، هو خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه و آله)، و من بعده أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي اقترب و اقترب من الحق، و لازمه الى درجة تصديق و تصرّيح لسان الوحي بهذه الملازمة، فقال: « علي مع الحق و الحق مع علي » و كما كانت جنود الحق و التوحيد في حروب النبي و علي مع الكفار و الباطل متميّزة كل التميّز عن جنود الشرك و الكفر، فكذلك في هذه المعركة التي تجسد الحق في شخص الحسين (عليه السلام) و

تجسد الباطل في شخص يزيد، تميزت قوى الحق عن قوى الباطل بلا ادنى شبهة. لقد كان بنو هاشم في الجاهلية وفي الإسلام، الدّ خصوم الظلم والجور، و حماة المظلومين وحرسة الحق والعدالة، فهم الذين لعبوا الدور المشرف في حلف الفضول في الجاهلية ووقفوا لنصرة المظلومين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والبغي، وبذلوا الاموال من اجل رفع الحيف عن الفقراء، كما ذكر ذلك مفصلاً في كتب التاريخ وكان موقفهم ذاك نابعاً عن حسّهم الانساني بحبّ النوع البشري و دليلاً على نقاء نيتهم وسرائرهم وكاشفاً عن طيب عنصرهم وطهارة نفوسهم و كمال سجايهم، ولو انّ العالم المعاصر المتمدن اليوم تعاقدوا على مثل ذلك الحلف، لكان ذلك فخرهم الوحيد، وإنجازهم الهم.

لقد كان حلف الفضول من أشرف العهود التي ابرمت قبل الإسلام ونموذجاً عن قدس الروح وطهارة الباطن ونزاهة الأخلاق وعدالة و شرف بني هاشم الرفيع، اذ أنّ أوّل من سعى جاهداً لتأسيس هذا الاتحاد الطاهر والمقدس، والعامل على تطبيقه و ترجمته عملياً، هو الزبير بن عبد الملك، عمّ النبي الاكرم ﷺ واشترك فيه عموم بني هاشم، وقد حضره النبي الاكرم ﷺ حين انعقاده في دار عبد الله بن جذعان وكان من شيوخ قريش، وكان عمر النبي يومذاك خمساً وعشرين عاماً، وكان النبي بعد البعثة يقول:

«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جِذْعَانَ حِلْفًا لَوْ دُعِيتُ إِلَى مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»

وفي نقل آخر:

«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جِذْعَانَ حِلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ مُهْرُ النَّعْمِ وَلَوْ أَدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»

وفي آخر:

لَقَدْ... مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لِأَجْبْتُ لَا يَزِيدُهُ
الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً»

وكان سبب هذا الحلف أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة، فتحالف المطييون وهم بنو عبد مناف وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء وثير وما بلّ بحر صدفه. وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه.

وقيل إن الطيب كان لأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي توأم عبد الله أبي رسول الله، وتحالفت اللعقة وهم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جُمع وبنو سهم وبنو عدي على أن يمنع بعضهم بعضاً ويعقل بعضهم عن بعض وذبوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها؛ فكانت قريش تظلم في الحرم الغريب ومن لا عشيرة له حتى أتى رجل من بني أسد بن خزيمه بتجارة فاشتراها رجل من بني سهم فأخذها السهمي وأبى أن يعطيه الثمن، فكلم قريشاً واستجار بها وسألها إعانته على أخذ حقه فلم يأخذ له أحد بحقه فصعد الأسدي أبا قبيس فنادى بأعلى صوته:

يَا أَهْلَ فِهْرٍ لِمَ ظَمُّوا بِضَاعَتَهُ بَيْطُنَ مَكَّةَ نَائِي الْأَهْلِ وَالنَّفَرِ

إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ قَتَمَتْ حَرَامَتَهُ وَلَا حَرَامَ لَثَوْبِي لِابْسِ الْغَدْرِ

وقد قيل لم يكن رجل من بني أسد ولكنه قيس بن شيبه باع متاعاً من أبي

خلف الجمحي وذهب بحقه، فقال هذا الشعر، وقيل بل قال:

يَا لَقُصَيِّ كَيْفَ هَذَا فِي الْحَرَمِ

وَحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأَخْلَاقِ الْكَرَمِ

أَظْلَمَ لَا يُنْعَمُ مِنِّي مَنْ ظَلَمَ

فندمّت قريش فقاموا ففتحوا ألباطم غريب ولا غيره وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم، واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي. وكانت الأحلاف هاشم وأسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر فقالت قريش: هذا فضول من الحلف، فسمي حلف الفضول. وقال بعضهم: حضر ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاة والفضل بن حشاعة والفضل بن بضاعة فسمي بهذا الاسم. وقد قيل إن هؤلاء التفر حضروا حلفاً لجزمهم فسمي حلف الفضول بهم وشبه بالحلف في تلك السنة.

ومن حلف الفضول وغيره، يتضح لنا ان كرائم الأخلاق والشرف والفضيلة والغيرة والصدق والعدالة والامانة والشجاعة وصراحة اللهجة والتقوى والفداء والايان، كانت مقدسة في قاموس بني هاشم.

ولمزيد الإطلاع على المكانة الروحية والملكوتية لبني هاشم، راجع تاريخ آباء النبي الاكرم محمد ﷺ.

وكان من جملة صفات بني هاشم البارزة، طهارة النسب، العفاف، السخاء، قرى الضيف، اشاعة العدل، الاحسان الى الفقراء، وسقاية الحاج واطعامهم، والتي تتفق التواريخ على اثباتها لهم.

ومهما سودنا الصفحات في بيان فضيلة بني هاشم فهو قليل وانه من توضيح الواضحات، وبعيد عن الأدب والعقل ان يُقارنَ الانسان بينهم وبين بني امية، ولا يليق بكاتب مسلم بل وكل كاتب مطلع على التاريخ، منصف للقيم، إذ إن تلك القبيلة التي كان لها فخر انتساب فخر الكائنات والمصطفى من العالمين والتجلي الاكمل للحقيقة الإنسانية لها، هي قبيلة راجحة في كفة ميزان كل المقاييس والمثل العليا، فكيف بقبيلة رذيلة كبنى امية التي يضرب المثل بلؤمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم على مر تاريخهم؟

إنَّ التقابل والمواجهة التي تحققت بين ابراهيم خليل الله ونرود، وبين موسى كليم الله وفرعون، وبين محمد حبيب الله و ابي جهل و ابي سفيان، وبين علي ولي الله ومعاوية، وبين الحسين سيد الشهداء ويزيد، هذه المواجهة وإن وقعت بين شخصين أظهر كلُّ منهما ماهيته وحقيقته، لكنها في الواقع معارضة ومقابلة بين النور والظلمة وبين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين العدل والظلم، وبين القسط والجور، وبين العلم والجهل.

وفي مثل هكذا مواجهة، يُعاب القياس والترجيح، إذ أن كل الكمال قد تحقق في طرف، وكل السقوط والانحدار قد تحقق في الطرف الثاني، فلا وجه للقياس البتة، ومن الواضح أن إثبات تقدم الحق على الباطل، والخير على الشر، والعلم على الجهل، لا يحتاج الى دليل وبرهان.

فلو أننا اخذنا بنظر الاعتبار قداسة شخصية الحسين عليه السلام ومحبوبيته عند عامة المسلمين، وأخذنا بالمقابل سيئ سمعة يزيد، ونفرة الناس عنه، لكان ذلك كافياً للتدليل على أن المواجهة كانت بين الحق والباطل.

لقد كان الحسين عليه السلام قد بلغ رتبة من الصلاح الاخلاقي و قدس المقام الى درجة أن احداً من بني امية أنفسهم لا يشك في ذلك، وذلك، حتى أولئك الذين قتلوه طمعاً بالحطام، لو رجعوا الى ضآئيرهم لما استطاعوا انكار فضل الحسين عليه السلام و انكار أحقيته بالخلافة وزعامة المسلمين.

لقد كان الحسين عليه السلام اقرب للناس الى قلوب المسلمين، حتى صاراً رمزاً و عنواناً لجهم لنبيهم، كيف لا وهم عاشوا حنان رسول الله لولده الحسين و اخيه الحسن، و لمسوا شفقتة عليهما و حنوه لهما.

فهم، شاهدوا النبي يخرج من دار عائشة يوماً فيمُرُّ على بيت ابنته و حبيبته

فاطمة فيسمع الحسين يبكي . فيقول :

« أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ بَكَاءَهُ يُؤْذِنِي »

و سمعوه وهو يقول لفاطمة : أدع إليّ ابنيّ « فيشمهما ويضمّهما اليه ولا يبرح حتى يضحكهما ويتركهما ضاحكين . » وهذا ما لم يكن يفعله أحد من الناس في ذلك الزمان .

وقد اوضحت الروايات شدة تعلق النبي ﷺ بالحسين عليه السلام حتى لم يبق شك عند أحد بان النبي كان يرى في الحسين عليه السلام مصدراً للآيات ، وانه صاحب كرامات ومقامات عالياً وان له شأناً من الشأن ، ومن هناك كان الحسين عليه السلام أحب الناس الى قلب النبي ﷺ وفي بعض الروايات ان فاطمة الزهراء عليها السلام مرضت لما ولدت الحسين عليه السلام وجفّ لبنها ، فطلب رسول الله في مرضعة فلم يجده ، وكان يأتيه فيلقمه ابهامه ، فيمضمه ويجعل الله في ابهام رسول الله ﷺ رزقاً يُغذيه ، فيفعل ذلك أربعين يوماً وليلة ، فانبت الله سبحانه وتعالى لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله . (١) ولقد عاش الحسين عليه السلام سبعاً وخمسين سنة بين الناس وكان له من الاعداء من لا يأتبه بالاقتراء على غيره ، ولكن وحتى هؤلاء لم يتجرأ أحد منهم ان يعيب على الحسين عليه السلام بمعاوية او ان ينكر احدهم ما ذاع من فضل الحسين عليه السلام وحسن طبايعه ، حتى حار معاوية بعبيه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين عليه السلام له وتحقيره اياه ، فاقترحوا على معاوية ان يكتب اليه بما يصغره في نفسه فقال معاوية على مكره وشدة افترائه وحيلة :

« وَمَا عَسَيْتُ أَنْ اُعِيبَ حُسَيْنًا ، وَ اللَّهُ مَا أَرَى لِلْعَيْبِ فِيهِ مَوْضِعًا »

اجل، لقد كان معاوية واقفاً على زوايا خفايا سيرة الحسين عليه السلام البيضاء و كان يتجسس على حالاته، وكان اكثر الناس طلباً لثغرة في الحسين عليه السلام ينفذ منها للنيل منه و اعابته، و مع ذلك قال:

« و الله ما أرى للعيب فيه موضعاً »

و كان صادقاً في ذلك، فهو يعلم انه لو عاب الحسين عليه السلام، للحققت به هو لعنة الناس و تكذيبهم اياه، لعلمهم ان لا موضع للعب و النقص في الحسين عليه افضل الصلوة و السلام.

و لو دقت النظر، لما وجدت في قتلة الحسين عليه السلام أحداً يُحسن الظنَّ بيزيد و ابن زياد و جهاز الحكم الاموي، او يُسي الظنَّ بالحسين عليه السلام، بل كان اغلب من اشترك في قتله، او الذين سكتوا و حايدوا، كان همُّهم الطمع بالمال و المقام، أو الخوف من العزل و مصادرة الأموال.

اذن، فلاحظه قدس مقام الحسين عليه السلام و من اي زاوية و ناحية كانت، و ملاحظة رذالة يزيد في اي زاوية و ناحية، يكفي لمعرفة الحق من الباطل فهي اوضح من الشمس في رابعة النهار.

بل، لو القيت نظرة على اصحاب الحسين عليه السلام و القيت مثلها على عسكر يزيد، لوقفت على حقيقة المعركة التاريخية بينها.

فاصحاب الحسين عليه السلام أمثال سيد القراء حبيب ابن مظاهر، و مسلم بن عوسجة، زهير بن القين، الحر بن يزيد، برير، عابس، و شباب بني هاشم الاطهار أمثال مسلم بن عقيل و ابي الفضل العباس و علي الاكبر عليهم السلام و اتباع يزيد: ابن زياد، عمر بن سعد، شمر، مسلم بن عقبه، مروان، الحصين بن النخع، و امثالهم من الاشقياء المعروفين و الجلادين و القتلة الما جاورين و حثالة التاريخ،

الذين اشتركوا بقتل ابن بنت رسول الله ﷺ او اشتركوا في مجزرة المدينة وهدم الكعبة العظيمة والجرائم المماثلة.

ولكي نقف على عظمة ثورة الحسين عليه السلام وضرورة نهضته المقدسة، نفهرس هوية بني امية وعدة نفر من كبار هذه الشجرة الملعونة، وننقل باختصار جوانب من ملاح كفر وشرك ودناءة هذا النسب، وفضائحهم، طائين أن هذا المجلد يرشد القارئ العزيز الى قراءة المفصل.

بني امية

بني امية اسم يطلق على عدة بطون من العرب، أحدها هم بني امية المعروفين وهم بطن من قريش بانتسابهم الى امية بن عبد شمس بن عبد مناف.

بني امية في ميزان الخلق

يعد بنو امية في المقياس الأخلاقي، في المرتبة الدنيا، فلم يسجل لهم فضل ولا كمال، ففي الجاهلية والإسلام معاً، وُصفوا بحب الدنيا والشهوات والملذات الجنسية، والافراط في المجون واللهو، والإسراف في الطمع والعصية والذنية. وذكر العقاد في كتابه: «معاوية بن أبي سفيان في الميزان» في فصل «خلقة أموية»؟! شواهد تاريخية اثبت بها هذه الاوصاف لهم ولم يستثن حتى عثمان بن عفان وعمر بن عبد العزيز من الاتصاف بها.

نسب بني امية

الكلام في نسب بعض كبار بني امية المشهورين، طويل وعريض، وما قيل

في ردّ انتسابهم الى 'قريش هو: إِنَّ أُمِّيَّةَ كَانَ عَبْدًا رُومِيًّا اشْتَرَاهُ عَبْدُ شَمْسٍ وَاسْتَلْحَقَهُ بِهِ كَمَا كَانَتْ الْعَادَةُ الْجَاهِلِيَّةُ قَائِمَةً عَلَى ذَلِكَ.

و يستشهد القائلون بهذا القول بكلام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى رسائله الى معاوية حيث يقول:

«لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا أَبُو سَفِيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَلَا الْمَهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللصِيقِ»

و يصرّح العلماء كمحمد عبده المصري في شرح نهج البلاغة- ان الصريح هو الشخص الصحيح النسب، واللصيق لفظ يطلق على البعيد الذي يستلحق بالعائلة والقبيلة.

و كان أمية سَيِّئَ السُّمْعَةِ، منبوذاً، يعترض النساء، مشهوراً بالزنا، وقد عُوقِبَ بالنفي عشر سنين عن مكة فتركها الى الشام، وفي الشام زنى بامرأة يهودية ذات بعل، فولدت اليهودية على فراش زوجها الذي كان يهودياً، ولداً استلحقه أمية وسمّاه ذكوان وكنّاه بابي عمرو. ثم زوّجه زوجته وهو على قيد الحياة، و ذكوانُ هذا هو أبو «معيط» وجدُّ عقبة ابو الوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان. (١) ولما تنافر عبد المطلب و حرب بن أمية جدّ معاوية، الى نفيل بن عبد العزى، قال نفيل لحرب:

أَبُوكَ مُعَاهِرٌ وَأَبُوهُ عَفٌّ وَ ذَاذُ الْفِيلِ عَنْ بَلَدٍ حَرَامٍ (٢)

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٥٦ و ص ٤٦٧. النصائح الكافية ص ١١٥. وقد ذكر العقّاد في كتابه «أبو الشهداء» شبهة نسب ذكوان واستشهد بقصة و غفل النسابة الذي صرّح في مجلس معاوية بنى ذكوان عن قريش، و عليه يكون ذكوان إما ابن زنى أو عبد استلحقه أمية.

(٢) النزاع والتخاصم ص ٢١.

بني امية في القرآن والحديث

رُوي في كتب الحديث والتفسير وبطرق الفريقين روايات عديدة عن الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ويعلى بن مرة وابن عمر وسعيد بن المسيب ان رسول الله ﷺ رأى في منامه بني امية ينزون على منبره كالقردة فاغتم النبي لذلك ولم يُر بعدها ضاحكاً. فانزل الله تعالى في ذلك:

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ لِلْعَوْنَةِ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»^(١)

ونزلت ايضاً:

«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...»

ونزلت سورة القدر ايضاً^(٢)

وروى ابن عساكر عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«اذا بلغ بنو امية اربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً وماله دُولاً وكتاب حولاً»^(٣).

وروى ابن منده و ابو نعيم عن عمران بن جابر اليماني، وابن قانع عن سالم الحضرمي ان النبي ﷺ قال:

(١) سورة الاسراء الآية ٦٠.

(٢) الدرر المنتور ج ٤ ص ١٩١. شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤ و ج ٤ ص ٦. تاريخ الخلفاء ص ٩. تفسير النيشابوري، تفسير سورة القدر. مجمع البيان ج ٦ ص ٤٢٤.

(٣) النصائح الكافية ص ١١٠.

«وَيْلٌ لِّبَنِي أُمَيَّةَ وَيْلٌ لِّبَنِي أُمَيَّةَ»^(١)

وروى ابن مردويه عن علي عليه السلام أنه في سورة محمد آية فينا وآية في بني أمية،
«اقرأ السورة من أولها إلى آخرها»^(٢)

وأما الروايات في ذم بني أمية وانهم آفة الدين وآفة هذه الأمة، وانهم
اعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانهم الشجرة الملعونة، فهي كثيرة. ^(٣)

بني الحكم

روى جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنتا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى بنا الحكم بن
ابي العاص، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وَيْلٌ لِّأُمَّتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هَذَا»^(٤)

بني الحكم، شعبة من بني أمية، والحكم عم عثمان وابن عم أبي سفيان، وكان
الحكم في الجاهلية خصاءاً^(٥)

و الحكم هذا هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي ابنيه: «أنتم الشجرة
الملعونة»^(٦) وكان الحكم جاراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يؤذيه كثيراً.^(٧)

وروى ابن حجر والسيد احمد الزيني وابن الاثير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد لعن الحكم

(١) النصائح الكافية ص ١١٠. السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٥.

(٢) النصائح الكافية ص ١١٠.

(٣) راجع كتاب النصائح الكافية ص ١١١. وكتاب الغدير ج ٨.

(٤) النزاع والتخاصم ص ٢٤. وفي السيرة الحلبية نقله عن جبير عن النبي بلا واسطة والظاهر
انه الأصح إلا اذا كان راوي الحديث هو ابن مطعم بن عبيدة والله العالم.

(٥) حياة الحيوان ج ١ ص ١٩٤. لفظ جزور.

(٦) الغدير ج ٨ ص ٢٤٨. السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٣.

(٧) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥.

و اولاده. (١)

و روى في كنز العمال أن النبي ﷺ لعن الحكم و أخبر أنه سيخالف كتاب الله و سنة نبيه و ان دخاناً سيخرج من صلبه يصل الى عنان السماء، فقال بعض الناس للنبي ﷺ: إن الحكم أقل شأناً من ذلك فأخبرهم النبي ﷺ بان بعضهم سيكون من اتباعه. (٢)

بعد ان جاء الحكم الى المدينة و اعلن اسلامه، اختار النفاق ثوباً له. و لم يزل يترصد بالمسلمين الدوائر و يتحين الفرص لايذاء رسول الله، فكان يقف خلف رسول الله في الصلوة و يغمز بعينه و حاجبيه و يحرك شفتيه و اصابعه و يتجاسر على النبي ﷺ و غير ذلك من المحركات و الغمز و اللمز، و قد ذكرت كتب السيرة و التاريخ ذلك. فدعا النبي ﷺ عليه و ابتلي بالعرشة، ولكنه لم ينتهي عن سوء فعالة، و كان النبي ﷺ يعامله بلطف اخلاقه و يحلم معه كعاداته مع سائر المنافقين نظراً لتظاهرهم بالإسلام، و لما لما ينفع مع الحكم ذلك، اضطر النبي ﷺ الى طرده و ولده الى الطائف. و بعد التحاق النبي بالرفيق الاعلى، تشفع عثمان بن عفان للحكم عند ابي بكر ليرجعه الى المدينة، فلم يقبل ابوبكر بذلك، و تشفع له عند عمر بن الخطاب، فلم يقبل، و لما تولى عثمان الحكم خالف امر النبي ﷺ و اعاد الحكم و ولده الى المدينة متحديا مشاعر و احساس المسلمين جميعاً، و قرّب الحكم و ابنه مروان و خلع عليهم و اعطاهم مائة الف دينار و منحة ثلاثمائة الف درهم من صدقات قضاة، العائدة لبيت مال المسلمين، و جعل مروان بن الحكم مستشاره و هو الذي وصفه

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٤. اسد الغابة ص ٣٤. مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٨١.

(٢) كنز العمال ج ١ ص ٣٩ حديث ٩٠.

رسول الله ﷺ بقوله :

«الْوَزَعُ ابْنُ الْوَزَعِ وَالْمَلْعُونُ ابْنُ الْمَلْعُونِ»^(١)

و زوجه عثمان ابنته و اعطاه خمسمائة الف دينار من خمس افريقيا، وكان كل ذلك من جملة اسباب ثورة المسلمين على عثمان، حيث تعالت صيحات الاعتراض عليه و انتهى الأمر الى قتله .

و الروايات في لعن الحكم و اولاده كثيرة^(٢) و من اراد الوقوف على شرح قبائح فعال و مظالم و جنيات الحكم و مروان ضد المسلمين، و قتل الابرياء و تولية الظالمين امثال الحجاج، و هدم الكعبة و ترويع الفحشاء و المنكر في مدينة طيبة، و اهانة القرآن الكريم و تنصيب الجوّاري الجُنُب أئمة للجماعة، فليراجع كتب التاريخ و سيرى عَجَبًا!!

فهذه العائلة و بهذه الصفات، كانت شعبة من بني امية و أم الحكم الذي ينسب اليه بني مروان، كانت زرقاء، و قد عدّها ابن الاثير و آخرون من ذوات الرايات الفواحش.^(٣)

و من بني امية أيضاً: معاوية بن المغيرة بن العاص، و قد طرده الرسول الاكرم ﷺ من المدينة هو الآخر، و امهله ثلاثة ايام ليخرج منها، فلم يخرج، فقتله علي عليه السلام و عمّار بأمر النبي ﷺ.

و من بني امية : عبيدة بن سعيد بن العاص، الذي قتله الزبير في بدر .

(١) حياة الحيوان ج ١ ص ٦٢ و ج ٢ ص ٣٩٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤. اسد الغابة ج ٢ ص ٣٤. سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٤.

السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٤-٣٥٣. حياة الحيوان ج ١ ص ٣٣٩.

(٣) النصائح الكافية ص ١١٤.

و منهم: العاص بن سعيد، الذي قتله الإمام علي عليه السلام.

و ممن استلحق بني أمية: عقبة بن أبي معيط، والذي كان يهزأ بالنبي صلى الله عليه وآله و آلِهِ و من الدّ معاديه، و كان مجاوراً للنبي ﷺ و يكثر اِيذاءه، و طبقاً لما ذكره ابن هشام، فإن الإمام علي عليه السلام هو الذي قتله^(١).

و ابنُ عقبة و هو الوليد الذي نزل فيه قوله تعالى:

«إِنْ جِئْتُمْ فَاسْقُ بِنَبَأْتِيَّتُوا إِنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ...»^(٢)

و لما كان الوليد اخاً لعثمان من أمّه، عزل عثمانُ سعدَ بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة و ولّى الوليد عليها، و لما جاء الوليد الى الكوفة قال له سعد:
و الله ما ادري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك. فقال له لا تجزعن أباً اسحاق فانما هو الملك يتغذاه قوم و يتعشاه آخرون.

فقال له سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً.^(٣)

و من بني أمية: أمّ جميل (حمالة الخطب) اخت أبي سفيان و زوجة أبي لهب، التي صرّح القرآن بذمّها، و كانت هي التي تحرض اباهب من بين بني هاشم على مخالفة النبي ﷺ و اِيذاءه.

و من اولاد عبد شمس: عتبة بن ربيعة ابن أخ أمية و كان في جيش المشركين يوم بدر، و قُتل و ابنته الوليد، بيد اسد الله الغالب علي ابن أبي طالب عليه السلام^(٤) و عتبة هذا هو جدّ معاوية لامّه و قتل اخوه شيبه في بدر بيد حمزة عليه السلام.

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٣. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٥٦. الكامل ج ٢ ص ٥٠.

(٢) سورة الحجرات الآية ٩، و لمزيد الإطلاع تراجع كتب التفسير.

(٣) اسد الغابة ج ٥ ص ٩١.

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤١١.

آل ابي سفيان

لقد كان عنادُ و فسادُ أبي سفيان اكبر من عناد كل الذين خالفوا دعوة الإسلام والحق الى التوحيد والايان بالله ، ولقد بقي ابا سفيان على غيّه وطغيانه و عدائه الى آخر لحظة قبل ظفر المسلمين الكامل والقاطع ، وكان يتزعم كل حملة لاطفاء انوار شمس الإسلام ، وقاد الجموع لمحاربة للنبي ﷺ في أحد والحندق ، و أحد قادة الكفر والشرك حتى عام الفتح .

ولم يدخر أبو سفيان وزوجته وولده جهداً لم يصرفوه في إيذاء النبي ﷺ و استماتوا في الدفاع عن الكفر والشرك ، وقد اشترك ثلاثة من أولاده في بدر وهم معاوية وحنظلة وعمر ، فقتل عليّ حنظلة وأسر عمرو ، وفر معاوية الى مكة فراراً أدمى قدميه ونفخ ساقيه حين وصلها ، وبقي يعالجهما لشهرين متتالين .^(١) وفي عام الفتح اسلم ابا سفيان وزوجته هند و من تبقى من ولده ، مكرهين و خوفاً من القتل ، ولكنهم بقوا على كفرهم الباطني ، وعاش مع المسلمين منافقاً حتى هلك .

والروايات الواردة في ذمّ ابي سفيان كثيرة ، فقد روي ان النبي ﷺ رأى ذات يوم أبا سفيان راكباً على حمار ، وكان ابنه معاوية ماسكاً بزمامه وابنه الآخر يزيد يسوق الدابة ، فقال رسول الله ﷺ :

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤١٢ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٤ . وطبقا لما اورده العلامة الكراچكي في كتابه « التعجب » فان معاوية كان في اليمن عام الفتح ، ولما سمع باسلام ابيه ، لأمنه و بئجه ، واضطر معاوية الذي كان قد هدر دمه ان يسلم وكان ذلك قبل وفاة النبي بخمس أو ستة اشهر .

«لَعَنَ اللَّهُ الرَّاکِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ»^(١)

وقد سطر المورخون حكايات كثيرة عن نفاق أبي سفيان وعدائه للإسلام والمسلمين.

ومن جملة ما استشهر وعُرف عنه، انه كان يقول بعدبيعة عثمان وبداية حكم بني أمية:

«تَلَقَّوْهَا يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ تَلَقُّوا الشَّمْسَ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ»^(٢)
وفي نقل آخر انه قال:

«فَوَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ أَبُو سَفْيَانَ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ»

وروى ابن عبد البر عن الحسن البصري أنَّ أباسفيان دخل على عثمان بعدما بويع وقال له:

«قَدْ صَارَتِ الْيُكُومُ بَعْدَ تَيْمٍ وَعَدِيٍّ فَأَذُرْهَا كَالْكُرَّةِ وَاجْعَلْ أَوْتَادَهَا بَنِي أُمَيَّةٍ
فَأَنَّمَا هُوَ الْمُلْكُ وَلَا أَدْرِي مَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ»^(٣).

و ذات يوم، كان ابوسفيان في المسجد ينظر الى النبي ﷺ ويفكر في نفسه و يقول: بماذا غلبني محمد؟

«فَضْرَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: بِاللَّهِ نَغْلِبُكَ»^(٤)

و وقف يوماً على ثنية أُحُدٍ وكان قد فقد بصره، فقال لسائقة:

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٣.

(٣) الاستيعاب ج ٤ ص ٨٧. و لعمرى لقد عمل عثمان بوصية ابن عمه، فولى من كان من بني أمية على البلدان الإسلامية و سلطهم على رقاب المسلمين فعاتوا الفساد.

(٤) الإصابة ج ٢ ص ١٧٩ حديث ٤٠٤٦.

« هَاهُنَا رَمَيْنَا مُحَمَّدًا وَقَتَلْنَا أَصْحَابَهُ »^(١)

و من علائم نفاقه ، انه قال ذات يوم للعباس ابن عبد المطلب :

« لَقَدْ عَظُمَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ »

فقال له العباس :

« وَيَحْكُ يَا أَبَا سَفِيَانَ إِنَّهَا النَّبُوءَةُ »

و عندما كان بلال يؤذن و يقول : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، كان أبو سفيان

يقول : « سَعَدَ عُتْبَةُ و لَمْ يَزَلْ هَذَا الْيَوْمَ »^(٢)

و في حنين و لما انهزم المسلمون و ثَبَّتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ و عَلِيٌّ و عِدَّةٌ قَلِيلَةٌ ،

صدع أبو سفيان بنفاقه و حقهده الدفين و قال :

« لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ »^(٣)

و كان أبو سفيان في الشام يَحْرِضُ الرُّومَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، و يَتَأَسَفُ لَهُزَائِمِ

الرُّومِ .^(٤)

و مضافاً الى 'نفاق و عناد أبي سفيان للحق ، فقد كان زنياً فاجراً و قد اعترف

معاوية بزناه حينما استلحق زياداً به .

ذكر الزمخشري في ربيع الاربار أن أربعة نفر وطئوا النابغة أم عمرو بن العاص

و كانت مشهورة بالزنا ، منهم : أبو سفيان ، فوُلد عمرو بن العاص و ادّعاها الاربعة

جميعاً لكن النابغة نسبتها الى العاص ، لتكفله مخارجها ، و كان أبو سفيان بن الحارث

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٣٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٧٢ . المختصر ج ٢ ص ٥١ .

(٤) ابو الشهداء ص ٢٤ .

بن عبد المطلب يقول لعمر بن العاص :

«أبوك أبوسفيان لاشكَّ قد بدت...»^(١)

و عندما رَحَلَ النبي ﷺ إلى جوار ربِّه، كان ابوسفيان في مكة منهمكاً في إثارة الفتنة على الإسلام سعيّاً منه في إعادة الجاهلية فإنبرى سهيل بن عمر في تلك الحال إلى افشال مخططات أبي سفيان وخطب خطبة في الناس وأقسم بالله أنه على يقين من أن هذا الدين سينتشر في شرق و غرب العالم. و أن أباسفيان يريد أن يظلمهم و أن أباسفيان يعلم بهذه الحقيقة ولكنَّ حسده لبني هاشم عظيم.^(٢)

و جاء ابوسفيان من مكة إلى المدينة، و حاول اللَّعب بورقة السقيفة وبيعة أبي بكر و غصب الخلافة، محاولاً إيقاد نار الحرب الداخلية بين المسلمين، فجاء إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام و قال :

«مُدِّ يدك لا يابِعك فوالله لو شئت لأملأتها عليهم خيلاً و رجلاً.»^(٣)

هند آكلة الأكباد

زوج أبي سفيان و أمُّ معاوية، جدّة يزيد، أشهر من أن يخفى حقُّها و عداؤها للنبي و آل النبوة، فلقد كانت كحالة الحطب في تأليبها ضد النبي ﷺ بل لقد فاقتها هندُ في ذلك.

لقد كانت تُحمّس الرجال على حرب النبي و قتال المسلمين و تشترك في تعذيب المسلمين الاوائل المستضعفين، و لو لم يكن غير قتلها حمزة عم النبي ﷺ

(١) تذكرة الخواص - الحاشية ص ٢٠٩. الفدير ج ١٠ ص ٢١٩.

(٢) الإستيعاب ج ٢ ص ١١٠.

(٣) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢٢٠.

لكفى في إثبات وحشيتها ولؤمها وخسة عنصرها وطبائعها.

فهذه هي التي أغرت «وحشي» بالمال والجمال ليغتال سيد شهداء أحد،
ووهبت له حُلِيِّها ومُتته بامورٍ أخرى كي يفتك بجسد حمزة، فثَلَّت بجسده الشريف
واخذت اذنيه وأنفه... وجعلتها خلخالاً لها، ومَرَّقَتْ أحشاءه واستخرجت
كبده ولاكتته بلسانها، و ارادت ان تبتليعه فلم تقدر. (١)

وقد تناولت خطبة العقيلة زينب اخت الحسين (عليها السلام) في مجلس يزيد هذه
الجنابة والقسوة والغلظة، حيث قالت عليها السلام:
«وَكَيْفَ يُرْتَجَى مُرَاقِبَةٌ مَن لَفَظَ قُوَّةَ اكْبَادِ الْأَرْكَامِ وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدَمَاءِ
الشهداء»

أضف الى ذلك تاريخ هند في الجاهلية الحافل بالخزي والعار والشنار فلقد
كانت معروفة بالزنا والفجر، وقد ترجم ذلك حسان بن ثابت فقال:
وَنَسِيتَ فَاحِشَةً أَتَيْتَ بِهَا يَا هِنْدُ وَيَحْكُ سَبَّةَ الدَّهْرِ
زَعَمَ الْقَوَائِلُ أَنَّهَا وَلَدَتْ إِنَّا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عِهْرِ (٢)

معاوية أبو يزيد

ومعاوية هو صاحب تلك الصفحة السوداء، ذلك المنافق الذي لم تتجسد
علامة النفاق (بغض علي بن أبي طالب) في أحد من الناس كما تجسدت في معاوية، و
ما تجرعه المسلمون من ظلم واضطهاد وجنایات معاوية لم يتجرعوه من أحدٍ

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٤١.

(٢) النصائح الكافية ص ١١٥. وللمزيد يراجع الكتاب المذكور والفدير ج ١٠ ص ١٧٠ و

شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١١١ طبع مصر القديم والمجالس الحسينية ص ١٣٤.

غيره.

فوقبات وكبائر ومجازر وبدع معاوية فاقت حدّ الاحصاء والوصف. وما لم يطالع المرء دورة كاملة في تاريخ هذا العنصر المشؤم، لن يقف على خبث ولؤم ماهيته وقبيح فعالة، والتي سطرها المؤرخون في صفحات التاريخ. وكما قال ذلك العالم الاماني الجنسية للشيخ محمد عبده بان معاوية هو الذي سدّ طريق الفتوحات الإسلامية للغرب.

ولقد أشعل معاوية بن ابي سفيان، وطمعاً بالملك والحكم مستغلاً مقتل عثمان رافعاً شعار الطلب بدمه، حرباً حصدت اكثر من مائة وعشرة آلاف إنسان، واستشهد فيها ثلاثمائة وستون صحابياً خَضَرَ بيعة الرضوان^(١) ولم يكن معاوية بريئاً من التحريض في حربي الجمل والنهروان، وانتهى به الامر الى الخروج على خليفة رسول الله ﷺ.

و من الواضحات فسق معاوية وعدم ايمانه بالدين والقرآن، ولا مبالاته بالشرف والوجدان في حياته.

ولا شكّ ولا شبهة في انّ معاوية كان يحاول حرف الإسلام بل القضاء عليه واعادة الجاهلية السفيلية وحكم آل حرب وطريقة بني امية في الادارة، وماكل تلك الحروب والعداء لبني هاشم وخاصة لامير المؤمنين علي عليه السلام، الاّ حرباً للنبي ﷺ واستمرارية لحرب أبيه أبي سفيان وجده لأئمه وعشيرته مع الإسلام. ولو اردت ان تعرف من لا نظير له ولا مثيل، في النفاق والطغيان وانكار الحق والحيلة والمكر والغدر والخيانة ونكث العهود، فعليك بمعاوية.

فكما إنَّ عدَّة معدودة من الناس، تصل الى 'مصافِّ الأخلاق الكريمة و الفاضلة، فكَذلك تميَّزت عدة من الناس في الرذائل و اثاره الفتن و حبِّ الجاه و معاداة اهل الحق، و من جملة هؤلاء: معاوية، عمرو بن العاص، يزيد، مروان بن الحكم، زياد ابن أبيه، مسلم بن عقبة، عبد الملك بن مروان، الحجاج، بسر بن ارطاة، عبيد الله بن زياد، و شمر بن ذي الجوشن، و الذين حازوا المرتبة العليا في خبث السريرة و اللؤم و الخسة من بين افراد طبقتهم من الكفار.

نسب معاوية

المشهور أنَّ معاوية هو ابنُ ابي سفيان، لكنَّ هذا النسب غير مصدَّقٍ من قبل جميع علماء النسب، فانَّ جمعاً من محققي علم الانساب يشككون في صحة هذا الانتساب، و اهم دليل على قوَّة هذا التشكيك هو التحلل الخلقي لبيت معاوية، فالزنا و الفجور و الفسق كاد مستشرياً في بيته و عائلته، و لم يكن هؤلاء يعيرون اي اهمية للشرف و الغيرة، و لقد هجاهم شعراء الجاهلية و الإسلام بهذه الاوصاف القبيحة، و يكفي للتدليل على هذه القبائح من الصفات استلحاق معاوية لزياد ابن أبيه و نسبة الزنا الى أبي سفيان و عدم تحرُّجه من ذلك، خلافاً لحكم رسول الله ﷺ: «الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»

يقول الزمخشري في ربيع الابرار: و كان معاوية يعزى الى اربعة الى مسافر بن عمرو و الى عمارة بن الوليد و الى العباس بن عبد المطلب و الى الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً و سماً فدعته هند الى نفسها و قالوا ان عتبة بن ابي سفيان من الصباح أيضاً^(١) و نقل السبط ابن الجوزي عن الاصمعي و الكلبي في كتابه المسمى

(١) النصائح الكافية ص ١١٥، الغدير ج ١٠ ص ١٧٠. شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١١١.

بالمثالب قد وقفت على معنى قول (الإمام) الحسن لمعاوية: «قد علمت الفراش الذي ولدت عليه» ان معاوية كان يُقال انه من أربعة من قريش عمارة بن الوليد بن المغيرة و مسافر بن ابي عمرو.. و اما عمارة بن الوليد كان من أجمل رجالات قريش. قال الكلبي: عامة الناس على إنَّ معاوية منه (مسافر) لانه كان اشدَّ الناس حبا لهند فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر ان يظهر انه منه فهرب الى ملك الحيرة. ومات هناك من عشقه لهند. ^(١) وقال الكلبي: جرى بين يزيد بن معاوية و بين اسحاق بن طابة كلام بين يدي معاوية و هو خليفة، فاقَرَّ معاوية ان بعض قريش يزعمون انه ليس لابي سفيان. ^(٢)

هذا و قد انفرد العلامة الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء برأي في نسب معاوية و ان بعض الشواهد التاريخية تؤيد ذلك.

أقول: و إنَّ كان الشيخ الجليل كاشف الغطاء لم يذكر تلك الشواهد، ولكننا و ضمن مطالعتنا و تفحصنا، اطلعنا على بعض تلك الشواهد على رأيه، لا نريد التعرض لها هنا و نكتفي بآراء القدماء من أهل الخبرة في الانساب.

معاوية في ميزان السنَّة و الحديث

تواتر لعن معاوية في الروايات، و سُحِّنت كتب الحديث المعتبرة بدمه نكتفي بذكر بعضها:

١- روى ابن ابي الحديد عن النبي ﷺ انه قال:

(١) الفدير ج ١ ص ١٦٩. تذكرة الخواص ص ٢١٢-٢١١.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢١٢-٢١٣.

« يَطْلَعُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُحْشَرُ عَلَى غَيْرِ مُلَّتِي » فطلع معاوية. (١)

٢- عن البراء بن عازب قال: مرَّ أبو سفيان وابنه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالاقعيس» فقال ابن البراء لابييه: من الاقعيس؟ قال: معاوية. (٢)

٣- وفي حديث مشهور مرفوع أنَّ النبي ﷺ قال: إِنَّ مُعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنْ جَحِيمٍ يَنَادِي يَا حَتَّانُ يَا مَتَّانُ فَيَقَالُ لَهُ: أَلَا نَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمَقْسُودِينَ. (٣)

٤- و روي عن رسول الله ﷺ: « إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مَنْبَرٍ فَاقْتُلُوهُ ». قال الحسن البصري وهو من رواة هذا الحديث: « فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم يتجددوا. (٤)

٥- وفي الرواية ان النبي ﷺ ارسل ذات يوم خلف معاوية، فتباطأ واعتذر بانه مشغول بالاكل، فقال النبي ﷺ: « لا أشبع الله بطنه »

وكان معاوية بعد ذلك يأكل فلا يشبع ويقول: تعبت وما شبع. (٥)
هذا ومن أراد زيادة اطلاع على رذائل معاوية في الروايات وكلمات كبار الصحابة و التابعين فليراجع «الغدير» ج ١٠ للعلامة الاميني.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤. الغدير ج ١٠ ص ١٤١.

(٢) الغدير ج ١٠ ص ١٣٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤. الغدير ج ١ ص ١٤٢.

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤. الغدير ج ١٠ ص ١٤٢. كنز الحقائق ج ١ ص ١٩.

(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٤٤٤.

معاوية و الخمرة

قد يتصور البعض أنَّ يزيد بن معاوية هو أوَّل بني أمية في معاقرة الخمرة و حفلات السكر و العردة و لم يسبقه أحدٌ من بني أمية في ارتكاب هذا الذنب الذي حرَّمه الشرع و ذمَّه العقل و العلم، غافلين عن أن يزيداً قد ورث ذلك عن أبيه و جدّه.

فقصة شرب أبي سفيان الخمرة في بيت أبي مريم الخمار في الطائف، و زناه بسميّه، معروفة و مشهورة.

و مخازي الوليد بن عقبة و هو من بني أمية، معروفة، و قد نقلنا فيما سبق انه صلى الصبح سكراناً في مسجد الكوفة فجاء بربع ركعات بدلاً عن الركعتين، و تقياً في المحراب، و امتنع عثمان عن اقامة الحدّ عليه على الرغم من اقامة البيّنة عليه، لانه كان أخوه بالرضاعة، فقام على عليه السلام بجلده حدّ الشرب.

و أمّا معاوية، فقد ذكرت التواريخ المعتبرة حفلات سكره و معاقرته للخمر و ان الخمر كانت تحمل اليه علانية الى دمشق. فبدلاً من أن يتولى معاوية اقامة حدود الله، كان هو يخرق تلك الحدود و يُجرئ الناس على هتك الحرمات و النواهي الشرعية، و اذا صادف ان زجره أحدٌ عن ذلك، صبّ معاوية ويلات غضبه عليه. و قد روى ابن عساكر و ابن حجر و ابن عبد البر و ابن الاثير و ابن سفيان في مسنده و ابن قانع و ابن منده من طريق محمد بن كعب القرظي قال: غزى عبد الرحمن بن سهل الانصاري في زمن عثمان و معاوية أمير على الشام فمّرت به روايا خمر لمعاوية فقام اليها برمح فبقر كلّ راوية منها فناوشه الغلمان حتى بلغ شأنه معاوية فقال دعوه فانه شيخ قد ذهب عقله فقال: كلا و الله ما ذهب عقلي و لكن رسول الله ﷺ نهانا

أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمرًا وأحلف بالله لإن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله لأبقرن بطنه أو لأموتنّ دونه. (١)

نفاق معاوية

ورد في كثير من الروايات التي رواها علماء العامة أن «بغض علي بن أبي طالب» من أوضح علامات النفاق، وكما اسلفنا وكما هو واضح للجميع، أن معاوية بن أبي سفيان له السبق في هذه الصفة، فلقد صبّ معاوية جام غضبه وحقده لرسول الله ﷺ على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وحقق انتقامه و انتقام أبيه من النبي الأكرم ﷺ، في عداوته وانتقامه من علي عليه السلام لقد كان معاوية عدوا للنبي وعلي وللقرآن والإسلام، ولما يؤسس من عداوته للنبي، ركّز حقه على آل النبي ﷺ ولم يكن في آل النبي ابرز ولا اقرب من عليّ اليه، ومن أولى من عليّ في استقبال سهام الكفار والمنافقين، فعلي نفس النبي بصريح القرآن، وعليّ أول المدافعين عن النبي طيلة حياته، وعلي و النبي ﷺ هما من أرسا قواعد الإسلام وغرس شجرته العظيمة وسقاها، بفارق أن محمداً هو النبي وعليّ هو الولي والوصي.

ولذا، ما كانت عداوة معاوية لعليّ عليه السلام من عليّ منابر، إلا لعنٍ و شتمٍ وسبٍ النبي الأعظم ﷺ، وقد نقل السيوطي أن بني أمية لعنوا وسبوا علياً من عليّ سبعين ألف منبر. وفي كتاب «العتب الجميل» لمحمد بن عقيل: لما رفع عمر بن عبد العزيز لعن عليّ المنابر، خطب خطيب المسجد الجامع في حرّان خطبته مجرّدة عن لعن

(١) تاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ٢١١. الإصابة ج ٢ ص ٤٠١-٤٠٢. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٤. اسد

الغابة ج ٣ ص ٢٩٩. الغدير ج ١٠ ص ١٨٠-١٨١. النصائح الكافية ص ٩٦.

و سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام، و لما نزل من على المنبر اعترض عليه همج الناس و رعاعهم و صاحباه :

« وَيَحْكُ وَيَحْكُ . . السُّنَّةُ السُّنَّةُ ، تركت السُّنَّةَ . . . »

فهؤلاء الجهال كانوا يظنون ان سبَّ و لعن علي عليه السلام من اجزاء الخطبة المسنونة .^(١)

إنَّ إعلام معاوية في الشام التي كانت بعيدة عن مركز الخلافة، قد أثر في الناس، و صار سبباً في اضلالهم .

لقد استغل معاوية أموال بيت المال، و وظَّف الخطباء و الشعراء و المتملقين و عاظ السلاطين و وضاع الحديث، لتشويه الإسلام و حرف الدين، و اجبرهم على الطعن بامير المؤمنين عليه السلام و كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله و اتهمهم و الافتراء عليهم، ظنا منه أنَّ ذلك سيحطُّ من قدر بني هاشم بين الناس، و رغبة منه في اثارة الفتن و الجهالة و اطفاء نور الإسلام و اعادة ظلمات الجاهلية الاموية .

نقل ابن الاثير أنَّ شاباً من اصحاب معاوية خرج في حرب صفين و أخذ يرتجز و يضرب بسيفه و يلعن أصحاب علي فقام له هاشم المرقال و كان من قادة جيش علي عليه السلام و وعظه و خوفه الله الذي هو مسائله يوم القيامة عن قتاله المؤمنين فقال ذلك الشاب سأقول لله إني قاتلتكم لان صاحبكم لا يصلي وانكم لا تصلون!! و أن صاحبكم قتل خليفتنا عثمان و أنكم أعنتموه على ذلك . فقال له هاشم المرقال : و ما انت و عثمان إنَّ عثمان قتله اصحاب رسول الله و أبناء الصحابة و قرءاء القرآن الذين لم يعصوا الله طرفة عين . و أما ما قلت من أن صاحبنا لا يصلي فاعلم

إن صاحبنا هو أول من صلى بعد رسول الله وأنه أعلم الخلق بدين الله وأقرهم إلى رسول الله وأن هذا الجيش الذي تراه هو من القراء المحيين الليل بالعبادة والتهجد و اعلم ان هؤلاء الاشقياء (معاوية و حزبه) قد أضلوك .

فقال له الشاب : فهل لي من توبة؟ قال هاشم : نعم ، تب يتوب الله عليك و يغفر لك ذنوبك . فرجع الشاب .^(١)

و ذكر الجاحظ أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية : لقد وصلت إلى ما تريد ، فاترك سبَّ ولعن عليّ!

فقال : لا والله حتى يشبَّ عليه الصغير ويهرم الكبير ، ولا يبقى أحد يذكر له فضلاً .

و من علامات نفاق معاوية ، عداؤه للانصار ، لانهم نصرُوا النبي ﷺ فكان معاوية يُعَنِّفُهُمْ ويَهْزَأُ بِهِمْ ، و وصل به الأمر إلى حجب جابر بن عبد الله الانصاري . فقد روى المسعودي أن جابر بن عبد الله الانصاري قدم إلى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياماً ، فلما اذن له قال : يا معاوية اما سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حجب ذا فاقة و حاجة حجه الله يوم فاقته و حاجته . فغضب معاوية و قال له : لقد سمعته يقول : انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا عليّ الحوض . أفلا صبرت؟ قال : ذكرتني ما نسيت و خرج فاستوى على راحلته و مضى ، فوجه اليه معاوية بستائة دينار ، فردّها و قال لرسوله : قل له و الله يابن آكلة الاكباد لا وجد في صحيفتك حسنة أنا سبها أبداً .^(٢)

(١) الكامل ج ٣ ص ١٥٩ .

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٨ .

وصمة عارٍ على جبين التاريخ

و من جملة مخازي معاوية و ذنوبه التي لا تغتفر و غير المسبوقه بمثلها، هو أنّه عندما اراد الخروج الى صفين و حرب خليفة زمانه و اثاره الحرب اللعينة بين الاخوة، خاف من هجوم الروم على موالي الشام فعقد مع قسطنطين ملك الروم، يدفع بموجبها معاوية جزيةً من بيت مال المسلمين للروم كل سنة. و كان ذلك وصمة عارٍ لطخت جبين كل تلك الفتوحات الرائعة اللامعة في تاريخ الإسلام و مجاهديه و من اطلع على تاريخ الإسلام جيداً يعلم أنّ مثل هذا العمل يعدّ خيانة عظمى، و لا يمكن قبوله بحال من الاحوال و منذ صدر الإسلام.

لقد قدم الجيش الاسلامي التضحيات و التضحيات و مئات آلاف الشهداء و لم يقبل بذلة كهذه، فمثل هذه المعاهدات مع الكفار و اعداء الله، تؤدي الى سيطرتهم و سلطنتهم على المسلمين و «ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً».

و قد اراد معاوية بذلك اسقاط الحكومة المركزية للإسلام، و خالف دستور القرآن «أشداء على الكفار رُحماء بينهم» و وقع معاهدة الذل و الهوان و الجزية و الخراج و التبعية للكفار مُعلنًا بذلك اتحاده مع الكفار و حربه ضد المسلمين.

و ليته قد اكتفى بذلك، لكنه و بعد هلاك قسطنطين (سنة ٦٦٨م - ٤٧هـ. ق) جدّد معاهدة الجزية السنوية مع قسطنطين المعروف ببيكونات، و كان ذلك سنة (٦٠هـ. ق) المصادف (٦٧٩م) قبل هلاك معاوية بعدة اشهر.

بعد أن كسر معاوية حوالي القسطنطينية انكساراً مُرّاً، عرف أن معنويات جيشه لم تعد قوية كما كانت عليه سابقاً. فقد كانت سياسة الحكم و فساد و ترفه قد أثرت في روحية المقاتلين سلباً، و أضعفت معنوياتهم كما أنّ المسلمين لم يكونوا

مستبشرين بتلك الفتوحات وقلّت رغبتهم في الجهاد اذ أن أتعابهم كانت تصبّ في مصلحة فئةٍ محصورة من آل أبي سفيان وإشباع أطماعهم ورغباتهم وتقوية شوكتهم وهم الذين رفعوا راية العدا لآل النبوة وقتلوا الصفوة من الصحابة في مكة والمدينة والكوفة والبصرة، تاركين الأمر بالمعروف والعمل بالأحكام الشرعية.

ومن جهة أخرى كان معاوية قد أعدّ العدة لتولية يزيد الحكم عن طريق الترغيب والترهيب والقوة والرشاوى وكان يعلم أن الاضطرابات ستعمّ البلدان الاسلامية بسبب هذا الإستخلاف وإن يزيد والحزب الاموي لن يقوى على فتح جبهتين داخلية وخارجية في آن واحد، ولذا فقد استسلم ثانية للروم وبعث بعثاً مع بعض النصارى العرب مع هدايا وتُحف الى ملك الروم، يستميله لعقد معاهدة تستمرّ ثلاثين عاماً، يدفع المسلمون الجزية للنصارى على أساسها!! وتعهّد معاوية بدفع ثلاثين ألف سكّة ذهبية، وإطلاق صراح ثمانمائة أسير رومي وأن يبعث إليهم بثمانمائة رأس جواد عربي أصيل.

وقد جاء في الفقرة الرابعة من المعاهدة أن هذه الأموال تُدفع بعنوان الخراج الى الدولة الرومية!!

هذا وقد تعهّد يزيد بعد معاوية لزيادة تلك الاموال ودفعها الى النصارى.^(١)

وهذا يكون معاوية وابنه يزيد الذين ارادوا ان يحافظا على ملكهما باي ثمن كان ولكي يتسلط بنو أمية على رقاب المسلمين قهراً، وان يحوا آثار الإسلام و

يهدموا قواعده، قد اذلاً الأمة الاسلامية بهذا العار، بقبولهم تلك المعاهدات المهينة.

المستشارون المسيحيون

و من مآثم معاوية التي لا تغتفر تسليط الكفار على المسلمين و أمواهم باستخدامه مستشارين كفّاراً أجنبياً مخالفاً بذلك صريح القرآن المجيد.

فلقد اعتمد على بعض المسيحيين في ادارة الامور المالية والعسكرية و الادارية، فكان يستشيرهم في برامجه و خططه، و اعتبرهم امناء سرّه، منهم سرجون النصراني وابنه منصور، و الذي أوكل معاوية اليه امر خزينة بيت المال و حسابات الجند، و لذا كان هذا الكافر بمقتضى وظيفته الحساسة، ينفذ الى كل اجهزة الحكم و خاصة قوّاد الجند و المؤسسة العسكرية المهمة و الخطيرة.^(١)

و الظنُّ، انَّ سرجون و رفاقه الذين كانوا على 'إتصال دائم بالروم، كان لهم الدور الكبير في هزيمة المسلمين في القسطنطينية، و التي قُتل فيها ثلاثون ألفاً من المسلمين.^(٢)

و لقد كان سرجون وابنه منصور كما عن حجة السعادة- وزيراً في زمن يزيد ايضاً، و طبق البعض المصادر التاريخية كان لسرجون هذا دور خبيث في قضية

(١) يقول «فردينال نوئيل» المسيحي في «أعلام الشرق» ان منصور بن سرجون كان مديراً للمالية و حسابات الجيش في زمن معاوية.

و يقول العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» ص ١٦٨: لقد اوكل معاوية الامور المالية الى سرجون و من بعده الى ابنه منصور. و اصل كلمه مرجون: سرزبوس، كما عن كتاب حجة السعادة ج ٢ ص ٧٢.

(٢) حجة السعادة ج ٢ ص ٧٢.

استشهاد الحسين عليه السلام وفاجعة كربلاء، حيث ان يزيداً قد عيّن عبید الله بن زياد والياً على الكوفة بأشارة من سرجون النصراني هذا.^(١)

و اذا ما تأملنا في الحوادث التاريخية، و ما سببته في الصفحات اللاحقة حول نشأة يزيد و ظروف تربيته، فاننا سنقف على ان النصارى كان لهم اليد الطولى في رسم سياسة الدولة الاسلامية في زمن معاوية و يزيد، و ان عملاءهم و جواسيسهم كانوا يشغلون مناصب حساسة في اجهزة حكم بني امية، و أنّ حكومة الشام كانت متكية و عميلة للامبراطورية الرومية، بل، و كما يقول العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصل «تهديدات الحوادث»؛ يستنتج من الادلة التاريخية أنّ بني امية كانوا على ارتباط بالبلاط الرومي منذ الجاهلية، و كان بعضهم كعثمان و أبي سفيان آلة بيد الروم لتحقيق مآربهم السياسية، و عملاء تجسس للحكومة البيزنطية.

فلا عجب حينئذٍ من استماتة بعض المستشرقين المسيحيين مثل «لانس» البلجيكي، في الدفاع عن معاوية و يزيد، اذ ان حكومة بني امية كانت تحت نفوذ المسيحيين و انها المحازر و المانع من انتشار الإسلام في اوربا، و مثل هذه الحكومة لا بدّ ان تحظى بتأييد الحكومات الاستعمارية المسيحية.

تجاهر معاوية بالفسق

لم يكن معاوية متسترأً بالمحرّمات و مخالفة السُنّة، كالربا و شرب الخمر و الاكل و الشرب في آنية الذهب و الفضة و لبس الذهب و الحرير. و لقد كان يأنس

(١) مقتل الخوارزمي ص ١٩٨. الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٦٨. الحسن و الحسين سبطا

رسول الله ص ٨٤-٨٥.

بالاستماع الى الطرب والغناء، ويرغب في لذائذ الاطعمة والاشربة، ويلبس أفخر الملابس.

و في الجملة كان سلوكه ولبسه ومأكله ومسكنه في القصور الفخمة^(١) و امتلاك الجواري والغلمان والحرس والحشم والخدم وملوكية العيش، مخالفاً لطريقة رسول الله ﷺ وكرام الصحابة، وعلى غير نهج الإسلام.

كان معاوية يبذل بيت مال المسلمين ويبدّره على حاشيته وخواصّه وأن سياسته المالية المخاططة والسيّئة أدّت الى فراغ بيت المال فاضطرّ الى أخذ الضرائب الثقيلة من الناس، كما أنّه خالف الشريعة في قضيّة أخذ الجزية من المشركين وغير القوانين المالية الاسلامية كما أنّه سنّ لعن أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر واستلحق زياد بن أبيه واستخلف ولده يزيد واستخفّ بمقام النبوّة المقدّس حيث كان لا يردع الذين يتجاسرون على مقام النبوّة ويسلمون على معاوية بالرسالة^(٢).

وقد تجرّد معاوية عن فضائل الأخلاق كالشجاعة والعدالة والانصاف و الغيرة والتقوى والامانة والبطولة، ولم يكن له سهم ونصيب حتى في الحلم و السياسة. وبعض السطحيين وان كانوا وبطالعة بعض الحكايات الاسطورية المنقولة عنه، يتصورون انه حلیم مدبّر، ولكن وبالتدقيق في مضامين تلك النقولات يظهر أنه كان يتظاهر بالحلم مكرّاً وخداعاً، والوقائع التاريخية تثبت ذلك و

(١) فلما بني (معاوية) قصر الخضراء بلغ من اعجابه بالبناء ان سأل ابازر داعية الزهد والكفاف من الرزق: كيف ترى هذا؟ فسمع منه جواباً كان خليفاً ان يترقبه لو لم يكن لزهوه بما ابتناه لا يصدق ان احداً يراه بغير فراه، قال ابوذر: ان كنت بنيت من مال اليه فانت من الخائنين وان كنت بنيت من مالك فانت في المسرفين.

(٢) النصائح الكافية ص ٩٩-٩٤. معاوية في الميزان ص ٢٧ و ٣٧ و ١٨٩-١٨٧.

تفضحه كفضية قتل حجر بن عدي .

وقد أوضح العقاد في كتابه « معاوية في الميزان » فصل « الحلم » مفصلاً ان تظاهر معاوية لا يمت الى الحلم بصلية، كما انه ليس كما يتصوره الكثيرون ذوباع في المكر والدهاء والمخدعة، وهذا ما نستنتجه من كلام العقاد في فصل « الدهاء » . فسياسة معاوية لم تكن مستندة الى قوة عقلية، كما انه لم يكن في الخدعة والمكر نظيراً لعمر بن العاص والمغيرة وزياد ابن أبيه .

إن ما ساعد معاوية على تحقيق طموحاته، هو الظروف المواتية له، وعدم تورعة عن اي جنائية، وهذا ما يجعل من كل سياسي وإن كان في مرتبة متدنية، قادراً على تحقيق طموحاته والوصول الى مآربه السياسية، والحق ان سياسة معاوية في الامور المالية والاجتماعية والامنية، كانت فاشلة تماماً. (١)

اهداف معاوية

يتضح من مطالعة تاريخ معاوية، أن هدفه من الفتن التي أثارها والحروب التي أشعلها هو الوصول الى السلطة والحكم، وانه كان يحلم بذلك منذ ايام خلافة عثمان . ومع ان معاوية كان يعلم تماماً أنه لا يستحق ذلك و ان رصيده التاريخي معدوم تماماً، مع ذلك، اشعل حرباً شعواء على ولي الله الذي اتفق الصحابة كلهم على أحقيته بالخلافة .

(١) معاوية في الميزان ص ٤١-٧٥ . لقد بين العقاد في هذا الكتاب معالم طريق علي عليه السلام ومعاوية بكل وضوح . وذكر ان علياً عليه السلام لا يمكنه الانحراف عن طريقه لانه طريق الحق والعدل، واما طريق معاوية فلا يمت الى الحق والعدالة ومصلحة المسلمين باية صلة، ونوصي القراء الكرام لمطالعة هذا الكتاب وننبههم الى ان الكتاب لا يخلو من الاشتباه .

لقد كان معاوية قد اطلق العنان لنفسه و لم يتقيد بمحفظ مصالح الإسلام و المسلمين، كما انه لم يبال لاحكام الشرع و رعايتها، فكان يستهين بكل شيء من اجل تحقيق هدفه.

و لم يكن معاوية صادقاً في الطلب بدم عثمان^(١) و انما كانت تلك حجة واهية يتذرع بها لتحقيق مآربه الماكرة، و لذا نراه قد اعرض تماماً عن الطلب بدم عثمان بعد ان تحقق له ما اراد من الحكم، و لم يتتبع احداً من المتهمين بدم عثمان.

و بعد ان صالح معاوية الإمام الحسن عليه السلام الذي خذله اصحابه الذين انخدعوا بحيل معاوية و ابن العاص و غرّتهم امواله، جاء الى الكوفة و خطب في الناس و كشف عن نواياه الحقيقية قائلاً: «يا أهل الكوفة... اني ما قاتلتكم لتصلوا و لا لتحجّوا و لا لتزكوا فاني اعلم انكم تفعلون ذلك، و لكن قاتلتكم لأنتم أمر عليكم و قد أعطاني الله ذلك. ألا و اني كنت قد منّيت الحسن بن علي بامور، و اني لن أف بشيء منها و هي تحت قدمي»^(٢)

فمعاوية الذي تعهد في بنود الصلح بامور كثيرة، لم يعمل باي منها^(٣)، فلقد قتل حجر بن عدي و اصحابه البررة و عمرو بن الحمق الخزاعي، و لم يترك سبباً علي عليه السلام، و اخذ البيعة ليزيد من الناس قهراً، و دس السم للإمام الحسن عليه السلام فقتله،

(١) عقد الاستاذ العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصلاً مستقلاً بعنوان «موقف معاوية من قضية عثمان» و هذا الفصل و ان كان مختصراً و لكن القارئ و بتأمل بسيط سيقف على خبث مخططات معاوية في تلك القضية، و ما ابتليت به الخلافة الاسلامية من انحرافات بسبب الألاعيب و الخدع السياسية التي عقبته غضب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام و مجيئ بني امية للحكم.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧.

ولم يرع حرمة الشعائر الاسلامية .

فكان لا يخفي حقه الدفين على النبي ﷺ عندما كان يسمع اسمه ينادي به في الاذان خمس مرات في اليوم والليلة ، ويتوعد بمحوه حتى لا يبق أثر الاسلام .

يقول المسعودي نقلاً عن كتاب «الموفقيات» لابن بكار، ان المطرف بن مغيرة بن شعبة : وفدت مع ابي المغيرة الى معاوية فكان ابي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف اليّ فيذكر معاوية و يذكر عقله و يعجب مما يرى منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيت مغتماً فانتظرت ساعة وظننت أنه شيء حدث فينا أو في عملنا فقلت له : ما لي أراك مغتماً منذ الليلة . قال يا بني : جئتك من عند أخبت الناس فقلت له و ما ذاك . قال : قلت له و قد خلوت به إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً و بسطت خيراً فانك قد كبرت و لو نظرت الى اخوانك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه . فقال لي هياها هياها ملك أخوتي فعدل و فعل ما فعل فوالله ما غدى أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر . ثم ملك أخو عدي فاجتهد و شمر عشر سنين فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فلك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعلم ما عمل و عمل به فوالله ما غدى أن هلك فهلك ذكره و ذكر ما فعل به و ان أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله فأبي عمل يبق مع هذا لا أم لك لا والله الا دفناً دفناً .^(١)

و هذه الحكاية تؤيد ما نقول ، فان معاوية كان يهدف مضافاً الى تحقيق اغراضه السياسية ، محو كل ما يمت الى السماء بصلة من ملاح الإسلام حتى اسم

«محمد رسول الله» وارجاع الناس الى حكم الجاهلية.

ولو اردنا ان نطلق العنان لاقلامنا لكتابة جرائم وجنايات معاوية فاننا سنتعّب انفسنا وقراءنا الكرام بكتابة وقراءة كتاب كبير، ونكون بعدها ملزمين بالاعتذار لعدم اداء حق الموضوع كما يجب. ولذا فاننا سنحيل القارئ العزيز الى مطالعة شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد وكتب التاريخ وكتاب الغدير للعلامة الاميني الجزء العاشر، وكتاب «النصائح الكافية» وحينئذ سيتضح للقارئ ان كل ما قلناه وما سنقوله في مطاعن هذا العنصر الخبيث، ليس الا قطرة من بحر لؤمه و خستته و وحشيته. (١)

ونقل عن كتاب «التعجب» للكراچكي، أن معاوية لم يسلم وأنه كان باقيا على شركه، ومكذباً للوحي، مستهزئاً بالشرع، وانه كان عام الفتح في اليمن و عندما سمع باسلام أبيه نفاقاً وخوفاً - كتب اليه شعراً ونثراً يذمه فيه، وانه بقي على شركه و هرب الى مكة فاضطر لحوفه من هدر دمه ان يذهب الى النبي وشفّع العباس عمّ النبي اليه فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان اسلامه -الكاذب - قبل رحلة النبي الى جوار ربّه بخمس أو ستة أشهر فقط، وكان مع النبي ﷺ في ذلك الوقت اربعة عشر كاتباً ولم يُعهد ان معاوية هذا قد كتب شيئاً للنبي ﷺ من كتبه ورسائله، و حتى لو فرضنا انه كتب كتاباً، فان ذلك لا يعدّ فضيلةً لمثل معاوية الاّ أنّه من «المؤلفة قلوبهم».

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٢. ابو الشهداء ص ٧٥. معاوية بن ابي سفيان ص ١٦٣.

من هو يزيد؟

انَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الدُّنْيَا وَعِبَرَهَا ، ان يكون يزيد بن معاوية حاكماً على المسلمين و على كبار الصحابة و التابعين!

فانَّ اشدَّ صفحات التاريخ البشري ظلمةً و سودا ، هي تلك الصفحات التي تناولت حياة يزيد . ففضائح بني امية و جناياهم المشهورة من بين جناة التاريخ قد جعلتهم في مصاف الفاسدين لكنَّ يزيد بن معاوية يعدُّ وصمة عارٍ حتى في جبين بني امية أنفسهم حتى كادت فضائحه ان تُنسي الناس فضائح سائر بني امية ، و تجعل يزيداً بطل الشرِّ و الكفر و الطغيان و السخف و الدناءة و العداء لاهل بيت رسول الله ﷺ .

فيزيد هو النقطة الاشدَّ سوداً في صفحة تاريخ بني امية الحالكة الظلمة ، و مصداقُ « ظلماتٌ بعضها فوق بعض . »

نشأة يزيد

يقول العلايلي: لنفهم مصرع الحسين عليه السلام يلزمنا ان نعرف من يزيد؟ ولكي نعرف يزيد لابد من مطالعة تربيته الأسرية ، اذ من الواضح ان للبيئة و المحيط أثرهما في بناء شخصية الانسان سلباً أو ايجاباً . فالحجر و اللبن و الأم و سلوك الاب و العادات العائلية كلها تؤثر في أخلاق الانسان و هذا ما يؤيده علماء الأخلاق و النفس ، و قد اكدت الشريعة عليه تأكيداً كبيراً .

فكم من فرق بين من تربى في بيئة سليمة ملؤها الصدق و العفة و الصلاح و

بين من تربى في بيئة سيئة ملؤها الظلم والفجور والفساد والكفر والإجرام.^(١) وعلى هذا تكون مطالعة ظروف التربية العائلية لرجال التاريخ، وقراءة العوامل المحيطة المؤثرة في رشد افكارهم وسلوكهم ونفسياتهم، ضرورة لازمة، ولقد كان يزيد من جملة الذين ترتبط أعمالهم وسلوكهم بالمحيط الذي تربوا فيه ارتباطاً مؤكداً، ولقد كان نسخة طبق الأصل.

ولقد تناولنا فيما مضى بعض أفراد اسرة يزيد كإبيه معاوية واجداده وجدته وبعض بني عمومته، وقد نفصل فيما ياتي عنهم قليلاً ولكننا لم نتعرض لحد الآن الى هويّة أمّ يزيد، فمن هي أمّ يزيد؟

ميسون:

ميسون أمّ يزيد بنت مجدل الكلبي، وطبقاً لنقل كتاب «تجارب السلف» و«الزام النواصب» و«ربيع الابرار للزمخشري» واشعار النسابة الكلبي، فان يزيداً مطعون في نسبه، مردود انتسابه الى معاوية، فان ميسون لما جئ بها الى معاوية كانت حبلى بيزيد من غلامٍ لأبيها.^(٢)

(١) ان هذه القاعدة يمكن ان تتخلف، وبعبارة اخرى، فان المحيط و البيئة التي يعيش فيها الانسان ليست هي العلة التامة لصياغة شخصيته، فكم من مؤمن صالح نشأ في بيئة فاسدة ومن ابوين فاسدين، وكذلك العكس و صدق تعالى حينما قال: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» ولكن يبقى للبيئة أثرها على نحو الموجبة الجزئية، فيمكن ان يعتكر الانسان مع المحيط الفاسد و يتغلب عليه فلا يكون المحيط فاسداً ابداً عذراً للفساد و الأخلاق القبيحة.

(٢) راجع المقام الزخار ص ٢٢٩. المجالس الحسينية ص ١٣٤.

يزيد في أحضان بني كلب

يقول العاليلي: وإنَّ أهم ما يلزمنا أن نعرف هنا من أمر يزيد ناحيتان: نشأته المسيحية أو بالأحرى التي كانت أقرب إلى المسيحية، وعقليته التي كانت في نظري غيبيةً جداً، وتبعد كثيراً عن العقلية الواقعية العملية التي امتاز بها أبوه. يبدو مستغرباً بادئ ذي بدء، أن نعرف أن يزيد نشأ نشأة مسيحية تبعد كثيراً عن عرف الإسلام، وتزيد القارئ دهشةً إلى حد الإنكار، ولكن لا يبق في الأمر ما يدعو إلى الدهشة، إذا علمنا أن يزيد يرجع بالأمومة إلى بني كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحية قبل الإسلام، ومن بديهيات علم الاجتماع أن انسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمناً طويلاً، بين معاودات نفسية ورجعات ضميرية وذكريات وجدانية. وبالأخص إذا كانت عقيدة سيطرت على الأفكار والعادات والعرف العام.

والتاريخ يحدثنا أن يزيد نشأ فيها إلى طور الشباب أو حتى جاوز طور الطفولة، ومعنى هذا أنه أمضى الدور الذي هو محطُّ أنظار المرَّين وعنايتهم، وبذلك ثبت على لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية، وجفاء الطبع. على أن طائفة من المؤرخين ترجِّح ولا يبعد أن يكون صحيحاً، أن من أساتذة يزيد بعض نساطرة الشام من شارقة النصارى، وربما شهد لهذا التقدير ما جاء في تاريخ الشام لابن عساكر من أن يزيد كان يعرف طرفاً من الهندسة هذا الفن الذي كان مجهولاً من العرب، مما يضعنا أمام الأمر الواقع الذي يتسق تفسيره على هذا الوجه. ولا يخفى ما يكون لهذه التربية من أثر سيئ فيمن سيكون ولي أمر المسلمين.

و هذه التربية تصحح الرواية الأدبية القائلة بأن يزيد أراد كعب بن جُعيل على هجاء الأنصار، فاستأبى عليه تأثماً لمقامهم الديني و دله على الأخطل التغلبي الشاعر النصراني، و من ثم أطردت الصداقة بينهما. ونحن نشك في صحة هذه الرواية و نعزو الاتصال بينهما إلى مكان التربية عند يزيد، فقد كان يتزيد في تقريب المسيحيين و يستكثر منهم في بطانته الخاصة، لما أنه يقع بينهم على من يترج به و ينسجم معه (على ما يقولون). و لقد اطمأن إليهم حتى عهد بتربية ابنه إلى مسيحي على ما لا اختلاف فيه بين المؤرخين. و لا يمكن أن نعلل هذه الصلة الوثيقة و التعلق الشديد بالأخطل و غيره إلا إلى مكان التربية ذات الصبغة الخاصة و اللون النابي. إذا كان يقيناً أو ما يشبه اليقين، أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة و بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الإسلامية، لا يحسب لتقاليدها و اعتقادها أي حساب و لا يقيم لها وزناً، بل الذي يستغرب أن يكون على غير ذلك. (١)

و من ثم وجدنا يزيداً يشاور المسيحيين و الاجانب امثال سرجون الرومي و يعمل بما يملوه عليه و كما قلنا سابقاً فانه جعل عبيد الله بن زياد و الياء على الكوفة بإشارة من سرجون المسيحي (٢)

و مضافاً إلى ذلك، فان يزيد قد ترعرع و نشأ في البادية عند اخواله بني كلب، و لم يكن تأثره بعبادات البداوة بأقل من تأثره بالمسيحية في رذائل الأخلاق و وحشية الطباع، اذ أن معاوية ترك ميسون ام يزيد و ارسلها إلى البادية، فكانت

(١) سمو المعنى ص ٦٧-٦٦. مروج الذهب ج ٣ ص ٣.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٦٨. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ٨٤-٨٥. حجة السعادة ج ٢ ص ٦.

ولادة يزيد فيها، و متاركة ميسون لمعاوية و ان فسّر لها البعض بكراهة ميسون حياة القصور و الحضارة، و منادمة الجوّاري الحسان و القيان و آنية و الذهب و الفضة و السجّاد، و لكن الحق أنّ دواعي الفراق الحقيقية هي الحنين إلى ذلك الغلام و ثورة العشق المتأججة في قلب ميسون له، فطالما سمع معاوية أشعار ميسون الغزلية لعشيقها و هي في قصره، و طالما احسّ معاوية بسرّها و لوعتها على فراقه، فاضطر إلى إرسالها إلى عشيقها و هجرها.

أخلاق يزيد

يقول العقاد: فتى عريـد يقضي ليله و نهاره بين الخمر و الطنابير، و لا يفرغ من مجالس النساء و الندمان إلا لهرع إلى صيد فيقضي فيه الأسبوع بعد الأسبوع بين الأديرة و البواري و الآجام، لا يبالي خلال ذلك تمهيداً للملك و لا تدريباً على حكم و لا استطلاعاً لأحوال الرعية الذين سيتولاهم بعد أبيه، ثقة بما صار إليه من التمهيد و التوطيد و ما سوف يصير.^(١)

و يقول أيضاً فكان كلفه بالشعر الفصيح مغرياً له بمعاشرة الشعراء و الندماء في مجالس الشراب، و كان ولعه بالصيد شاغلاً يحجبه عن شواغل الملك و السياسة، و كانت رباضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرايين و الفهادين، فكان له قرد يدعوه «أبا قيس» يلبسه الحرير و يطرز لباسه بالذهب و الفضة و يحضره مجالس الشراب، و يركبه أتاناً في السباق و يحرص على أن يراه سابقاً مجلياً

على الجياد. (١)

ولم ينته يزيد عن معاقرة الخمرة والمآثم حتى في مدينة النبي ﷺ.
قال الحسين عليه السلام في يزيد لمعاوية: وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه
فخذ ليزيد في ما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام
السبق لاتراهم والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً. (٢)
ويقول محمد رضا رشيد هذه نشأة أولاد الطبقة الارستقراطية عادة، فهم لا
يعبأون بالتعاليم الدينية ولا يعرفون الحلال من الحرام وإنما همم التعلق بأنواع
المسليات والملاهي والصيد والقنص والرقص والغناء وشرب الخمر. فترية
يزيد كانت خلاف تربية أولاد الصحابة إذ كانت تربيتهم دينية محضة. وقد استطاع
معاوية بسلطته أن يأخذ البيعة لانه من أهل الشام لكنه لم يستطع أن يؤثر في أهل
المدينة، فلما مات جرح يزيد إلى استعمال القوة في حملهم على مبايعته وقال: «والله
لأطأنهم وطأة أتى منها على أنفسهم». (٣)

ويقول المسعودي: كان يزيد صاحب طرب وجوارح و كلاب و قروود و
فهود و منادمة على الشراب و جلس ذات يوم على شرابه و عن يمينه ابن زياد و
ذلك بعد قتل الحسين عليه السلام فأقبل على ساقيه و قال:

أسقني شرية تروني فؤادي	ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي	ولتسد يد مغنمي وجهادي
قاتل الخارحي أعني حسينا	ومبيد الاعداء والحساد

(١) ابو الشهداء ص ٧٧.

(٢) الحسن والحسين سبطا رسول الله ص ٦٠.

(٣) الحسن والحسين سبطا رسول الله ص ٦٠.

ثم أمر المغنين فغنوا^(١)

و غلب على أصحاب يزيد و عماله ما كان يفعله من الفسوق و في ايامه ظهر الغناء في مكة و المدينة و استعملت الملاهي و أظهر الناس شرب الشراب و كان له قرد يكنى أبا قيس، يحضره مجلس منادمته و يطرح له متكأ... الى آخره.

و كان عمال يزيد و حاشيته يشاركونه في مجونه و فسقه، و انتشر ايام حكمومه الغناء و الطرب في مكة و مدينة، و استعملت آلات الموسيقى و القمار، و اباحت حانات الخمر و الميسر.

ثم يذكر المسعودي قصة قرد يزيد المسمى «أبو قبيس» و حضوره مجالس الشراب و اللهو.^(٢)

يقول الكيا الهراسي الشافعي: و كيف لا يكون كذلك و هو المتصيد بالفهد و اللاعب بالنرد و مدمن الخمر و من شعره في الخمر قوله:

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم و داعي صبايات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم و لذّة فكل و ان طال المدى يتصرّم
و كتب فصلا طويلاً في مذمة يزيد و قال:

« و لو مددت بياض لأطلقت العنان و بسطت الكلام في مخازي هذا

الرجل»^(٣)

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ١٥. تذكرة الخواص ص ٢٩٠.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ١٦-١٥. ابو الشهداء ص ٧٥.

(٣) حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٢٤.

جنايات يزيد

١- إن أعظم جناية ارتكبتها يزيد هي قتله للإمام الحسين عليه السلام وشباب بني هاشم وخيار وفاضل قرابة الرسالة واصحابه الابرار، وأشر بنات النبوة. فعبید الله ابن زياد قتل الحسين عليه السلام بأمر يزيد، وأسر أهله ونسائه وبناته أسر الكفار، وارسلهم مع رأس الحسين عليه السلام الى الشام بطلب يزيد نفسه، وبامر من يزيد، وأوقفهم بباب مسجد دمشق يتفرج عليهم الناس كما يتفرجون على اسرى الديلم والكابل.

و يزيد، ليس فقط لم يتبرأ من فعل ابن زياد، وانما كافأه وحباه وقربه و ادناه بدلاً عن أن يلومه على منع اطفال محمد ﷺ من شرب الماء، وقتله الرضع والعجائز. ولما قدم ابن زياد الى دمشق اجلسه في مجلسه واحتفل بجزئته و نادمه و أشعر فيه و تغنى بوحشيته في كربلاء حتى قال فيه:

قاتل الخارجي أعني حسيناً ومُبيد الأعداء والمُساد!

كتب ابن عباس رداً على كتاب يزيد اليه: بلغني كتابك تذكر فيه اني تركت بيعة ابن الزبير وفاءً أمي لك ولعمري ما أردت حمدك ولا ودك تراني كنت ناسياً قتلك حسيناً وفتيان بني المطلب مضرجين بالدماء، مسلوبين بالعراء تسفي عليهم الرياح وتنتابهم الضباع حتى أتاح الله لهم قوماً واروهم فما أنس ما أنس طردك حسيناً من حرم الله و حرم رسوله وكتابك الى ابن مرجانة تأمره بقتله واني لارجو من الله أن يأخذك عاجلاً حيث قتلت عترة نبيه محمد ﷺ و رضيت بذلك و أما قولك انك غير ناس برّي فاحبس ايها الانسان برّك عني و صلتك فاني حابس عنك ودي ولعمري انك ما تؤتينا مما لنا من قبلك الا اليسير وانك لتحبس عنا منه

العرض الطويل . ثم انك سألتني أن أحثّ الناس على طاعتك و أن أخذهم عن ابن الزبير فلا مرحباً ولا كرامة تسألني نصرتك و مودّتك و قد قتلت ابن عمي و أهل رسول الله مصابيح الهدى و نجوم الدجى غادرتهم جنودك بأمرك صرعا في صعيد واحد قتلى أنسيت إنفاذ اعوانك الى حرم الله لتقتل الحسين فما زلت ورائه تخيفه حتى أشخصته الى العراق عداوةً منك لله و رسوله و لأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً فنحن اولئك لآبائك الجفات الطغاة الكفرة الفجرة اكباد الإيل و الحمير الاجلاف أعداء الله و أعداء رسوله الذين قاتلوا رسول الله في كل موطن و جدك و أبوك هم الذين ظاهروا على الله و رسوله ولكن إن سبقتني قبل أن أخذ منك ثأري في الدنيا و قد قتل النبيون قبلي و كفى بالله ناصراً.^(١)

٢- و بعد فاجعة الطف الاليمة ، و قبل ان تحجّ دموع اهل المدينة على مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام ، حدثت واقعة الحرّة في المدينة المنورة و التي فجعت أهلها بافضع الجرائم التي يندى لها جبين البشرية جمعاً ، و التي كشفت القناع عن كفر يزيد و أبيه ، و اشعرت الناس جميعاً بالخطر الذي يهدد اساس و مقدسات الإسلام من جهة بني امية .

فبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و انتشار الخبر ، احسّ المسلمون عموماً بخطر يزيد على الإسلام ، و تيقنوا ان من جملة غاياته ، هتك المحرمات و الغاء احكام الشرع و اهانة مقام الرسالة ، و ان جرائمه و شنائع افعاله لن تتوقف عند حدّ معين . و كان يزيد قد منع العطاء عن اهل المدينة ، فتهبّت اسباب مقدمات ثورة

(١) تذكرة الخواص ص ٢٧٥-٢٧٦ . القمقام الزخار ص ٥٨٤ . تاريخ اليعقوبي ج ٢

عارمة عليه فيها.

وعزل يزيد والي المدينة الوليد بن عقبة وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان وكان فتيّاً غزاً لم يجرب الامور ولم يحنكه السن، ولم تضرّسه التجارب، وبعث الى يزيد وفداً من اهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن المنذر رجالاً كثيراً من اشراف اهل المدينة، فاجتمعوا بيزيد وهب لهم هدايا والجوائز^(١). وبعد ان شاهدوا باعينهم فساد يزيد في قصره ومجونه وطربه ومعاقرة الخمرة، شتموا يزيداً وعتبه وقالوا: انا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويعزف بالطناير ويضرب عنده القيان^(٢) ويلعب بالكلاب ويسامر الخُرَّاب والفتيان، وانا نشهدكم انا قد خلعناه»

وفي بعض التواريخ المعتبرة ان اهل المدينة ثاروا على عامل يزيد وخرجوه بعد ان ثبت عندهم فسقه واسرافه في المعاصي، وجوره وظلمه وولاه. فارسل لهم يزيد جيشاً بامرة مسلم بن عقبة المعروف بقساوته وظلمه وتعديه على المقدسات الدينية وكان من تربية معاوية ومعتمديه، فامرهم يزيد ان يستحل المدينة لثلاثة ايام، وكان النبي الاكرم ﷺ يقول: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين.»

(١) وخصّ زعماء الوفد برعايته واكبر مبلغ من المال وهو واثق من ان الوفد سيرجع بغير الروح التي كان يحملها عندما خرج من المدينة ولكن سهامه قد طاشت وظنونه قد خابت فلم يحصل منهم غير الهجاء والسباب بعد رجوعهم من عنده الى المدينة.

(٢) جمع قينة وهي المغنية.

و سار ابن عقبة بالجيش الشامي وكان اهل المدينة قد حفروا خندقاً لا تقاء الجيش و حتى لا تكون المعركة في شوارعها كما فعل رسول الله ﷺ في وقعة الاحزاب حينما جمع جدُّ يزيد المشركين لغزوها. ولكن ذلك لم يمنع غزاة يزيد من اقتحام المدينة و انتهت المعركة بهزيمة اهل المدينة لعدم تكافؤ القوتين فقد بلغ جيش الغزاة نحواً من ثلاثين ألفاً و عدد المقاتلين في المدينة لم يتجاوز الالفين، و لمساعدة مروان بن الحكم و خيانة رجل من بني حارثة، فاستباحوا المدينة ثلاثة ايام بلياليها و دخلت خيلهم مسجد النبي ﷺ و بقروا بطون الحوامل و استباحوا الاعراض، و استثنى من ذلك الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام و ال رسول الله ﷺ لعدم اشتراكه في الاحداث التي تسببت في ذلك.

هذا و قد قُتل في هذه الواقعة الفجيعة ثمانون صحابياً من اصحاب رسول الله ﷺ و سبعمئة من اولاد المهاجرين و الانصار و اكثر من عشرة آلاف من سائر الناس.

دخل أحد جنود مسلم ابن عقبة الى دار امرأة انصارية كانت ترضع طفها فأراد أن ينهب أثاث المنزل فقالت له: و الله لم يبق لنا رفاقك شيئا. قال: لا بد أن تعطيني شيئا أو قتلت طفلك. قالت المرأة: و إليك إنه ولد ابن أبي كبشة الانصاري من أصحاب رسول الله ﷺ و إني من النساء اللاتي اشتركن في بيعه الشجرة و قد بايعت علي أن لا أزي و لا أسرق و لا أقتل ولدأ و قد وفيت ببيعتي، فخف الله ربك. ثم نظرت الى طفلها و قالت: بني لو كان عندي ما أفتديك به لفعلت.

لكن الرجل لم يرحمها و لم يرحم طفلها فأخذ الرضيع من على صدرها و ضرب رأسه بالجدار فتناثر مخ الصبي أمام عيني امه.

و طبقاً لبعض النقولات التاريخية فان هذا الرجل لم يخرج من تلك الدار الا و

قد اسودّ نصف وجهه. (١)

و المحاصل، إنّ استهتار يزيد و امير جيشه مسرف ابن عقبة (كما يسميه البعض) بلغ حداً أن وطئت خيولهم مسجد رسول الله ﷺ و بالّت و راثت بالقرب من قبر النبي ﷺ و منبره الشريف، و قتلوا كل من لاذ بقبر النبي صلى الله عليه و آله فسالت الدماء في المسجد النبوي و شوارع المدينة.

و كل هذه الجرائم كانت بامر ابن ميسون، و لما انتهت الواقعة اكرم يزيد مروان الذي اعان مسرف بن عقبة على تنفيذ اوامر سيده يزيد.

٣- و من جملة شنائع افعال يزيد انه أجبر اهل المدينة على بيعته على انهم عبيد قنّ له، و ختم اعناقهم بختم العبيد!!

و لما انقضت الايام الثلاثة أمر اللعين مسرف بن عقبة باحضار الاسرى مكبلين بالاصفاد، و احضر سائر الناس و من نجى من القتل و أخذ منهم البيعة ليزيد قسراً على ان تكون اموالهم و ارواحهم ملكاً ليزيد يفعل بها ما يشاء!! و من رفض او اعتذر قتل فوراً.

و اول من جيئ به لاختذ البيعة هو عبيد الله بن ربيعة ابن امّ سلمة زوجة النبي ﷺ و عندما طُلب منه البيعة قال: ابايع على كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ. فقال له مسرف: تباع على انك مملوك ليزيد يفعل بمالك و اولادك ما يشاء! فامتنع عبد الله من ذلك فامر اللعين مسرف بضرب عنقه.

وهكذا اخذ مسرف البيعة من كبار الصحابة و التابعين و سائر الناس الا على بن الحسين عليه السلام، على انهم عبيد قنّ و ختم اعناقهم كما يختم على المجياد بعلامة

(١) البداية و النهاية لابن الاثير. تاريخ الطبري ج ٤ و ج ٥. مروج الذهب ج ٢.

الملكية ، وكذلك ختم على راحة أيديهم كما يفعل بالعبيد .

وبهذا يكون اهل المدينة قد دفعوا لبني امية ضريبة خدماتهم للاسلام و التوحيد و النبوة و المسلمين زمن هجرة النبي ﷺ اليهم ، فانتقم يزيد منهم لوقوفهم الى جنب النبي عرباً عن حقه و حقد آبائه الدفين تجاه الانصار .

٤- و الفاجعة الرابعة هي تعرّض يزيد و هجوم جيشه على بيت الله الحرام و هتك حرمة الكعبة الشريفة و ضربها بالمنجنيق و احراق ستائرهما و هدمها و هي قبلة المسلمين و ملاذهم و امنهم^(١)

كفر يزيد

مما تقدم في ذكر قبائح أفعال يزيد ، يزول الشك في كفره عند المنصف المتجرد عن العناد و التعصب . حيث تبين ان يزيد بن معاوية لا يرى اي قدسية و احترام لمسجد و روضة النبي ﷺ و الكعبة المشرفة ، و لم يكن مؤمناً أبداً برسالة و نبوة محمد بن عبد الله ﷺ و لولا ذلك لما تجاسر بتلك الوحشية و الاسراف و هتك حرمة تلك المقدسات الاسلامية . و بالتدقيق في تصرفاته و تصرفات ابيه ، يتضح جلياً انه لم يكن ليستحي من ارتكاب ما ارتكب حتى لو كان النبي صلى الله عليه و آله على قيد الحياة اذا تمكن و قدر على ذلك ، و لم يتوانى عن قتل رسول الله ﷺ سائراً على درب

(١) لمزيد الإطلاع على واقعة الحزّة و ختم اعناق المسلمين و تلك البيعة الخبيثة و هدم الكعبة ، راجع : الامامة و السياسة ج ٢ ص ٢٢٠-٢٣٢ و ج ٢ ص ١١ . تاريخ الخلفاء ص ١٤٠-١٣٩ . السيرة الحلبية ج ١ ص ١٩٩-١٩٥ . الاخبار الطوال ج ١ ص ٢٢٠-٢٣٧ . تاريخ البعقوبي ج ٢ ص ٢٢٣-٢٢٤ . مروج الذهب ج ٣ ص ١٩-١٧ . تذكرة الخواص ص ٢٩٩-٢٨٩ . شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٧٠ . تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٧٠ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣١٠ .

أسلافه من بني أمية في حرب بدر واحد و خندق .
و مضافاً الى تجسيد يزيد الكفر عملياً، فقد كان يصرح بلسانه و اشعاره
بكفره و عدم ايمانه، و قد ورد انه لما وضع رأس الحسين بن علي عليه السلام بين يديه، أخذ
يضرب الراس الشريف بعود خيزران و انشد يقول :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَا شِئْتَ فَعَلْ إِنَّمَا تَنْدُبُ أَمْرًا قَدْ حَصَلَ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
فَاهْلُوا، وَ اسْتَهْلُوا قَرَحًا وَ لَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْنَ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَ عَدَلْنَا قَتْلَ بَدْرِ فَاَعْتَدِلْ
لَعَبْتَ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبْرَ جَاءَ وَ لَا وَحْيَ نَزَلَ
لَسْتُ مِنْ خَنْدَفٍ إِنْ لَمْ أَنْتَقِم مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلٌ ^(١)

يقول ابن عقيل : و من الادلة على كفر و زندقة يزيد اشعاره المتضمنة لمعاني

الكفر و خبث السريرة و لؤم العنصر، و من جملتها :

عُلِيَّةُ هَاتِي وَ اغْلِنِي وَ تَرَفِّي بِذَلِكَ إِنِّي لَا أَحِبُّ التَّنَاجِيَا
حَدِيثُ أَبِي سَفْيَانَ قَدَمًا سُمِّيَ بِهَا إِلَى أَحَدٍ حَتَّى أَقَامَ الْبُؤَاكِيَا
أَلَا هَاتِ فَاسْقِنِي عَلَى ذَاكَ قَهْوَةً تُخْبِرُهَا الْعَنَسَى كَرَمًا شَامِيَا
إِذَا مَا نَظَرْنَا فِي أُمُورٍ قَدِيمَةٍ وَجَدْنَا حَلَالًا شُرْبَهَا مُتَوَالِيَا
وَ إِنْ مِتُّ يَا أُمَّ الْأَحْمِيرِ فَاَنْكَحِي وَ لَا تَأْمَلِي بَعْدَ الْفِرَاقِ تَلَاقِيَا
فَإِنَّ الَّذِي حَدَّثْتَهُ عَنْ بَعْثِنَا أَحَادِيثُ طَسَمَ تَجْعَلُ الْقَلْبَ سَاهِيَا

(١) البداية و النهاية ص ٩٢ و ص ١٩٧ و ص ٢٠٤ . تذكرة الخواص ص ٢٧١ و ص ٣٠٠ .

مقاتل الطالبين ص ١٢٠ . الاتحاف ص ١٨ . السيدة زينب ص ١٨-١٧ . البدء و التاريخ ج ٦

ص ١٢ . حفيد الرسول ص ٥٨ .

و لا بُدَّ لي من أن أزورَ مُحَمَّدًا
و من جملة أشعاره ايضاً:

مَعَشَرَ النَّدَمَانِ قُومُوا و اسْمَعُوا صَوْتَ الْأَغَانِي
و اشْرَبُوا كَأْسَ مُدَامٍ و اتركُوا ذَكَرَ الْمَعَانِي
أَشْغَلْتَنِي نَغْمَةُ الْعِيدَانِ عَن صَوْتِ الْأَذْنِ
و تَعَوَّضْتُ عَنِ الْخُورِ عَاجِزاً فِي الدَّنَانِ^(١)
و من اشعاره الدالة على كفره:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَ أَشْرَقَتْ تِلْكَ الشُّمُوسُ عَلَى رُبِّي جَيْرُونِ
نَعِبَ الْغُرَابُ فَقُلْتُ نَحْ أَوْ لَا تَنْحُ فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ الْغَرِيمِ دُيُونِي^(٢)

الحالة الاجتماعية في عصر يزيد

يعتقد محققوا علم التاريخ و الاجتماع إنَّ الانحطاط الاجتماعي و الاخلاقي للمسلمين تسارع منذ عهد عثمان بن عفَّان و تسلط بني امية على رقاب المسلمين. و في عصر معاوية و بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام كان انحدار المجتمع الاسلامي سريعاً جداً، فظهر التفاوت العجيب بين حالة المجتمع و قتذاك و حالته زمن النبي صلى الله عليه و آله و خلافة أمير المؤمنين فالمبادئ الفكرية انحرفت، و الأخلاق تغيرت، و العادات و السلوك الاجتماعي تبدَّل، و دبَّ الفساد الاداري في مرافئ الدولة، و عادت مظاهر حكومات ايران و الروم التي كسحتها المفاهيم الاسلامية و

(١) تذكرة الخواص ص ٢٩١.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٦١.

القيم السماوية، وبدأ تأويل الشريعة والقران والاحكام، بما ينسجم مع الميول و
الرغبات الشخصية، وبدأ التفتيش في عقائد الناس والتجسس على معتقداتهم و
محاربة المعتقدات التي تخالف منهج بني امية في الحكم، وابتدأ تطبيق منهج جديد في
تربية الناس على الخنوع والخضوع والاستسلام للظلم والسكوت عن الحق و
التملق والتزلف للولاة والحياة والظلمة، واشاعة فكرة أحقية معاوية واستخلافه و
سعة صلاحياته.

و اما في الامور التي ينبغي الرجوع فيها الى آراء عامة الناس (كالبيعة) فلم
يكن غير رأى الحاكم و ارادته محترماً، وكانت الآراء تؤخذ تحت بريق السيف و
لمعان رأس السنان و صليل الحراب، و بما يتناسب مع ميول بني امية، وكانت
الاستفتاءات التي يعبر عنها في ذلك الوقت بالشورى!! مجرد مسرحيات سافرة.

فلقد كان معاوية يرتقي المنبر في مجمع كبير مثل مسجد النبي ﷺ حيث يجتمع
المخالفون لولاية عهد يزيد، و يعلن بكل وقاحة و صلافة، ان المسلمين اجمعوا على
انتخاب يزيد و بيعته و ان اهل الحل والعقد هم الذين رشّحوا يزيداً لولاية العهد!! و
الحال، ان الجلادين والقتلة يصطفون تحت منبره لقمع و كتم انفاس اي معترض مهما
علا شأنه.

فرجال الإسلام الذين جاهدوا لمرضاة الله و استقبلوا الموت في سبيله
بافتخار، و قطعوا طمعهم عن الدنيا وملذاتها وقنعوا ببساطة العيش الكريم و ذابوا
في حب العدالة الاجتماعية، و لم تأخذهم في الله لومة حاكم او جائر و ظالم و كانوا
كابي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه جادّين من اجلّ تعاليم القران و المطالبة
بتطبيق احكام الشرع المبين، هؤلاء تخلّوا عن مواقعهم لا ناس انكبوا على الدنيا و
زينتها و أموالها، و اعمت بصائرهم الشهوات والملذات و طيب العيش والقصور و

الموائد اللذيذة، و اضعف قواهم الاخلاقية حبّ الدنيا، فقبلوا الذلّة والاستكانة و الخنوع طمعاً في الدراهم المعدودة التي يستلمونها من بيت المال، و اطاعوا الفرامين الجائرة و سكتوا عن الحق و تخلّوا عن الغيرة و الرجولة و العزّ و الشرف و الكرامة الإنسانية.

و لم يُعدّ هناك من يأتمر باوامر رئيسه اذا ما دعاه الى العمل بالقانون، و لم يُعدّ هناك من يتنمرّد على اوامر رئيسه اذا ما دعاه الى مخالفة القانون، فلقد باع الجميع انفسهم بالجوائز و الهبات الحقيرة، فصاروا عبيداً لمعاوية و يزيد و زياد و شمر و الاخرين من نظائرهـم المتردية و النطيحة، فلم يُعدّ للقوانين معنى إلاّ تلك التي تصدر عن بني اميّة.

و ان وُجد من يتمنع من اجراء القوانين الظالمة كوالي خراسان- فانهم يتعرضون للتصفية الجسدية و يُبعدون عن ساحة الاحداث.

و لم يُعدّ مهمّاً للمسلمين أيها يحكم، يزيد و معاوية ام الحسين و علي عليه السلام، فان المهم عندهم هو مصالحهم الشخصية التي تتحقّق لهم في حكومة بني اميّة فوالوا حكومة بني اميّة.

كان الخمول و الركود و الخنوع و السكوت و الخوف قد عمّ كل نواحي الحياة الاجتماعية، و تُرك الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و كانت اجهزة السلطة الاموية تمنع منها.

و لم يعد للخطباء دور إلاّ التمجيد و الدعاء و الثناء للولاة و لمعاوية و يزيد، و لعن و ذمّ الاخيار و الصلحاء و اولياء الله. و قد أخذ الفقر و الفاقة مأخذهما من الناس، و صرفت اموال بيت المال في البذخ و الحفلات الماجنة و الجوائز و الهبات و العطايا و الصلات لغير مستحقيها، بدلاً من صرفها في مصالح المسلمين و التوسعة

عليهم و تطوير اقتصاد الدولة الاسلامية و اعمارها، فاستشرت تجارة الغلمان و الجواني و مجالس اللهو و الطرب و الخمر و القمار و الرقص .

و قد انحدر مستوى الثقافة و العلم و الفكر و التدبُّر و الايمان حتى وصل الى ادنى مستوياته و ضعفت الارادة الاجتماعية و العزم الوطني الاسلامي الى درجة ان احداً لا يمكنه الاعتراض على موظفٍ صغير في جهاز الحكم على مخالفاته القانونية . و وصل القمع الفكري و الديني الى حدٍّ لم يبق معه من الإسلام الا اسمه و من القرآن الا رسمه ، و تفشَّتْ التلاعب بالاحكام و القوانين الاسلامية ، و انحصرت الملاكات و موازين الامور في ارادة الحاكم و مزاج جهاز الحكم .

و سقطت اسلامية القوانين عن الاعتبار ، و عمَّ القمع الى درجة ان معاوية نفسه يمنع عبد الله بن عباس و هو من كبار الصحابة و المعروف بحبر الامّة ، من تفسير القرآن و بيان الحقائق ، و مُنع تداول احاديث اهل البيت و نقلها ، و كان البحث العلمي و التفسير و الحديث ، و بيان احكام الحلال و الحرام ، تحت مراقبة اجهزة السلطة الاموية و عيون بني اميّة .

و الحاصل ، و كما قال الإمام الحسين عليه السلام : « لقد أمتوا السنة و احيوا البدعة ، و الحق لا يُعمل به و الباطل لا يتناهى عنه » .

و اوضح دليل على ما قلناه هو تخاذل الناس عن نصره الإمام الحسين عليه السلام ، أولئك الذين كانوا يتمتعون بالقدرة القتالية و التسليحية و الرغبة في الخلاص من حكم بني اميّة في وجدانهم ، و الذين كتبوا الى الإمام الحسين عليه السلام ان اقدم الينا فقد اينعت الثمار و اخضرَّ الجنباب ... الخ و بايعوا سفيره مسلم بن عقيل على اقامة العدل و محاربة الظلم و الجور و الكفر ، و احياء الدين و الشرع الحنيف ، و لكن و بمجرد ان جاء عبيد الله بن زياد و خوَّفهم بجيش و همي و رَغَّبهم بالمناصب و طمعهم بالاموال

و المنال، باعوا دينهم بدنيا غيرهم و نكثوا بيعتهم، بل و انضموا الى صفوف المحاربين لامامهم و تركوه لدى الهياج وحيداً حتى قُتِلَ هو و اهل بيته و اصحابه البررة و أُسِرَت نساؤه و اطفاله و جيئ بهم الى الكوفة امام أعين اولئك الذين كاتبوه و بايعوه و عاهدوه على التضحية من اجله و اجل اهل بيت الرسالة!! فاي دليل على انحطاط المجتمع فكرياً و عقائدياً و اخلاقياً اوضح من هذا التخاذل؟؟

و لقد ذكرنا سابقاً بهذا التدني الاخلاقي و قلنا أنَّ جيش الكوفة كان جيشاً حاربت يده و رجلاه و لسانه، و جدائنه و فكره و روحه، و كما وصفهم الفرزدق:

قلوبهم معك و سيوفهم عليك!

إنَّ الذي جاء بعمر بن سعد و شيث بن ربيعي و عمرو بن الحجاج و حجار بن ابجر و الاخرين الى كربلاء، لم يكن الاَّ حبُّ الدنيا و الخوف من خسارة المال و المنصب، لا عدم القناعة بالواقع المرّ.

تأملوا في اجوبة عمر بن سعد للامام الحسين (عليه السلام) فيما طلب منه أن يلتحق به و يترك بني امية، لم يقل عمر بن سعد: إنَّ الحق مع بني امية، و لم يقل إنَّ الحسين على باطل او إنَّ حركته ليست اصلاحية، لكنه قال: اخاف أن يخرب داري!

فقال له الإمام (عليه السلام): اعوضك بخير منها.

فقال: اخاف ان يصادر ضيعتي.

قال الحسين (عليه السلام): انا اعوضك بضیعة لي في الحجاز.

قال: اخاف على اهلي يقتلهم ابن زياد.

فانت ترى ان كل اعداء عمر بن سعد ناجمة عن خوفه و عن طمعه بالدنيا و المال، و كان دافعه الأول و الأهم هو ملك الريّ و هكذا حال الاكثر من اولئك الذين حاربوا الحسين (عليه السلام) فلقد كانت روح اليأس و الخوف و الانحطاط الفكري و

التدني الخُلقي والطمع في الدنيا وزينتها الزائلة، فكانت الأمة في سُبات و خمول و خنوع و جُبْن، وفقدان ارادة و عزيمَة.

وكيف يرتجى غير ذلك من أمةٍ يتسلط عليها امثال معاوية و يزيد و مسلم بن عقبة و زياد و المغيرة و عمرو بن العاص و الحصين بن غمير و عبيد الله بن زياد؟ كيف يرتجى منهم غير الدناءة و الرذالة و الخسَة و الفساد و دنو الهمة و الضعة و السفالة؟

و مثل هذه الامة، لا يُتوقع منها ان تقف الى جنب المصلحين و الرساليين و اولياء الله، و لا يرتجى منها الفداء و التضحية من أجل المبادئ و المثل السامية، و ان مثل هذه الامة الميتة تحتاج الى حركة اصلاحية قوية كحركة الإمام الحسين عليه السلام تهز ضميرها و توقظها من سبات الخنوع و الذلّ.



البحث الثالث

دواعي ثورة الحسين عليه السلام

دواعي الثورة^(١)

١- امتثال التكليف الالهي

قد يكون المحرك والدافع لثورة ونهضة ما هو المنافع المادية والامور الدنيوية والاغراض الشخصية وبعبارة، هوى النفس وطلب الشهرة والمقام. وقد يكون الدافع مقدساً كحب الخير والفضيلة والاصلاح وامتثال التكليف الالهي والوظيفة الشرعية.

(١) لا يخفى عدم وجوب معرفة علل واسرار افعال النبي والأنمة عليهم السلام ولا معرفة الحكمة والمصالح الكامنة في ما يقوم به، وذلك لا يوجب خللاً في مقام النبوة والامامة، بعد ان ثبت عصمتهم ووجود الملائكات في ما يقولون او يفعلون او يتركون ويحرمون، نظير مجهولية كثير من مصالح الخلقة في عالم التكوين لدى البشر، ولا يميز ذلك إنكارها وانكار حكمة خالق الكون، ويعود ذلك الى محدودية تعقلات الكائن البشرى وضيق قطر دائرة ادراكه لاسرار عالم التكوين. وكذا الحال في عالم الشريع ومنهج الانبياء والاولياء، فاذا لم يبين نفس الأنبياء والاولياء المصالح والملائكات في افعالهم، فانهى ستبقى خافية على ذهن البشرى العام، ومثال ذلك ما ورد في قصة النبي موسى عليه السلام والخضر عليه السلام. فنحن عاجزون عن ادراك علل افعال الإمام الحسين عليه السلام وبحمتها والتحقيق فيها. وعليه فما سنقوله في هذا القسم من الكتاب في دواعي نهضة الحسين عليه السلام لا يُعدُّ توجيهاً وتصويماً لثورته الشريفة، اذ اننا نعتقد ان كل ما يقوم به الإمام عليه السلام ومن جملة ذلك حركته في كربلاء، هي عين الصواب والحق، كما اننا لا ندعي الاحاطة بكل حكم ومصالح هذه الثورة المقدسة، اذ يسع مياة البحر الآ البحر نفسه، وانما غرضنا من هذه البحث هو توضيح بعض الافكار وتقوية مباني الأخلاق والايمان عند طبقة الشباب من المجتمع.

و من الضروري، أنَّ الدوافع المادية الشخصية تجرّد العمل عن قدسيته و ممدوحيته و سُمُوّه، و يكون اقرب للغرائز و الميول الحيوانية، بحثاً عن العلف و الطعام، و اكثر الناس لا تسمو أهدافهم و أغراضهم عن الرغبات الحيوانية.

اجل، إنَّ هؤلاء الناس، اذا ما سعوا للحصول على المنافع المشروعة حتى المادية منها، و لم يخونوا الاخرين و لم يظلموا حقوقهم و لم يعمهم الطمع و الجشع، و كانوا مراعين للآداب الشرعية و الاخلاقية، حينئذٍ لا يمكن ملامتهم و ذمّهم، بل يقال عن مثل هؤلاء انهم اجتازوا عالم الحيوانية و وضعوا اول قدم في عالم الإنسانيّة المقدس، و سوف يثابون على أعمالهم، فهم مصداق قوله تعالى:

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً»^(١)

و أمّا اذا حاولوا الوصول الى مرادهم و اغراضهم عن طريق هضم حقوق الآخرين و بالطرق اللامشروعة، استحقوا الذمّ و الملامة، بل و المحاسبة و المعاقبة و صاروا في عداد الطغاة و الظالمين و السارقين و المرابين و القتلة و الفساق و... نظائرهم.

ولذا، فان اكثر أختيار المجتمع هم اولئك الذين يتوسلون بالطرق المشروعة لتحصيل اغراضهم المادية الشخصية، كما إنَّ اكثر رواد الطرق الملتوية المنحرفة عن الشرع، هم اولئك الذين يحاولون اشباع حاجاتهم باي وسيلة حتى لو كانت محرمة، فالحرام و الحلال مترادفان في قاموسهم، و ليس للطمع و الجشع عندهم حد أدنى أو أقصى.

و متى ما كان المحرّك، حبُّ الخير و امتثال التكليف الالهي، و الخلوص لله، و

خدمة الإنسانية، كان العمل منتسباً الى الإنسانية والكمال، و تبعاً لذلك يستحق فاعله المدح و الثناء و التشويق، و المحبوبة عند الناس لحسن ذلك العمل عقلاً و بالذات.

ولعل من ابرز ما اكّد عليه الانبياء في منهجهم التربوي، هو ايصال الناس الى الكمال بحبّ الخير و اشاعة المحبة و العلم و العدالة و هداية المجتمع و سوقه نحو هذا المحور المقدس، لتمرّكز المصالح و الاغراض في نقطة واحدة و مركز متوحد فيكون سير البشرية اجمع نحو ذلك المركز و يتحقق الكمال الاجتماعي البشري العام.

و ما ذكر، ليس الا اشارة الى هذا البحث العميق، و تفصيل الكلام فيه يوجب الاطالة و يُبعدنا عن المقصد من هذا الكتاب.

و هناك صنفٌ من البشر، يسمو محرّكهم و ترقّي دواعي افعالهم على كل هذه العوامل و تتفاضل على كل تلك المقاصد فهؤلاء هم عباد الله الحقيقيين، و الخواص من اوليائه، فلا يعينهم ما سوى العبودية لله و الطاعة لاوامره و الامتثال لاحكامه. فلا تستند حركاتهم و سكناتهم إلا الى معرفتهم باستحقاق الله لهم، فليست مصلحة المأمور به و لا مفسدة المنهي عنه، يعبدون، و لا للفائدة و الملاكات يمتثلون. فان ذلك في قاموسهم تجاوز على الحدود و فضولية و جرأة على المولى، بل لانهم وجدوا الله أهلاً للامتثال فامتثلوه، فالموثر الوحيد و المحرك الفريد لهم و المتصرف الكامل بهم و بامورهم هو الله و الداعي الى نهضتهم و ثورتهم و سكوتهم هو الأمر الالهي، اولئك الذين صدق في حقهم:

«عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْلَمُونَ»^(١)

وكَلِّمَا عِلْتَ وَخُلُصْتُ مَرْتَبَةً تَوْحِيدَهُمْ ، كَلِّمَا كَمَلْتُ تَسْلِيمَهُمْ وَنِيَّاتِهِمْ مِنْ جِهَةِ
الامْتِثَالِ ، حَتَّى يَصْلُوا إِلَى مَرَحَلَةِ فَنَاءِ مَقَاصِدِهِمْ وَمَطَالِبِهِمْ وَرَغْبَاتِهِمْ فِي الْمَطْلُوبِ
الْحَقِيقِيِّ وَالْمَقْصُودِ بِالذَّاتِ وَمُنْتَهَى الْأَمَالِ ، وَتَمَحُّيٍّ مِنْ صَفْحَةِ وَجُودِهِمْ إِنِّيَّاتِهِمْ وَ
آمَالِهِمْ الشَّخْصِيَّةِ . فَالتَّوْحِيدُ وَإِيْمَانُهُمُ الْخَالِصُ وَالْمَنْزَهُ مِنَ الشَّوَائِبِ ، يَسُوقُهُمْ نَحْوَ
اللَّهِ لَا غَيْرَ ، وَكَمَا وَرَدَ فِي كَلِمَاتِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعَائِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ :
« أَنْتَ الَّذِي أَرْزَلْتَ الْأَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّى لَمْ يُجِبُوا سِوَاكَ وَلَمْ يَلْجَأُوا
إِلَى غَيْرِكَ »

اذن ، فَعَلَلْ وَدَوَاعِي حَرَكَتِهِمْ لَيْسَتْ إِلَّا الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ وَحُبُّ اللَّهِ وَرِضَاهُ ، وَ
لِذَا يَقُولُونَ :

« اللَّهُمَّ إِرْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُؤْصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ »

وَشَعَارُهُمْ وَذَكَرَهُمْ :

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ وَحَسْبُنَا
اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ . »

طَاعَتُهُمْ اسْمَى مِنْ طَاعَةِ الطَّمَعِ بِالْحُورِ وَقُصُورِ الْجَنَّةِ وَ الثَّوَابِ وَ اعْلَى مِنْ
طَاعَةِ الْخَوْفِ مِنَ النَّارِ وَ الْعَذَابِ وَ الْعِقَابِ يَوْمَ النُّشُورِ ، وَ إِنَّمَا طَاعَتُهُمْ مَحْضَةٌ وَ
خَالِصَةٌ مِنْ كُلِّ نَفْعٍ إِلَّا الْقَرَبَ مِنَ اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ ، وَ كُلِّ مَا سِوَى ذَلِكَ ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ .
وَ لَقَدْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْأَئِمَّةُ الطَّاهِرِينَ وَ هُمْ الْإِدْلَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَ
السَّابِقُونَ فِي قَافِلَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ، هُمْ خَيْرُهُ هَؤُلَاءِ الْمَكْرَمِينَ وَ سَادَةَ
الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ .

فَطَالَعَةُ تَارِيخِ سِيرَةِ هَؤُلَاءِ هِيَ اسْمَى دَرَسٍ تَتَعَلَّمُهُ الْإِنْسَانِيَّةُ .

يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ :

«إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ»^(١)

و يقول :

«إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ»^(٢)

و كان خاتم الانبياء ﷺ يقول :

«إِنَّ صَلَواتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ»^(٣)

و لقد كان أمير المؤمنين و اولاده المعصومين من بعد النبي النموذج الاعلى

للتوجه الخالص للمبدأ و في التوحيد .

فعليُّ هو الذي وصفه النبي ﷺ بان السماوات و الارض لو وضعت في كفة

ميزان، و وضع ايمان عليٍّ في الكفة الاخرى لرجح ايمان علي عليه السلام .

فطلب الحق و العدل و العبودية لله و الزهد و التقوى و الشجاعة و الصراحة

و كل الصفات الإنسانية السامية، قد تجسدت في علي و آله عليهم السلام و لقد

كان عليه السلام ثمرة شجرة التوحيد و عبادة الله و التسليم الخالص للمبدأ عز وجل، و كان

اذا خُيرَ بين أمرين اختار اشدَّهما عليه و ارضاها لرَبِّه .

و من أوضح مظاهر الخلوص و الطهارة، و تجليات الحقيقة و طلب الحق و

اهل هذا البيت، ثورة الحسين عليه السلام ضد يزيد و حكومة بني امية، فكانت ثورة الهية

خالصة و نهضة دينية صادقة .

(١) سورة الصافات، الآية ٩٩ .

(٢) سورة الانعام، الآية ٧٩ .

(٣) مستلهم من الآيات ١٦٢-١٦١ من سورة الانعام . «قُلْ اِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ...» .

فالحسين عليه السلام في ثورته لم يكن طالبَ حكمٍ وسلطانٍ ومقامٍ دنيوي، ولا طامعاً في نفوذٍ ومالٍ وثروة، وإنما امتنع عن بيعة يزيد، طاعة لله تعالى، وترك الحرمين الشريفين مهاجراً إلى العراق امتثالاً لأمر الله عز وجل، وجاهد في الله لله، ولم يدعُ إلى تلك الحركة إلا أمر الله وأداء التكليف.

ولذا، فإن أفضل ما يمكن التعبير به عن علل ثورته عليه السلام، هو الأمر الإلهي، وهذه حقيقة يؤيدها التاريخ والدين وسيرة الحسين عليه السلام.

فالتاريخ شاهدٌ على أن أوضح دليل على خالص نية الحسين عليه السلام، وعظيم أثرته ومحض تسليمه لأمر الله، هو توضيحه الحسين عليه السلام وفداؤه.

وأيُّ دليل وشاهد على طهارة النية وصفائها، وشفافية الباطن، والتوحيد الخالص، أفضل من عزم الإنسان على ملاقات المحتوف في سبيل الله، واستقبال المصائب والبلايا في رضا الله، وافتجاعه بفقد أعزِّ أولاده وإخوته وأصحابه، وأسرى أطفاله ونسائه، وآهات وأنات العطاشى والشكالى؟

ومن ثمَّ، فمشتبهٌ تماماً من يتخيل أنَّ المصالح السياسية والمنافع المادية الشخصية أو الصراعات القبلية العشائرية والعائلية، كان لها أدنى مدخلة في ثورة الحسين عليه السلام، فضلاً عن تصور كونها العلل الأهم في ذلك، فإن الحسين عليه السلام هو ولي الله الكامل، والعبد الذي عرف معنى العبودية الخالصة لله، واندكَّ مرأده في إرادة الله فلم يعد لما تريده نفسه أي معنى في قبال إرادة ربِّه.

لقد كان الحسين عليه السلام على يقين علمي وعملي بأن الله رقيبُه وحافظُه، وكان الحسين عليه السلام يرى الله بعين المعرفة وبصيرة الايمان، ولذا كان كلامه وخطابه:

«عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسَرَتْ صَفْقَةً عَبْدٌ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ

نَصِيباً»

و ادعية الحسين عليه السلام يوم عرفة و يوم عاشوراء و غيرها ترشدنا الى رفيع أحاسيسه الروحانية، و ذوقه و دركه الوجداني اللطيف، و الى تجلّي عميق ارتباطه بالله، و من حمل مثل هذه المعرفة بالله، و هذه المرتبة العالية من الاخلاص، محال ان يخطو خطوة في غير رضا الله تعالى و امتثال أمره.

كما ان كل الروايات و الاحاديث الواردة في سيرة الحسين عليه السلام و سماته و صفاته و اخلاقه، تدل على محض الامتثال، كما انها واضحة في ان النصر العسكري الظاهري، لم يكن منظوراً ابداً للحسين عليه السلام، و لم يكن في حسابانه تحقيق المكاسب السياسية و الزعامة و السلطة، بل كانت حركته اصلاحية محضة، كما كانت حركة جدّه رسول الله صلى الله عليه و آله و دعوته، دعوة و نهضة الهية سماوية هداية البشرية، و لم تهدف يوماً ما لتحقيق مآرب سلطوية فتوية، و نيل مكاسب دنيوية عابرة، فالملاك كل الملاك في الحركتين هو امتثال امر الله، و من هنا كانت حركة الحسين عليه السلام امتداداً لدعوة النبي صلى الله عليه و آله و مكملة لها:

«إِنْ كَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ لَا يَسْتَقِمُّ إِلَّا بِقَتْلِي يَا سَيُوفُ خُذْنِي»

فهما قيل في تفسير ثورة الحسين عليه السلام، و اي تعبير استعمل لترجمتها و سواء قيل انها امتحان و ابتلاء الهي، أو انها حركة لتحقيق اهداف الانبياء و الاولياء، أو أنّها محاولة لتأسيس أو تجديد الحكومة الاسلامية العادلة، أو انها مامورية و تعهّد التزمه الحسين عليه السلام على نفسه من عوالم الغيب، أو انها مشاهد لتجلّي اعلى مراتب الخلوص لله عند البشر، و الدفاع عن الحق و العدل و الدين، أو أنّها أبرز تجلّيات الصبر و الصمود و العزّة و الاباء و الفداء و كمال الروح و النفس، و مهما فسّر العارف و الفيلسوف و المورخ و المحدث و الشاعر، و مهما قيل في عظمة هذه الثورة المقدسة، فالكل ينتهي الى معنى واحد و هو إنّ ما قام به الحسين عليه السلام ليس إلا

مامورية إلهية متميزة، ورمزاً غيبياً و سراً سماوياً، وإن الذي دعى الحسين عليه السلام إلى تحمل كل تلك الرزايا والبلايا هو الأمر الإلهي وحسب.

وقد جرت العادة في الثورات والحركات السياسية أن يتشبث قادتها بشقّ الوسائل والطرق - حتى الحرمة والقيحة - لتحقيق مآربهم وتحشيد القوى والطاقات وتجميع الأسلحة والمعدات الضرورية لحركاتهم.

وحتى قادة الحركات النزيهة والشريفة فإن لهم بعض الشوابت التي تعدّ ضرورية ولازمة لنجاح حركاتهم وكسب الأنصار والمؤيدين، من قبيل إشاعة روح النصر فيهم وعدم إخبارهم باحتمال الهزيمة والانكسار أو القتل والشهادة أو الأسر فضلاً عن أسر النساء وقتل الاطفال ونزول البلايا والمصائب بهم.

كما ان هؤلاء يختارون الاماكن الآمنة لهم ولا تباعهم وخاصة تلك الاماكن المقدسة المحترمة عند الجميع والتي يضطر العدو الى عدم مهاجمتها لعلمه المسبق بالعواقب الوخيمة لهذا العمل.

واما لو كان العكس، فاخبر القائد قواته بالمصير المأساوي الذي ينتظرهم وانهم مقتولون لا محالة، وأن عوائلهم ستسبى وأن اموالهم ستنهب وأن اطفالهم ستقتل وان رؤوسهم ستقطع، وخيرهم بالانصراف واذن لهم بالرحيل عنه، وترك المكان الآمن واختار صحراء قاحلة بعيدة عن الاعلام ودعاهم الى استقبال الموت والشهادة وكان هو في مقدمة الفدائيين المستميتين والمضحين بكل غالٍ ونفيس حتى الرضع من اولاده، فثل هذا القائد لا يمكن اتهامه بطلب الرئاسة والزعامة والمال والنفوذ بل سينظر الناس اليه على ان ثورته ثورة صادقة مبدئية، و مثل هذا القائد لا يجتمع اليه اهل الطمع والمرتزة وطلاب الدنيا والمال والمقام الذين ينخرطون مع كل حركة وثورة من اجل المكاسب والغنائم.

و الآن تعالوا معنا لقراءة ثورة الحسين عليه السلام من هذا المنظار :

ألف: التنبوء بالقتل

لقد جاء في روايات متواترة لفظاً ومعنى ان الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله أخبر باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهذه الروايات ضبطت في أصح كتب التاريخ والحديث ، وقد نقل هذه الاخبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله وزوجاته مباشرة أو بوسائط .

وعندما عزم الحسين عليه السلام على ترك المدينة الى مكة ، وكذلك عندما ارد الخروج من مكة الى العراق ، جاء كثير من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وكبار رجالات الإسلام والشخصيات المعروفة عند عامة المسلمين وحاولوا اقناعه بعدم الخروج وحذروه من القتل في العراق ، مندفعين من أمرين :

الأول : علمهم و يقينهم باستشهاد الحسين عليه السلام في هذا الخروج لما بلغهم من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وما سمعوه عنه مباشرة واخباراته المتكررة بقتله عليه السلام .

الثاني : بملاحظة الاوضاع السياسية القائمة آنذاك واستيلاء بني أمية ببطشهم وطغيانهم ، وظلمهم الذي عم كل انحاء البلاد الاسلامية وخنوع الامة الاسلامية و سكوتها عن الحق . فقد عاش هؤلاء فشل اهل الكوفة زمن أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام في الدفاع عن الامامة والحق ، فكان مصير الحسين عليه السلام واضحاً وانه يسير نحو الشهادة والقتل ، وان احتمال نجاح حركته ضعيف جداً .

فلو كان احتمال انتصار الإمام الحسين عليه السلام عسكرياً قائماً بنسبة ٥٠% أو ٢٠% لتبعه كثير من الناس المؤمنين به والمحبين لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ولما تخلى عنه امثال عبيد الله بن الحر الجعفي ، ولكن ولأن امثال هؤلاء كانوا من طلاب

الزعامة و السياسيين الذين يعتمدون على الحسابات السياسية ، فكانوا يعرفون بنتيجة هذه الثورة ، ولم يكونوا كزهير بن القين الذي تخلى عن كل امواله و حياته في سبيل الله و نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ ، كما أن هؤلاء لم يسمح لهم وجدانهم و ضمائرهم التي كانت لا تزال تذكر صوراً رائعة من حياة ال بيت الرسول ﷺ الى الاصطفاف في صف بني امية لقتال ابن فاطمة الزهراء ، فبقوا على الحياد و حرموا سعادة الشهادة و نصرة إمامهم .

فلم يعد المسلمون ، مسلمو زمن النبي ﷺ ، فلقد أثرت فيهم و غيرتهم المظاهر الدنيوية الخلافة ، و خدعتهم حلاوة الملك و السلطة و الزعامة ، و ذاقوا طعم الثروة الطائلة و الاملاك و الغلات و الغلمان و الجواري ، فازداد تعلقهم بالدنيا و قل نصيبهم من الايمان .

فلا معروف يؤمر به ، و لا منكر يُنهى عنه ، و لا زهد و لا تقوى فضلاً عن الفداء و التضحية في طريق الحق ، و لقد اعمى حب الدنيا أبصارهم ، و اصم آذانهم ، و سود قلوبهم .

و اما اولئك الذين كانوا على سدة الحكم ، فامرهم واضح جلي ، فلقد مضوا اعمارهم باللعب بالقردة و الكلاب و القمار و الشراب و الرقص و المجون و الطرب و اللهو ، و تقسيم أموال بيت مال المسلمين الى حاشيتهم و اقربائهم ، و اشتروا ضمائر قادة المؤسسات الحكومية بالاموال و اشباع الشهوات ، و مسخوا شخصياتهم فلم يعد للغيرة و الشرف و الدين وجود في قاموسهم .

و من لم يكن مع بني امية ، فاقلاً ما يتحمله من عقاب هو قطع عطائه و حرمانه من أبسط حقوقه الاجتماعية .

و في مثل هذه التركيبة الاجتماعية و السياسية المضطربة ، لا يمكن توقع احتمال

اندلاع ثورة على الحكم الاموي، ولا يمكن توقع اجتماع الناس حول قائد ديني و زعيم وطني يحاول اصلاح.

ومن هنا، وجدنا هؤلاء الناس كيف اداروا ظهورهم لنهضة الحسين عليه السلام ولم يلتحقوا بركب الشهادة والسعادة ورضوا بالدين من الدنيا وتركوا الحسين عليه السلام وحيداً في مواجهة الباطل^(١).

وكما اسلفنا فان الناس كانوا يهوون الحسين عليه السلام ويحبونه ومقتنعين بافكاره و حركته بل إن بعضهم هو الذي طلب منه القيام، ولكن كانت تنقصهم الشجاعة و الاقدام و الرشد الفكري و الروحي و الايماني، فلم يصلوا الى مستوى حبيب بن مظاهر و مسلم و الحر و زهير و عابس الذين ضحوا بالمناصب و الميزات الاجتماعية و المالية من اجل الدين و نصرته و الانتصار للحق و المظلومين.

(١) الانصاف ان اهل اكوفة لم يكونوا الوحيدين في الاقبال على الدنيا و الادبار عن الحق، فلا ينبغي ان نحصر اللوم و التوبيخ بهم، فقد كان لهم نظائر على مر العصور كاولئك الذين تحلوا عن نصره قادة الاديان و زعماء الحركات الإصلاحية التغييرية المحقة، مع فارق ان هؤلاء الزعماء لم يكن لهم ما كان للامام الحسين عليه السلام من مقام و عظمة و سابقة، و لكن كان منهم من ثار على منهج الحسين عليه السلام و داعيا الى مبادئه و مأساة المسلمين اليوم هو ابتلاؤهم بضعف الارادة و سبات الضمير و تفرقهم و اختلافاتهم و حبهم للدنيا و خوفهم من الموت. و كما ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «كيف بكم اذا تداعى عليكم الأثم كما تداعى الأكله على القصاص؟ قالوا: أئمن قلة يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل من كثرة و لكنكم غثاء كُثْثاء السبيل قد أوهن قلوبكم حب الدنيا و كراهية الموت»

و لا يخفى ان هذا الخبر ورد بلفظ آخر و هو: «كيف بكم اذا تداعى عليكم بنو الأصفر» و على هذا التقدير يكون المراد من بني الاصفر هو بني امية و بني مروان لان اصل بني امية من الروم أو على الاقل ان بني مروان من الروم كما ذكر ذلك العقاد و آخرون، فهؤلاء يسعون الى الهيمنة على المجتمع الاسلامي كله، مع ان عدد المسلمين كبير، إلا ان حب الدنيا و الخوف من التضحية و الاقدام، منهم من الدفاع عن الإسلام، ففسروا حقوقهم المشروعة.

وما اروع ما عبّر به الفرزدق عن حالتهم تلك ، عندما قال للحسين عليه السلام :
« قُلُوبُهُمْ مَعَكَ وَ سَيُوفُهُمْ عَلَيْكَ »^(١)

فهذه الجملة تبين حقيقة محبة الحسين عليه السلام في قلوب عامة المسلمين كما انها تبين الهزال الروحي والفقير الفكري وضعف الأقدام والمسكنة الاخلاقية عندهم .
وقال له مجمع بن عبيد العامري : أما اشرف الناس فقد اعظمت رشوتهم و ملئت غرائرهم فهم ألبّ واحدٌ عليك ، و اما سائر الناس بعدهم « فان قلوبهم تهوى اليك و سيوفهم غداً مشهورة عليك »^(٢)

و الحاصل إنّ الصحابة و سائر الناس و بعض بني هاشم كانوا في خضمّ الحسابات السياسية ، و أما اصحاب الحسين عليه السلام فكانوا سائرين الى الشهادة عن علم و يقين و اصرار .

و قد نقل عن ابن عباس انه كان يقول ان اهل البيت كانوا يعلمون بان الحسين عليه السلام سيقتل بالطف .^(٣)

و هاهم عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمر ، محمد بن حنظلة و عبد الله ابن جعفر الطيار و غيرهم من كبار الصحابة يقترحون على الحسين عليه السلام ان لا يخرج لعلمهم بما سمعوه من النبي ﷺ باستشهاد هذا الإمام المظلوم في كربلاء و انه نور الله في الارض و الهادي للناس و الأمل للمؤمنين .^(٤)

و الاكثر من هذا و ذاك فان الإمام نفسه كان على بصيرة تامة من أمره ، لما

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٠ . تذكرة الخواص ص ٢٥١ .

(٢) ابصار العين ص ٨٦ . ابو الشهداء ص ٧٣ (طبع الشريف الرضي) . بطله كربلاء ص ١٠٨ .

(٣) مقتل الخوارزمي ف ٨ ص ١٦٠ .

(٤) مقتل الخوارزمي ف ١٠ ص ٢١٨ .

عرفه عن مصيره من جدّه وأبيه، ولعلمه باحوال الناس و اخلاقهم، فهو الاعرف بهم من سائر الناس و لذا كان عليه السلام يقول: «الناس عبيد الدنيا و الدّين لَعَقٌ على السّنتهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون»

ولذا نراه يقول لرجل من بني عكرمة عندما التقاه و حدّره المسير الى الكوفة و انه لن يرد إلا على سيوف و رماح:

«يا عبد الله إنّه ليس بخفيّ عليّ الرأي ولكن الله لا يُعَلِّبُ عليّ أمره»^(١)

باء: الاخبار باستشهاده

إنّ من ضروريات حنكة القائد الذي يسعى لتغيير نظام حكمٍ ما و السيطرة على زمام الدولة، ان يبت روح النصر في جنوده و يحارب العدو إعلامياً و نفسياً، و يشيع قوة احتمال انتصاره و كسر عدوه، و يرتجز الاشعار الحماسية ليقوي عزائم انصاره، و يبتّ الرعب في قلوب اعدائه.

أمّا ان تجد قائداً يتحدث لجيشه عن استشهاده و قتله و قتل انصاره، و يصرّح أو يلمح بالمصير القاسي الذي ينتظرهم، و هو الذي يُضعف عزيمة الجيش إلاّ من تحلّى منهم بالايان القوي و روح الفداء من اجل المبادئ، فان ذلك يدلّ على ان مثل هذا القائد لم يتحرك أو يُقاتل بدافع الملك و الحكم و الزعامة، فانه مضافاً الى عدم استعدادده المسبق للقتال، فهو لا يُبقي على الاستعدادات الموجودة ايضاً، و هذا المنطق لا يتلائم مع رجاء تحقيق الاغراض السياسية و الملك و لا بد ان يكون مثل هذا القائد يبحث عن اهداف اخرى و تحركه دواعٍ وراء تلك الدواعي الدنيوية

الضيقة.

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام من الصنف الثاني، وكان يكرر القول على الاسماع بأنه مقتول، ولم يؤثر عنه انه وعد بخلع يزيدٍ أو تغيير حكم بني أمية أو التمكن من السلطان و حكومة البلاد الاسلامية، مع انه القى الحجة على الجميع بضرورة الاشتراك معه في نهضته ونهاهم عن بيعته يزيد و حرّضهم على الثورة ضده، ولكنه كان يعلم ان ذلك لن يتم، وانه سيبقى وحده مع تلك القلة المؤمنة من آله وصحبه وانهم سيقتلون بأجمعهم، ولذا فقد اعلن مراراً عن مصرعه، وكان احياناً يجيب اولئك الذين كانوا يحاولون ان يثنوه عن الخروج قائلاً: اني رأيت رؤيا فيها رسول الله ﷺ وأمرت فيها بأمرٍ انا ماضٍ له عليّ كان أوبي؛ فقليل له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت احداً بها، وما أنا محدث بها حتى القى ربي. (١)

ثم ان عبد الله بن عمر قال للحسين عليه السلام اكشف لي عن موضع تقبيل رسول الله لك فكشف له الحسين عن بطنه فقبلها ابن عمر ثلاث مرات وبكى وقال استودعك الله فانك مقتول في سفرك هذا. (٢)

و روى ابن الأعمى الكوفي ان الحسين عليه السلام خرج الى قبر جده صلى ركعات فلما فرغ من صلاته جعل يقول اللهم ان هذا قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم اني احب المعروف وانكر المنكر واني اسئلك يا ذا الجلال والاکرام بحق هذا القبر ومن فيه الا اخترت لي من امري ما هو لك رضا ولرسولك رضا وللمؤمنين رضا ثم جعل يبكي عند القبر

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ث ٢٩٢. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ٩٢-٩١.

(٢) القمقام الزخار ص ٣٣٣.

حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأغنى فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه و شماله و بين يديه و من خلفه فجاء حتى ضمّ الحسين الى صدره و قبل بين عينيه و قال حبيبي يا حسين كأنّي أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك مذبحاً بأرض كربلاء بين عصابة من أمّتي و أنت في ذلك عطشان لا تسقى و ظمآن لا تروى و هم في ذلك يرجون شفاعتي ما لهم لا أناهم الله شفاعتي يوم القيامة و ما لهم عند الله من خلاق . حبيبي يا حسين ان أباك و امك و أخاك قدموا عليّ و هم اليك مشتاقون و ان لك في الجنة لدرجات لن تنالها الاّ بالشهادة، قال فجعل الحسين في منامه ينظر الى جده محمد صلى الله عليه و آله و يسمع كلامه و يقول له يا جداه لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا فخذني اليك و أدخلني معك الى قبرك فقال له النبي ﷺ: يا حسين لا بد لك من الرجوع الى الدنيا حتى ترزق الشهادة و ما قد كتب الله لك من الثواب العظيم فانك و أباك و امك و أخاك و عمّك و عمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة. قال فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً فقصّ رؤياه على أهل بيته و بني عبد المطلب فلم يكن في ذلك اليوم في شرق و لا غرب أشدّ غمّاً من أهل بيت رسول الله و لا أكثر باكياً و لا باكية. (١)

و في كشف الغمة روى عن سفيان بن عيينة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام إن الحسين بن علي كان يذكر يحيى بن زكريا عليه السلام و يقول أن من هوان الدنيا على الله أن يهدي رأس يحيى الى بغيا بني اسرائيل. (٢)

(١) مقتل الخوارزمي ص ١٨٧ ف ٩. القمقام الزخار ص ٢٦٤-٢٦٣. ترجمة تاريخ ابن اعثم ص ٣٤٩.

(٢) القمقام الزخار ص ٣٥٩. نظم درر السمطين ص ٢١٥.

جيم: الهجرة من مكة

إنَّ طلاب الحكم والسياسيين، لا يتورعون عن التحصن في الاماكن المقدسة و المشاهد المحترمة عند المسلمين، بل يستغلّون كل المواقع التي تحظى بتقدير و احترام الناس للتخندق و التمرس بها، فان ذلك يُخرج العدو و يردعه عن الهجوم أو على الأقل يتسبب له بالملامة من قبل المسلمين، اذ ان هتك حرمة هذه المواقع يُثير غضب و استياء عامة الناس، و إن أراد أن يحفظ حرمة تلك الاماكن، اضطر الى إهمال خصمه و تحمل الضربات منه.

و كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يختار اقدس بقعة عند الامة الاسلامية، و اكثرها اماناً و هو بيت الله الحرام و مكة المعظمة و المسجد الشريف، ذلك المكان الذي وصفه عز وجل في كتابه الكريم: «مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» و هو المكان الذي كان العرب في الجاهلية يكتّون له الاحترام أيضاً و يرعون حرمة على الرغم من وحشيتهم و سلوكهم العدائي مع بعضهم البعض، فلم يُعهد عنهم حمل السلاح في ذلك الموقع الشريف. و لا شك في أنّ هذه المكان كان من أفضل الأماكن التي يمكن للحسين عليه السلام اختياره كمقر لادارة حركته و دعوته ضد بني أمية و تحشيد الحشود للانقضاء عليهم، و ما كان اسهل من أن ينقلب الحسين عليه السلام و من معه على والي مكة الاموي و السيطرة على مكة و اعتمادها عاصمة لثورته و دعوة باقي المدن للالتحاق بنهضته، ولكنه كان يعلم أنّ عاقبة ذلك هو هجوم جيش بني امية على الكعبة الشريفة و محاصرة مكة و هدم بيت الله الحرام و ابادة المسلمين في الحرم الأيمن كما فعل يزيد في واقعة الحرة و حربه ضد عبد الله بن الزبير في مكة.

لكن الحسين عليه السلام لم يكن طامعاً في الملك، ولم تكن مقاصده سياسية^(١) ولم يكن ممن يستخف بالمقدسات والشعائر الالهية.

إنَّ أوَّل شعارٍ للحسين عليه السلام هو الاعتراض على بني أمية لهتكهم الحرمات و الشعائر المقدسة والاحكام الالهية، فكيف يرضى لنفسه ان يتسبب في هتك بني أمية لتلك الحرمات و اراقة الدماء في الحرم المكي الآمن؟!

لقد كان الحسين عليه السلام عارفاً بان اعلان ثورته في مكة لن يُثْمِرَ إلا هتك حرمة البيت و هدم الكعبة و اساءة الأدب الى عامة المشاهد الشريفة في مكة. و هذه النظرة الصائبة الثاقبة للحسين عليه السلام اتضح صحتها فيما بعد، إبان حركة عبد الله بن الزبير. و من ثمَّ أبى الحسين عليه السلام ان يتخذ من مكة مقراً و مركزاً لثورته.

و كان بإمكان الحسين عليه السلام ايضاً ان يبقَ في مكة و لا يبايع يزيد، و يسكت على مساوي بني أمية، و هذا ما اقترحه عليه عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس و بعض الصحابة، ظناً منهم ان لا أحد يتجزأ على التعرض للحسين عليه السلام في الحرم الآمن.

(١) لا يتَّوهم اننا نرفض اشتراك اولياء الله و المؤمنين في السياسة و ممارسة العمل السياسي و اعتزال الساحة و الاحداث و عدم الاكتراث بمصالح الامة الاسلامية، اذ انَّ ذلك لا يتناسب مع روح الإسلام، فان الإسلام حتى في احكام العبادات كالصلاة و الحج و الصوم و الشعائر الدينية الاخرى، يهدف الى اشاعة روح الالفة و الوحدة و التعاضد من اجل مواجهة و مقارعة الظلم و الفساد و القضاء على الباطل و اهله و اظهار عظمة الإسلام و المسلمين، و لم يكن الإسلام يوماً ما دين صوامع و بيع و تصوف بعيداً عن النظام و الحكم و الادارة، و انما غرضنا من قولنا ان الحسين عليه السلام لم يكن له مقاصد سياسية هو ان الحسين عليه السلام لم يكن يهدف اساساً الحكم و التسلط على الناس و الحصول على المقام و المنال، فلقد كان عارفاً منذ البداية بانه لم يتمكن من القضاء على بني أمية.

لكن الإمام الحسين عليه السلام لم يقبل ذلك المقترح، لانه كان على يقين من أن بني امية سيقتلونه وإن كان متعلقاً باستار الكعبة وأنهم لا يعيرون أي أهمية لحرمة البيت الحرام.

كان الحسين عليه السلام يعلم أن بني امية قد جندوا بعض الرجال لقتله في موسم الحج، فبقاؤه سيؤدي الى هتك حرمة البيت و قتله بدون تحقق اية ثمرة ولا حصول أية فائدة.

فلذا خرج الحسين عليه السلام من مكة يوم التروية بعد أن جعل حجه عمرة مفردة، لئلا تهتك حرمة البيت بسببه، كما أخبر بذلك الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وعندما سأله الفرزدق عن علّة استعجاله بالخروج من مكة قبل أداء المناسك فقال: «لَوْ لَمْ أُعَجِّلْ لَأُخَذْتُ»^(١)

ويقول عليه السلام ايضاً: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام الامة.^(٢)

ونقل ابن الاثير أن الحسين قال لابن الزبير بأن أباه أمير المؤمنين حدثه أن رجلاً سيقتل في الكعبة وتهتك حرمتها وأنه لا يجب أن يكون ذلك الرجل.^(٣)

و ذكر الطبري عن أبي مخنف عن أبي سعيد عن بعض أصحابه قال: سمعت الحسين بن علي وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير فقال له ابن الزبير اليّ يابن فاطمة، فأصغى إليه، فسارّه، قال: ثم التفت اليّنا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ قلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك، فقال: قال أقم في هذا المسجد

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٠. تذكرة الخواص ص ٢٥١.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٦٩. الكامل ج ٣ ص ٢٧٦. القمقام الزخار ص ٣٣٤.

(٣) الكالم ج ٣ ص ٢٧٥. تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٩.

أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أن أقتل داخلياً منها بشبر وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم و والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت^(١).

دال: حلُّ البيعة

من الواضح إنّ الثورات والانقلابات السياسية والعسكرية تحتاج إلى الكوادر والافراد والقوّات التي تحرك الثورة وتفعّل المعركة، و اذا ما اهل قائد الثورة هذه الناحية، لا يمكن اعتباره طالب حكمٍ وقلب نظام.

ولو أنّ هذا القائد نفسه، اعلن لجنده بمصيره ومصيرهم المأساوي و انتهاء حركته بقتلهم، فان ذلك سيؤدي بلا شك الى تفرّق انصاره عنه، ولو فرضنا ان هذا القائد، اجاز و سمح لانصاره بالتفرق عنه و حلّ بيعتهم و اذن لهم بل و لاهله بالانصراف و بين لهم الطريق الآمن لابتعادهم عن مخاطر العدو، فذلك سيدفع كل احتمالات رغبة هذا القائد و طمعه بالملك و السلطة تماماً.

و الحسين عليه السلام و من حين خروجه من المدينة الى مكة و منها الى العراق كان يخبر من معه من انصاره و اهله بانه مقتول مستشهد و يكشف لهم ما سيصّبهم من الاذى و المصائب، كما في خطبة له في مكة قبل خروجه للعراق و في الطريق الى

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٨٩. الكامل ج ٣ ص ٢٧٦. نور الابصار ص ١١٦. و لا يخفى ان عبد الله بن الزبير كان مثمّ النصيحة للحسين عليه السلام اذ لم يكن شيء أثقل عليه من مكان الحسين عليه السلام بالحجاز... و لا أحبّ اليه من خروجه الى العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز لان ذلك لا يتم له إلا بعد خروج الحسين عليه السلام منها (أبو الشهداء ص ١٠٠. بطله كربلاء ص ٩٣. و مصادر اخرى).

العراق.

وعندما وصل ركب الحسين عليه السلام الى منطقة ذي حسم خطب فيهم قائلاً:
 «أما بعدُ أَنَّهُ قد نَزَلَ ما قَد تَرَوْنَ، وإِنَّ الدُّنْيَا قَد تَغَيَّرَتْ، وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ
 مَعْرُوفُهَا، وَاسْتَمَرَّتْ جِدًّا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صِابَةٌ كَصِابَةِ الْإِنَاءِ وَخَسِيسُ عَيْشٍ
 كَالْمَرْعَى الْوَيْلِ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَتَنَاهَى عَنْهُ لِيَرْغَبَ
 الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا
 بَرَمًا» (١)

قالوا لو كانت الدنيا باقية لا اخترنا الشهادة عليها ودينناك باروا حنا حتى لو
 قطعونا أرباً أرباً اننا سلم لمن سالمك و حرب لمن حاربك ولقد منّ الله علينا بك يا بن
 رسول الله. (٢)

وعندما وصل الحسين عليه السلام الى ارض كربلاء، دَهَمَ على مصارعهم، ولما
 وصل الى منطقة الزبالة، أخبرهم عن مقتل مسلم بن عقيل و عبد الله بن يقطر و
 قال: «قَدْ خَذَلْنَا شِيعَتَنَا فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْإِنصِرَافَ فَلْيَنْصِرِفْ لَيْسَ عَلَيْهِ مَتَا ذِمَامٌ»
 وحينئذٍ، تفرق أولئك الذين اتبعوه على العافية، و الطامعين في الغنم، و بقي
 معه ثلثة أخلصت لله و النبي و اهل بيته. (٣)

وفي ليلة العاشر من المحرم، وكان اصحاب الحسين عليه السلام بين ساجد و راکع و

(١) القمقام الزخار ص ٣٥٣، و كتب اخرى باختلاف طفيف في الالفاظ، كذخائر العقبي
 ص ١٥٠. الاتحاف ص ٢٥. درر السمطين ص ٣١٦. حلية الاولياء ج ٢ ص ٣٩. الحسن و
 الحسين سبطا رسول الله ص ١٦٠.

(٢) القمقام الزخار ص ٣٥٤.

(٣) ابصار العين ص ٤٨. بطة كربلاء ص ١٠٤. الكامل ج ٣ ص ٢٧٨.

ذاكر و تالٍ للقرآن، جاءهم سيدهم و خطب فيهم قائلاً:

« أثنى على الله احسن الثناء، و أحمدُه على السراءِ، و الضراءِ. اللهم إني أحمدك على أن أكرمنا بالنبوة و علمتنا القرآن، و فقّهتنا في الدين، و جعلت لنا أسماً و أبصاراً و أفئدةً فاجعلنا من الشاكرين. أما بعدُ فإني لأعلم أصحاباً أوفى و لا خيراً من أصحابي، و لا اهل بيتٍ أبرّ و لا أوصل من اهل بيتي، فجزاكم الله خيراً فقد أبررتم و عاونتم، ألا و إنه لأظنُّ أن لنا يوماً من هؤلاء. ألا و إني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم مني ذمام، و هذا الليلُ قد غشيكم فاتخذوه جملاً، و دعوني و هؤلاء القوم، فإنهم ليس يريدون غيري. »^(١)

و ما كان من اولاد الحسين عليه السلام و اخوته و ذوو الوفاء من اصحابه الا ان شهبوا سيوفهم و اعلنوا تجديد بيعتهم و الوفاء و النصيحة فبقيت كلماتهم دروساً للأوفياء و الأصفياء و الاولياء ما بقيت الأرض و السماء.

و تركهم الحسين عليه السلام لعبادتهم و اذكارهم و تهجدهم و عاد الى خيمته ليهتم بالامور المستقبلية و توصياته الى أهله.^(٢)

و هكذا وجدنا الإمام الحسين عليه السلام و الى حد ليلة العاشر من المحرم، يُعلم اصحابه و أهل بيته بمصيرهم، و لم يُمنّيهم بالنصر و الغنيمة و الفتح المادي و المناصب

(١) ابصار العين ص ٩. القمقام ص ٣٨٢. ابو الشهداء ص ١٥٦. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ١٢٠. الطبري ج ٤ ص ٢١٧. بطله كربلاء ص ١١٣.

(٢) ابصار العين ص ٩. القمقام الزخار ص ٣٨٣. ابو الشهداء ص ١٥٧. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ١٢١-١٢٢. و الانصاف ان الحسين عليه السلام و أهله قد انجزوا ذلك الوفاء و وفوا بذلك العهد يوم عاشوراء، و اثبتوا خلوصهم و ثباتهم حتى شهد لهم العدو قبل الصديق باستقامتهم و شجاعتهم و محبتهم لاهل بيت النبي الاكرم ﷺ بما يحير العقول و يدهش القلوب.

الحكومية، ولم يكن دافعه الى النهضة إلا امتثال الامر الالهي، والتكليف الشرعي. ومن ثم، فمن الخطأ والاجحاف، تعليل نهضة الحسين عليه السلام بالدوافع السياسية أو الخلافات العائلية بين بني امية وبني هاشم، على الرغم من وجود تلك المفارقات الاخلاقية والتباينات الروحية والتنافر الفكري بين العائلتين. ومن جملة دوافع يزيد الى تشديد شراسته ووحشيته على الحسين عليه السلام وآله وعياله، هو ذلك الحقد الدفين الذي اكتنزه قلبه ضد بني هاشم عامة وآل علي خاصة، ذلك الحقد المشفوع بخسّة الطباع عنده و التربية الفاسدة والبيئة المنحرفة التي ترعرع فيها.

و اما ثورة الحسين عليه السلام فهي اسمى من ان تتأثر بتلك الخلافات الخاصة، بالضبط كدعوة النبي صلى الله عليه وآله التي لم تتأثر بمثل هذه الخلافات العائلية، فإمكن ان يقال وهو الحق: إن ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة المبادئ والقيم وانها مأمورية ومهمّة الهية أكلت اليه وقد قام بامتثالها على احسن وجوه الامتثال واكملها وأتمّها.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ.»^(١)

ورد في بعض المصادر التاريخية المعتبرة، أن الحسين عليه السلام ترك وصية لأخيه من أبيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن ابي طالب الى

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً ﷺ عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين. وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيتني إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.»^(١)

وهذه الوصية تعدُّ كلمة التوحيد، مشتملة على نفي وإثبات. أما جهة النفي، فصحيح أن أحداً من الناس لا يهتم في حق الحسين عليه السلام أن يقصد بحركته ونسبته الفساد والتجاوز والظلم، أو الامتناع عن قبول الحق، إذ لا يوجد أي حق متصور ليزيد، فلم يكن الحسين عليه السلام نكرة في المجتمع لا يعرفه الناس أو لا يعرفون سلامة نفسه وطهارة ضميره وشفافية وجدانه، فهو الذي نزلت في حقه وحق أخيه وأمه وأبيه، آية التطهير من كل رجس، وقد بيّنت عصمته من خلال حديث الثقلين المشهور، ولكنه قال تلك الكلمات ليبتل ويجهض محاولات الظلمة والفاستدين و سياسة الحكم الأموي واجهزته الإعلامية، في اتهامه بالخروج من أجل السلطان، سعياً منهم في اضلال عوام الناس وبسطائهم، فقال:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً»

(١) نفس المضمون ف ٩ ص ٣٨. سمّو المعنى ص ١١٢. و جملة «السلام عليك» إلى آخر الوصية نقلناها من مقتل الخوارزمي ص ١٨٩.

و اما جهة الاثبات في كلامه ، فهو قوله :

« إِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي مُحَمَّدٌ ﷺ أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ

أَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُسِيرُ بِسِيرَةِ جَدِّي وَ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ »

فالحسين عليه السلام يلخص في هذه الجملة ، دواعي ثورته بآربع امور :

١- اصلاح الامة .

٢- الامر بالمعروف .

٣- النهي عن المنكر .

٤- اقتفاء أثر جده رسول الله ﷺ و أبيه أمير المؤمنين عليه السلام .

انَّ من اهم الفرائض و الواجبات الاسلامية هو الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و اهميتها العقلية غير خافية ، و جاءت الاوامر الشرعية تأكيداً لتلك الاهداف .

و هذا الحكم الشرعي نموذج للاحكام الاسلامية الرفيعة و الذي يعطي الحق لكل مسلم ان يطالب الجميع باجراء و تنفيذ الاحكام الشرعية ، و ان يواجه المتمردين على تطبيقها ، و ان يكون المسلمون جميعاً ناظرين على اجراء القانون الاسلامي و الحدود و الاحكام . و في الحقيقة ان هذا الحكم هو ضمانة قوية لتطبيق الإسلام ، و لذا فان عزّة المسلمين و كرامتهم مرتبطة بامتثال هذا الواجب ، كما ان ذلهم و مهانتهم مرتبط بترك العمل به .

و لقد كان المسلمون في صدر الإسلام يعتبرون الاهتمام بهذا الحكم ، سنداً و قوة لحفظ حقوقهم و الحدّ من الظلم و التعدي عليها ، فكم من مؤمن مستضعف وقف بوجه الولاة و الحكام يامرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر بكل صراحة و جرأة ، منتقداً تصرفاتهم اللامشروعة ، و ما اكثر الولاة و الحكام الذين استجابوا لنصائح

عامة المسلمين واعتذروا عن سوء تصرفاتهم وحاولوا اصلاح الامور .
 وبعد رحيل النبي الاكرم عليه السلام الى الملأ الأعلى، وعلى الرغم من ان الخلافة قد
 انحرفت عن مسارها المستقيم، ولكن الولاة كانوا يحافظون على العمل بسائر
 الاحكام الاسلامية، لقرهم من زمن النبي عليه السلام وكان الاطار العام للحكم الاسلامي
 محفوظاً رغم بعض المخروقات هنا وهناك، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ساري المفعول، يحفظ المسلمون بحقهم وحريتهم في ابداء تحفظاتهم على تصرفات
 الحكام والمسؤولين ونظارتهم على تطبيق القوانين والشرعية من قبل اجهزة الحكم
 ولم يتعرض احدٌ على الأمرين بالمعروف والناهي عن المنكر حتى تولى الحكم
 عثمان بن عفان حيث تبدل شكل الحكم والاطار العام للنظام الاسلامي شيئاً فشيئاً
 وخرج عن شكله الاسلامي وأخذ طابع الملوكية والسلطنة، وكان معاوية بن ابي
 سفيان اليد الطولى في هذا التغيير وابتداع هذا النمط الجديد من الحكم وكانت بداية
 انحراف معاوية تعود الى زمن الخليفة عمر بن الخطاب الى درجة اعتراض الأخير
 عليه بمظهره ومظهر حاشيته وقصوره وغلمايه وجواريه . ثم تبع معاوية سائر بني
 امية فنهجوا منهج الكسروية والقيصرية في ادارة الحكم، فكانوا يعتبرون أنفسهم و
 من أحاط بهم من أقاربهم وحاشيتهم، اعلی من مستوى سائر المسلمين، فضعت
 الاخوة والمساواة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من معاقبة
 اجهزة الحكم الاموي!!

و لو أن حكومة بني أمية كانت حكومة سليمة نزيهة، لما اضرب بها الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم تتعقب المنتقدين الناصحين بالأذى والاعتقال و
 التشريد والتنكيل، لكنها لم تكن كذلك، بل كانت مبتنية على الظلم والجور و
 الترهيب وإهانة المجتمع وقمع الحريات وهتك المقدسات، ومثل هذه الحكومة

تخاف دون شك من تطبيق فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
 و من هنا حاول حكام بني أمية طمس معالم هذه الفريضة ، فسلبوا هذا الحق
 من المسلمين ، و طاردوا و تتبعوا اخبار كل من يتصدى للاعتراض على مخالفة
 الدولة لاحكام الشرع و القوانين الاسلامية و صادروا امواله و شرّدوه و سجنوه ،
 أو هدروا دمه كما فعلَ بعبد الرحمن بن حسان العنزي ، الذي دَفَنَه زياد بن أبيه حيّاً
 بأمر معاوية!! و الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري الذي طرده معاوية من الشام لانه
 اعترض على تصرفاته اللااسلامية فارجه الى المدينة المنورة بعد أن كان عثمان قد
 نفاه منها الى الشام ، كل ذلك لان أباذر كان يطبق الأمر بالمعروف و النهي عن
 المنكر!!

و لعلّ اول من وقف بوجه هذه الفريضة و حاول قتلها و دفنها ، هو عثمان بن
 عفان ، الذي لم يُعرِ اذنّاً صاغيةً لنصائح كبار صحابة رسول الله ﷺ له ، و انتقادات
 سائر المسلمين لولاته و مسؤولي اجهزة حكمه ، فتصرف عثمان و كانه في وادٍ و الامة
 الاسلامية في وادٍ آخر ، حاله حال سائر الملوك و السلاطين . و لو ان عثمان بن
 عفان ، كان قد اعار اهتماماً لتذكير و نصائح الصحابة في خصوص فساد عمّاله و
 خيانتهم و ظلمهم و تظاهرهم بالفسق ، و لم يُسرف في اموال المسلمين ، لبقيت
 الخلافة على استحكامها و قوّتها و لم تظهر تلك الفتن و الانقلابات التي توالى و
 توالى حتى غيّرت منهج الحكومة الاسلامية .

و لقد كان ما حصل من ثورة على عثمان ، و قتله ، نتيجةً طبيعيةً لعدم إهتمامه
 بهذه الفريضة الالهية ، و سلبه لحرّيات المسلمين في التعبير عن رأيهم و اسداء
 نصائحهم و القيام بواجبهم الديني و الوطني ، فنَفَذَ صبر الناس و ضاقوا ذرعاً
 بحاشيته و فسادهم ، و سكوتهم عن المظالم و لم يبق لهم إلاّ الثورة عليه و قتله .

و بعد عثمان، و عندما ولي أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة، حاول احياء هذه الفريضة بشقّ الوسائل، و كان هو بنفسه أوّل الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، فكان يدور في الاسواق و التجمعات و ينصح الناس و يحذرهم من مخالفة الشرع، فاعاد الى الأذهان صورة حكم النبي صلى الله عليه و آله، و لكن بسبب قصر مدة حكمه و انشغاله بثلاث حروب طاحنة من جهة، و وجود تلامذة مدرسة بني أمية و بقايا حكومة عثمان من جهة اخرى، منع من إعادة الامور الى نصابها و ارجاع المياه الى مجاريها.

و بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وقف ازام حكومة معاوية موقفاً شديداً من الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، حتى وصل الأمر الى ان احداً لم يُعدّ يتجرأ ان يُبدي ايّ رأي تجاه الحكم و مخالفات اجهزة الدولة، إلا من جازف بنفسه و استعدّ لدخول السجون المظلمة و معتقلات زياد و بقية الولاة.

و نعتقد إنّ اكبر سدّ كسره بنو أمية هو هذه الفريضة الالهية، و إنّ اكبر خطر كان يُهدد العالم الاسلامي في ذلك اليوم و في كل عصر و زمان هو اهمال هذه الفريضة الالهية الخطيرة، و منع الناس من اجراءها.

لقد استطاع بنو أمية و من خلال القمع و الارهاب الفكري، أن يتلاعبوا بكل المقدسات و الاحكام الاسلامية، و ان يرتكبوا ما يحلو لهم من المخالفات و الجرائم، و بهذا الاسلوب استطاعوا أن يوسعوا من حكمهم الاستبدادي الذي غطّت غيومه كل المجتمع الاسلامي، و قد استغلّ موظفوا الدولة مناصبهم و مراكزهم و حملوا الناس ما لا يطيقون، و لم يكن ليتجرأ احدٌ على فتح فمه للاعتراض، و قد وصل الأمر بالمجتمع حتى صار الأمر بالمنكر و النهي عن المعروف رائجاً، و عاد المنكر معروفاً و المعروف منكراً!!

ولقد قتل بنو أمية حجر بن عدي ورشيد الهجري وعمرو بن الحمق الخزاعي وميثم التمار وآخرين، بابشع طرق القتل بجرم حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولقد وصل خوف الناس وتركهم للامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى درجة ان كبار الصحابة لم يتجرأوا - بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام - ان ينكروا على الدولة أو احد صغار موظفيها، منكرًا ارتكبه أو معروفًا تركه!! خوفاً من السيوف والرماح والسجون التي كانت تتهددهم.

وسببت الامة الاسلامية في مستنقع الخنوع والذلة والارعاب والوعيد بالقتل والمحبس.

وتحت وطأة السيوف التي كانت تقطر دم آلاف الابرياء، أعدّ معاوية طبخة البيعة لابنه يزيد، وأصدر أوامره لجلاوزته وجلّاديه أن يبادروا بضرب أعناق كل المخالفين لهذه البيعة، وبدأ بالمدينة المنورة التي يكثر فيها كبار الصحابة وأهل الحل والعقد وأعلن رغبته في أخذ البيعة منهم ليزيد، ثمّ اشاع في الاقطار بان الصحابة وافقوا على ذلك وانهم بايعوا يزيد بن معاوية، كذباً منه وحيلة وخداعاً.

ومن العسر أن نوضح تفاصيل مأساة ابتلاء المسلمين وما لحق بهم جرّاء تركهم فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم مناصرتهم لأمثال أبي ذر الغفاري والمقداد والحجر بن عدي وعمّار ابن ياسر.

وأي منكر أعظم من سب أمير المؤمنين عليه السلام من على المنابر التي لم تكن لتشيّد لولا همة عليّ وجهاده و قتاله ودفاعه عن النبي ﷺ؟

عليّ الذي هو بمنزلة نفس رسول الله ﷺ وابن عمّه وصهره ووصيه وأول مجاهد وحامٍ عن الإسلام، وأعلم وأزهد وأتقى وأعدل وأورع وأعبد أهل

الإسلام بعد النبي ﷺ ؟

وأي منكر أكبر من إباحة مدينة الرسول لجيش الشام ثلاثة أيام بامرٍ من يزيد، يقتلون وينهبون ويهتكون الحرمات وتغتصب النساء العفيفات ويُقهر كبار صحابة رسول الله ﷺ؟!

نعم، هذه نتيجة حتمية لترك الأمة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر و تسليمها مقاليد أمورها لامثال معاوية و يزيد، و بيعها دينها بدنيا غيرها، و لا يتوقع غير ابتلاءها بحكم بني أمية، فيقتل الصالحاء و العلماء و المصلحون أو يُسجنوا، و تصرف أموال بيت مال المسلمين في الملذات و حفلات الرقص و الطرب و المجون، و يُتجاوز على أعراض الناس و نواemisهم، و تعطل الحدود و الاحكام، و تحقّر الشعائر الاسلامية، و يرسل الوليد بجاريتته الجنب لتصلي بالناس الجمعة و الجماعة!! و والي الكوفة يصلي بالناس الصبح سكران و يتقيأ الخمرة في المحراب، و ينتشر الزنا و الطرب بين الناس و الكل خانع!!

و كل هذه المفاصد تتصل بمركز الحكومة و تنتهي الى شخص واحد يحكم الناس باسم خليفة المسلمين و امامهم، و قد أمسك بزمام امور المسلمين و منع الحريات و كتم الانفاس و أضاع الدين و هضم حقوق المسلمين.

و ليس من قصدنا هنا شرح مفاصد بني أمية و نقدها و انما قصدنا أن بني أمية عرفوا أن تحقيق مآربهم و سلطانهم و بسط نفوذهم و حرفهم للثوابت الاسلامية، و محوهم آثار الإسلام الحقيقي الاصيل، لا يتسنى لهم إلا اذا قضاوا على هذه الفريضة الالهية المهمة. فمن الواضح، إن هذه الفريضة لو كانت متروكة، لفُسح المجال للنظم اللامشروعة و الحكومات الغاصبة ان تفعل ما يحلو لها بلا تردد و لا وجلٍ من عواقب الامور، فتجبر الأمة الى الويلات، يساعدوا في ذلك المتملقون و المتزلفون و

وعاظ السلاطين و من غرَّتهم الدنيا فباعوا دينهم و ضائروهم بثمان بخس ،
فيمدحون الظلمة و يشنون عليهم في المحافل و المجمع و المنابر و يصفونهم بأنهم
المصلحون الاولياء الاوفياء لمصالح المسلمين العامة .

و كان الحسين عليه السلام ناظرًا لكل تلك الانحرافات ، شاهدًا على كل ذلك
الاضطراب الاجتماعي و السياسي و الفكري للمسلمين ، فضافاً الى وظيفته كفرد
مسلم في الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فكذلك كان عليه أن ينطلق من موقعه
القيادي و مقامه المعروف عند عامة المسلمين ، فكان تكليفه اشقَّ و وظيفة أدق اذ
كانت الانظار متوجهة اليه و منشدة نحوه باعتباره القائد المعنوي و الروحي للاسلام
و المسلمين ، اذ كان الناس يتوقعون منه عدم السكوت و إلا صار سكوته حجة و
عذرًا لسائر المسلمين ، فالحسين عليه السلام هو الاعرف بالاحوال و الاوضاع ، فن اولى
منه اذن في التصدي و المواجهة ؟

لقد رأى الحسين عليه السلام أنَّ من واجبه و تكليفه الالهي أن ينهى عن المنكر و أن
يوقظ ضمير الامة الاسلامية من سباته و أن يقصم ظهر الحكم الاموي بتضحيته هو
و اهل بيته واصحابه .

و تحسَّس الحسين لهذه المسؤولية كان واضحاً في خطبه و كلماته ، مثل ما نقله
ابو مخنف عن عقبة بن ابي عيزار من خطبة للإمام الحسين عليه السلام في صحبه و عسكر
الحر بن يزيد الرياحي في البيضة^(١) و جاء فيها :

« أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال : مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ

(١) منزل في الطريق الى كربلاء ، نزل به الحسين عليه السلام للاستراحة ، فخطب اصحابه و اصحاب
الحر بن يزيد الرياحي .

ناكثاً بعهد الله، مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيَّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكَوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْبَقِيَّةِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَّمُوا حَلَالَهَ وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ...»^(١)

فان قيل :

إنَّ شرائط الأمر بالمعروف لم تكن متحققة في زمن الحسين عليه السلام فان من جملة شرائطها احتمال التأثير، ولم يكن حكم بني أمية وخصوصاً يزيد بن معاوية قابلاً للتأثر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما إنَّ من شرائط هذه الفريضة هو عدم تضرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الشرط غير متحقق أيضاً في ذلك الظرف.

قلنا :

١- اننا نفهم شرائط الاحكام الشرعية ونتعلمها ونتعرف على خصوصياتها من الحسين عليه السلام، وخير دليل على مشروعية العمل هو قيام الحسين عليه السلام به، وبعبارة اخرى: إنَّ سلوك الحسين عليه السلام وفعله هو من أدلة الاحكام الشرعية.

ففرض دلالة الدليل على اشتراط الامر بالمعروف باحتال التأثير أو الأمن من الضرر وانه يشمل بعمومه أو اطلاقه لهذا المورد، حتى لو كان صحيحاً، لكنه يقيّد بفعل الحسين عليه السلام فيكون إقدام الحسين عليه السلام ونهضته مخصّصاً أو مقيّداً لذلك

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤. الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٨٠. القمقام الزخار ص ٣٥٣. و من أراد التعرف على المزيد من اهمية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومذمة تركهما من وجهة نظر الإمام الحسين عليه السلام فليراجع خطب الإمام عليه السلام والتي نقلها الحسن بن علي بن شعبة البحراني (قدس سره) في كتابه «تحف العقول» ص ١٧٠-١٦٨ طبعة النجف.

الدليل العام، ويدل على 'عدم مدخلية هاذين الشرطين في وجوب الفريضة، فكان يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لو لم يكن مؤثراً أو احتمال وجود الضرر فيه.

٢- إنَّ اشتراط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأمن من الضرر ليس مسلماً في كل الموارد، بل يمكن القول إنَّ الثابت شرعاً هو عدم الاشتراط في بعض الموارد، ولا بد من الموازنة بين المصالح الموجودة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين مقدار الضرر الداخل منها، فان كانت المصلحة أهم ويجب استيفاؤها شرعاً مثل احياء الدين، لزم تحمل الضرر ولم يجز ترك الامر بالمعروف أبداً.

وبيان آخر: فرق بين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الشخصي وعند بعض الافراد كالمعاصي الشخصية والذنوب وبين النهي عن المنكر العام الذي يلزم منه دروس الدين وامانة الشريعة وتعطيل الاحكام كلها، وهتك المقدسات والشعائر الاسلامية، فترك النهي عن هذه المنكرات يؤدي الى خسارة كبيرة و مصائب وويلات على المجتمع الاسلامي ويقوّي شوكة الكفّار وتسلطهم على المسلمين، كما في عصر يزيد بن معاوية حيث كان خطر الانحراف الكامل للدين و تغيير الهوية الاسلامية للمجتمع، يهدد العالم الاسلامي أجمع، فالمؤشرات كانت تدل على 'قرب زوال الدين إلا اسمه والإسلام إلا رسمه.

ففي الصورة الأولى 'النهي عن المنكر الفردي - يكون الاشتراط صحيحاً و سليماً، وأمّا في الصورة الثانية فلا يصح ذلك الاشتراط، بل لا بد من النهوض باعباء المسؤولية الدينية ونصرة الدين ودفع الخطر المتوجه الى الإسلام والمسلمين حتى لو استلزم ذلك التضحية بالمال والنفس.

٣- إنَّ احتمال التأثير على 'قسمين: فتارة يكون النهي عن المنكر في خصوص

فردٍ في حالة ارتكاب المعصية، فاذا لم نَحْتَمِل التأثير لم يجب نهيه عن تلك المعصية، و تارة نهى عن المنكر ولا نَحْتَمِل تأثيره في نفس الوقت، لكننا نقطع بتأثيره في المستقبل، ففي هذه الحالة لا يسقط وجوب النهي عن المنكر فهو بقوة احتمال التأثير الفعلي ولا فرق بينهما. كما لو احتملنا إنَّ تصدينا لفضح ومحاربة الفرق الضالة و المؤسسات الفاسدة و نشر معاييرها وانحرافاتِها على الناس سيؤدي في المستقبل الى توعية الناس شيئاً فشيئاً ثم كساد تلك المؤسسات وإفلاسها وإندثارها، أو التقليل من تأثيرها في المجتمع أو على الأقل يؤدي الى الحد من اتساع رقعة نشاطاتها و اضلالها، أو تحصين الناس من الانخداع بافكارها و برامجها، ففي هذه الصورة يكفي احتمال التأثير المستقبلي في عدم سقوط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنَّ اكثر الشعوب و الامم في العالم المعاصر، انما استطاعت أن تفك قيود أسرها و أن تنال حرياتِها واستقلالها، بواسطة اختيارها لهذا الطريق، طريق التضحية و الفداء و تحمل الصعاب و الضغوط، و عن طريق توعية الناس بانحرافات الأعداء و فضح مكائدهم و زلزلة أسس مناهجهم و زعزعة اركان نفوذهم و من ثمَّ افشال مخططات العدو و دحره، و كم من دماءٍ أريقت في سبيل نيل هذه الحريات والاستقلال، كانت المحرك الاساسي لنهضة المجتمع و ثورته و اسقاط الانظمة المستبدة، حتى لو كانت تلك النتائج تظهر متأخرة عن وقت الانتفاضات و الحركات التحررية، فالغرض و الهدف هو التغيير و الاصلاح و الخلاص، لا الرئاسة و الحكم و السلطة.

وهكذا أولياء الله، فانهم يجاهدون من أجل أهداف سامية و مبادئ انسانية رفيعة، مع علمهم بأنَّ أعداء الله سيصّبون جام غضبهم على رؤوس المجاهدين و يقتلونهم و يشردونهم و ينهبون أموالهم و يرفعون رؤوسهم على رؤوس الرماح،

لكن ذلك لم يؤخرهم عن التضحية والفداء والتحمل والصبر والجهاد في سبيل الإسلام، ليكون جهادهم وتضحياتهم مناراً يهتدي به الناس لتغيير مسيرة التاريخ. وكذا كان الحسين عليه السلام، فقد رأى أنَّ الاخطار تهددُ أحكام القرآن والإسلام وإنَّ مستقبلًا مظلمًا ينتظر الأمة الإسلامية، وإنَّ شمس الإسلام النيرة باتت قريبة من الافول، وإنَّ الجاهلية نفضت تراها لتعود الى مرافئ الحياة وإنَّ الخلافة الرشيدة لبست ثوب الكسروية والقيصرية، ومع هذا كله لم يكن من الحسين عليه السلام أن يسكت بمجرد احتمال الضرر أو حتى القطع به، ويجلس مجلس داره يذرف الدموع على الإسلام ويقرأ فاتحة الدين وينصب العزاء على الشريعة.

إنَّ الحسين عليه السلام كان على يقين واحاطة تامة بالمخاطر المحدقة بالدين، ومن ثم وجدناه من أول ساعة وعندما عرض عليه مروان بن الحكم بيعة يزيد فينعم - بزعم مروان - بحياة هادئة محترمة، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ أَذْ قَدْ بُلِّغَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ

يَزِيدٍ»

لقد كان على الحسين عليه السلام وفي مثل تلك الظروف وهو يرى تلك المنكرات، أن يهبط هبة كاملة قوية للدفاع عن الإسلام، وأن يحفظ ثغوره وحصونه حتى لو آل الامر الى قتله وقتل اولاده واخوته واصحابه، وحتى لو استلزم تحمل أسر اخواته ونسائه وذبح الرضع من اطفاله في حجره، لان الحسين عليه السلام كان يرجح بقاء الإسلام واحكامه على بقاء نفسه بين جنبيه، ولذا قام بذلك الفداء الجبار.

هذا، وإنَّ احتمال التأثير كان موجوداً، بل ان الحسين عليه السلام كان متيقناً من تحقق التأثير، وأي تأثير اكبر من حفظ استمرارية ودوام الإسلام وإنَّ نهضته ستؤدي الى ضمان بقاء الدين، فالحسين عليه السلام كان يعلم إنَّ بني امية اذا قتلوه - وهو سبط النبي

ومحور تحقق الآمال الروحية عند الناس، وأشرف وأعزَّ الخلق وأحبَّهم على قلوب المسلمين - فان قدرتهم ستتلاشى وإن مخططاتهم ستفتضح، وإن سيلاً عارماً من الغضب والنفرة والانتقاد سيسلب منهم القدرة على محاربة الشعائر وإماتة الدين وإعادة الجاهلية، وإنَّ عليهم أن ينتقلوا من مواقع الهجوم إلى مواقع الدفاع ليتمكنوا من المحافظة على سلطانهم لأيام معدودة.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم تماماً إنَّ استشهاده وأسر بنات الوحي وعقائل النبوة سيكشف القناع المزيف للحكام بني أمية ويفضح عداءهم للإسلام وللنبي وآل النبي ﷺ، مما يؤدي إلى تثبيت جذور الإسلام والايان في قلوب الناس وإنَّ مصرعه ومصرع اصحاب الوفي من انصاره سيهرِّض الامّة ويحيي فيها حسَّ التمرد على الامويين، وانه سيوقظ الجميع من رقدتهم وسباتهم.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم جيداً انه اذا قُتِل وسببت عياله وذبح رضيعه على صدره، ورفع رأسه فوق القناة، فان المسلمين سيكتشفون إنَّ منهج بني امية منهج معادٍ للإسلام، وانهم اقرب الى الجاهلية، ومن الواضح ان انكشاف هذه الحقيقة سيؤدي الى زوال هذا الحكم وإن استطاع البقاء لمدة قصيرة يعالج الزوال والاضمحلال، عاجزاً عن تغيير هوية المجتمع الاسلامية واضلال المسلمين.

لقد هزّت فاجعة كربلاء العالم الإسلامي أجمع، فكان يوماً كيوم رسول الله ﷺ واثارت احساس الغضب على بني امية عند عامة المسلمين، وبدأت الثورات والحركات تتراصدٌ حكم بني امية حتى سقطت تلك الحكومة التي كانت تروّج للشرك والكفر باسم الإسلام والدين، فكانت دماء اهل البيت الطاهرة هي ثمن نجاة الإسلام وإعادة روحه الى بدنه وهويته الى معتنقيه.

اذن، فما قام به الحسين عليه السلام من امر بالمعروف ونهي عن المنكر كان منسجماً

مع القواعد الشرعية ، بل كان ضرورياً و واجباً ، ولقد فدا الحسين عليه السلام الدين بنفسه و ولده و اخوته و خير اهل الارض جميعاً ، و تحمل كل البلايا و الرزايا التي هاجمته من كل ناحية من اجل الاهداف السامية .

فقد كان الحسين عليه السلام يرى بعينيه الرحيمتين ، اطفاله الرضع يتلظون عطشاً و يذبحون بسهام الغدر المسمومة ، ولكنه لم يهن و لم يضعف قدر اغلة في طلب الحق . و تاريخ الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و مقارعة الظلم و الكفر ، لم يرو لنا قصة رجل شابه الحسين عليه السلام في تضحياته و فدائه و وقف هو و عياله و اطفاله و قد احاط به جيش جراز آثم من كل جانب و جهة و شاهد ذبح اطفاله و موتهم عطشاً و شاهد سربناته و اخواته و نسائه ، و كان جسده الشريف يشخب دماً و قد اصيب باكثر من سبعين ضربة سيف و طعنة رمح و نبل ، و مع كل ذلك بقي محافظاً على رباطة جأشه معتزاً بكرامته و فتياً لمبادئه و دينه انه الحسين عليه السلام المنفرد في قوة قلبه و شجاعته و صموده في طريق الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و الحسين عليه السلام فريد العصور في ملحمة التي سطرها يوم عاشوراء و نجح في كل الامتحانات و الابتلاءات و حاز على الرتبة الأعلى من بين سائر طلاب الحق و الحقيقة .

فأي شجاع و أي مقدام يصبر ساعة الوغى مع ما به من جراح و عطش على تلك المصائب التي حلت بساحة الحسين عليه السلام ؟ انه الحسين فقط الذي يثبت على امثال التكليف الالهي الشاق بالامر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و لم يعتذر بعذر و لم يتمللم بحجة فكان مصداق الحديث النبوي المشهور :

« سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ عَمِّي حَمَزَةٌ وَ رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَ نَهَاهُ فَقَتَلَهُ »

٣- دواعي الثورة من لسان قائدها

« ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسطِ والدائن بدين الحقِّ و

الحابسِ نفسه على ذاتِ الله » الإمام الحسين عليه السلام

عندما حضر الحسين عليه السلام الى دار الإمارة بعد أن دعاه الوليد وهو والي المدينة ونعى له معاوية فاسترجع، وقرأ له كتاب يزيد في أخذ البيعة، فقال الحسين عليه السلام « إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتى أبايعه جهراً فيعلم الناس ذلك . »

قال الوليد: أجل .

فقال الحسين عليه السلام « تصبح وترى رأيك في ذلك » فقال الوليد : انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال مروان للوليد : والله لأن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابداً ولكن أحبس الرجل لا يخرج حتى يبايع أو تضرب عنقه . فقال الحسين عليه السلام لمروان ويحك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي أم هو كذبت الله ولؤمت، ثم التفت الى الوليد وقال « يا أمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينأحق بالبيعة والخلافة . »

وإن قوة العارضة في الحق تفعل في النفوس فعل السحر وتصف بالجلامد والصخور، فتبدل منها حتى تجعلها كالكتيب المهيل . وكلمة الحق الصارخة لا بد أن تجد لها في أذن الباطل وقعاً، وأن تترك فيه دويّاً، إما أن يصمّها وإما أن يصلح منها . وكذلك فعلت كلمة الإمام ذلك الدوي الذي كان رجعه صلاحاً وتأنيب

ضمير في أذن الوليد، وصمأ عتواً في أذن مروان. وسمع إلى المراجعة التي دارت بينهما بعد خروج الحسين عليه السلام.

قال مروان للوليد: عصيتني! لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً. وكان أشار عليه بقتله إن امتنع.

فقال الوليد: ويحك، إنك أشرت عليّ بذهاب ديني ودياري، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها، وإني قتلت حسيناً سبحانه الله أقتل حسيناً لما أن قال لا أباع؟

والله ما أظنُّ أحداً يلقى الله بدم الحسين عليه السلام إلا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزيكه وله عذاب اليم. (١)

إنَّ هذه الصفحة من تاريخ الحسين عليه السلام مهمة وحساسة في توضيح وكشف دواعي الثورة و إباء الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد، إذ إنه عدد جملة من الأمور يكفي واحد منها للامتناع والتخلف عن تلك البيعة وعلى وجوب الانتفاض والثورة. فلا يشكُّ أحدٌ في دلالة تلك الأسباب التي استند إليها الحسين على مشروعية الثورة و حرمة البيعة، فالكل يقبل تلك الحروقات اليزيدية كبرى وصغرى، وحتى الوليد بن عقبة مع أنه ابن عم يزيد وواليه، فلم يتحرج من تصديق الحسين عليه السلام، و ما كان منه إلا أن يستسلم لمنطق الحسين عليه السلام وصحة استدلاله واحتجاجه، بلا أي ردٍّ أو إنكار.

ولا ريب إنَّ أفضل من يقدر على بيان علل و دوافع ثورة الحسين عليه السلام هو الحسين عليه السلام نفسه، إذ لا يختلف اثنان في صدق لهجة الحسين عليه السلام ولا في اضطراره

(١) سمو المعنى ص ١١٤-١١٣. مقتل الخواري ص ١٨٤ ف ٩ و مصادر أخرى.

بحقائق الامور و مجريات الاحداث السياسية في العالم الاسلامي، و لا في معرفته بمخططات بني امية و يزيد و عماله، فما يقوله الحسين عليه السلام في هذا المضمار هو عين الحقيقة و كمالها و اوثق مصدر و مرجع يمكن الاستناد اليه في الوقوف على خصوصيات نهضته و دوافعها.

و ما دام الكلام صادقا و مطابقا للواقع، نفذ الى النفوس و قبلته القلوب و اهتزت له المشاعر، و لذا فقد اثر كلام الحسين عليه السلام حتى في قلوب اهل الباطل فرأيناهم يقرّون بذلك احيانا و إن سكتوا عن الإنحراف، امثال الوليد بن عقبة الذي لم يتجرأ على انكار ما قاله الحسين عليه السلام في وصف يزيد و بني امية، و لقد بدا الحسين عليه السلام كلامه قائلا:

«أيها الأميرُ إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَ مَعْدِنِ الرِّسَالَةِ وَ مَخْتَلَفِ الْمَلِكَةِ وَ مَهْبَطِ الرَّحْمَةِ»

فجدد الحسين عليه السلام بين أهليته العلمية والعملية و سوابقه الفريدة لقيادة الأمة، و رعاية مصالحها و تقرير مصيرها، فالكلمة قصيرة، لكنها مليئة بالمعاني الحساسة و الخطيرة، فهو قد نبّه الوليد الى مقامه في العالم الاسلامي، و ذكرّه بان لا أحد أعرف منه بالامور الشرعية و الأهداف الاسلامية و لا احرص في الحفاظ على بيضة الإسلام و كرامة المسلمين، اذ انه من اهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الرحمة و ملتق الملائكة.

و لا ننظرُ إنَّ كلمات أوقع من هذه الكلمات يمكنها ان تفيد هذه المعاني و توصلها الى ذهن المخاطب.

فبناء التوحيد و عمارة الإسلام العظيم انما تمّت بهندسة جدّه رسول الله و جهاد أبيه علي عليه السلام و سخاء جدته خديجة و حنان و رعاية أمّه فاطمة عليها السلام

لجده وأبيه، وفداء وتضحيات عمه جعفر الطيار وعم أبيه الحمزة بن عبد المطلب، وسائر المجاهدين في طريق التوحيد من بني هاشم، وها هو الآن بعد أخيه الحسن المجتبي عليه السلام، المحامي الوحيد عن الإسلام والمتلف لآغاثة المسلمين، فإذا سكت - وهو الذي نزلت في بيته قوانين الشرع ومقررات الدين وآيات الوحي - عن نصرته الإسلام فلا شك في أن سائر الناس سيسكتون عن الحق ولن يتطوع أحد للدفاع عن الدين.

لقد أوضحت هذه الجملة القصيرة، مسئولية الحسين عليه السلام الخطيرة والشقيلة تجاه الإسلام والقرآن، كما رسمت الخطوط العريضة لحركته المستقبلية، وتدلّ بالقطع واليقين على استحالة سكوت الحسين عليه السلام وتجاهله لعواقب الأوضاع الوخيمة.

لقد قام الحسين عليه السلام بما كان سيقوم به جده رسول الله ﷺ لو كان في زمن يزيد. أفهل كان النبي ﷺ سيسكت عن سياسة يزيد ويبيعه؟ أم هل يُعقل أن النبي ﷺ كان سيتفرج على مهازل الحكم الأموي واستخلاف فاسق فاجر شارب للخمر، ولا ينتفض؟ هل كان مشروع النبي ﷺ والمجتمع الإيماني الملكوتي الذي أسسه تحت لواء التوحيد والعدالة والحرية، يعني أن يأتي أمثال يزيد وابن زياد ويتسلطون على رقاب الناس ويهتكون كرامة المسلمين ويتمردون على الحدود والقوانين الإلهية؟

هذا النبي ﷺ هو ذلك النبي ﷺ الذي قالها كلمة باقية على مسمع الدهور والعصور والملل والنحل:

«و الله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أمت دونه»

وهذا الحسين عليه السلام هو ابن ذلك النبي، قال:

« إنا أهل البيت النبوة ومعدن الرسالة، بنا فتح الله وبنا ختم. ويزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله »

فهو غير مستعد للبيعة مع يزيد حتى لو ضيقوا عليه الآفاق وبقي مشرداً في الصحارى والقفار.

وانت ترى أن منطق النبي ﷺ ومنطق الحسين واحد أبداً. فهذه الحملة المختصرة الفاظها، الغزيرة معانيها تكشف موقع الحسين عليه السلام في امته وتشرح وظيفة الحسين عليه السلام تجاه دينه واسلامه وتعري الحكم الاموي من مشروعيته، كما إنها تجسد مقومات شخصية الحسين عليه السلام الروحية السامية، يقول: « بنا فتح الله وبنا ختم » اي إن منصب ومسئولية هداية البشرية وقيادتها، فينا أولاً وأخيراً. ثم يقول:

« ويزيد فاسق فاجر شارب للخمر قاتل للنفس المحترمة معلن بالفسق والفجور »

فهل ترى صارخة أشجع و اوضح من هذه، حيث إن المخاطب هو الوليد، والي يزيد على المدينة التي هي من اقوى مراكز القدرة والسلطة وفي دار الامارة و مقر الحكومة و بين جلاوزة يزيد و بني امية، يقوم الحسين عليه السلام بفضح شخصية يزيد وكشف ذمائم اخلاقه التي لو وجدت واحدة فقط في شخص ما، لم يكن اهلاً لادارة قرية من القرى الاسلامية فكيف اذا اجتمعت كل تلك الرذائل في رجل يريد ان يتزعم الامة الاسلامية كلها؟!

فكل واحدة من تلك الصفات، تعد دليلاً قاطعاً على عدم مشروعية حكم يزيد و حرمة البيعة له و تمكنه من رقاب المسلمين.

١- الفسق والفجور والزنا والمعاصي .

٢- معاقرة الخمرة .

٣- قتل النفس المحترمة بلاحق .

٤- التجاهر بالذنوب .

إذ إنَّ من صفات الخليفة إظهار العدالة وإشاعة المفاهيم الإسلامية والإيمانية في سلوكه، وأن يكون النموذج الكامل للتربية الإسلامية الصحيحة، والمرآة العاكسة للدين والتدين.

كما إنَّ الغرض من تعيين الخليفة والإمام هو إجراء الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم وتطبيق الشريعة والحفاظ على أرواح الناس، ولذا ينبغي عليه أن يكون أوَّل الناس تطبيقاً لهذه المثل وأسرعهم امتثالاً للأحكام الشرعية، والأكثر التزاماً بأخلاقية الهدى والصالح.

أمَّا إذا كان الخليفة نفسه متجاهراً بالفسق، مرتكباً للفواحش خائناً لدينه والمسلمين، غير مأمونٍ ضرره عليهم، لم يعد لتلك الأمة أمن ولا أمان وتزلزلت أركان الدولة وسارت نحو الزوال.

فالمجتمع، مضافاً إلى أنه لا يجوز له أن يبيع أمثال هؤلاء، فإن عليه أيضاً أن يثور عليهم ويعزلهم عن مراكزهم ومسئولياتهم.

الجملة الثانية:

«وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ»

وما هي النتيجة والخلاصة مما تقدم من كلام الحسين عليه السلام، أي إنَّ الرجل في مقام الحسين عليه السلام لا يعقل أن يدوس على كل القيم ويباع مثل يزيد، إذ إنَّ البيعة مع الخليفة في مصطلح المسلمين تعني التعهد بالطاعة والانقياد لمن يتولى منصب قيادة

الامة و هدايتها و عزّها، و الذي يعمل على احياء الدين و معالم القرآن الكريم و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و بعبارة أوضح، إنّ البيعة تكون لخليفة رسول الله ﷺ.

إنّ معنى البيعة الصحيحة الصادقة، هو إعلان الاستعداد للانقياد التام و التسليم لاوامر الخليفة الحقيقي، و التضحية في طريق امتثال تلك الاوامر، و التي وجبت بحكم قوله تعالى:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»

و مثل هذه البيعة مع مثل يزيد ابن معاوية - وإن كانت صورية و لدفع الضرر - هي إمضاء و قبول و شرعية لكل ذنب يرتكبه و فسق و فجور و تجاهر بالمنكرات يقوم به، و اضاءة لحقوق المسلمين و معونة للظالمين، و يستحيل على الحسين عليه السلام شرعاً و عرفاً أن يبايع مثل هذه البيعة و لذا قالها صريحة واضحة كوضوح الشمس «و مثلي لا يبايع مثله» و كانها حكمٌ يدهي مسلّم عند الجميع، إذ لم يكن احدٌ منصف يتوقع من الحسين عليه السلام أن يبايع يزيداً أبداً.

و كانت هذه النتيجة منطقية ثبّتتها الحسين عليه السلام بعد أن ذكر موقعه في الامة و مقامه في أهل البيت عليهم السلام.

نعم، و لو فرضنا ان كل المسلمين استسلموا للذلّ و المهانة و بايعوا يزيد بن معاوية، لم يكن من الحسين عليه السلام و هو صاحب الفضائل و المناقب الذي ترنو اليه أبصار المسلمين، و تتوقع من مثله بذل الجهد في خلاصهم و انقاذهم من الزاوية المخرجة التي وضعوا أنفسهم بها بسوء فعالمهم، لم يكن له أن يبايع محور الشرّ و القسوة و قطب الفسق و المجون يزيد. فقام الحسين عليه السلام متميزاً عن سائر الصحابة فضلاً عن سائر المسلمين، فهو من اهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الوحي و

مختلف الملائكة و منزل الرحمة الالهية، و هو من بعد اخيه الإمام الحسن عليه السلام الابن الوحيد لابنة سيد المرسلين علي وجه الارض و سبطه و لذا قال للفرزدق «إِنَّ هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن و أظهروا الفساد في الارض و أبطلوا الحدود و شربوا الخمر و إستأثروا في اموال الفقراء و المساكين و أنا أولى من قام بنصرة دين الله و إعزاز شرعه و الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا.» (١)

فلم يكن امام الحسين عليه السلام خيار و هو في موقعه ذاك، و يزيد في موقعه ذاك، إلا أن يعلن حالة الخطر و النداء بعدم شرعية حكومة يزيد و بيعته، اذ ان بيعته الحسين عليه السلام أوبيعة كل واحد من الصحابة ليزيد تعدّاضفاء شرعية لحكمه و تنزيهه له و تركية، و ابطالاً لحقيقة الخلافة، و عدولاً عن كل شرائط الزعامة الاسلامية و خلافة النبي ﷺ و سوق المجتمع الى الضلالة، و ستكون هذه البيعة سلسلة قيودٍ لأسر و تعذيب أولياء الله، لا يوازي ثقل الجبال ثقلها.

لقد انتفض الحسين عليه السلام بهذا المنطق، و ثبت عليه الى النهاية و كان يقول: «ما الإمام إلا العامل بالكتاب و القائم بالقسط و الدائن بدين الحق و الحابس نفسه على ذات الله» (٢)

و يوم عاشوراء، و عندما صُبت عليه المصائب و البلايا و الرزايا كان يكرر نفس المنطق و يقول:

«أما والله لا أجيئهم الى شيء مما يريدون حتى ألقى الله و أنا مُحضَّبٌ بدمي» (٣)

(١) تذكرة الخواص ص ٢٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٦٢.

(٣) سمو المعنى في سمو الذات ص ١١٨.

٤- فسادُ أجهزة الحكم

لا خلاف بين المفكرين والعلماء في ضرورة كون الحكومة الاسلامية راعية لمصالح المسلمين ممثلةً لافكارهم وآرائهم ومجسدةً لروح المجتمع الاسلامي ومحقة لرسالة الإسلام.

ويعتقد الشيعة، أنَّ الحاكم هو القائد الالهي الكامل وهو النبي ﷺ. وبعد رحيل النبي ﷺ والتحاقه بالرفيق الاعلى تعينت القيادة في أشخاص نصبهم الله على لسان الرسول ﷺ وكما كان النبي ﷺ متكفلاً لقيادة المجتمع دينياً وروحياً و اخلاقياً وسياسياً واجتماعياً، فكذلك الإمام يتمتع بذلك الموقع بفارق ان النبي يوحى له والإمام لا يوحى له، وإنما يعتمد على الكتاب والسنة في أداء وظائفه، أما النبي فيأخذ الشرائع والدين من عالم الغيب وهذا من مختصات النبي ﷺ.

ومن الواضح، إنَّ هذا المنهج لادارة المجتمع هو أفضل المناهج والطرق النافعة والصحيحة، ولا شك في أنَّ من يعينه النبي ﷺ بأمر الله تعالى، يكون لائقاً ومؤهلاً لهذه القيادة، وكما يقول الفيلسوف الكبير الشيخ ابو علي ابن سينا:

« والاستخلاف بالنص أصوب فانَّ ذلك لا يؤدي الى التشعُّب والتشاغِبِ و

الاختلاف» (١)

وبناءً على مذهب أهل السنة، فكذلك ينبغي على الحكومة أن تكون مظهر روح المجتمع الاسلامي، وإنما تجب طاعة مقرراتها فيما لو كانت ملتزمة بحفظ شعائر الإسلام ورعاية مصالح المسلمين وأن تكون مصدر قدرة المجتمع المسلم، فان

تخلفت عن ذلك لم تكن شرعيةً ولا اسلامية. (١)

ومن أهمّ وظائف الخلافة و تعهداتها هو تقويم الاعوجاج و تطبيق العدالة الاجتماعية و اجراء القوانين الاسلامية، فاذا ما أهملت الخلافة هذه الجوانب، لم يُعد لها أي اعتبار و لا قيمة و يكون التمرد على اوامرها واجباً و اعانتها ذنباً و لقد حارب الإسلام تسلط الحاكم و استبداده، و اسقط الحكومات المستبدة في افريقيا و امراء و رؤساء قبائل نجد و الحجاز و غيرها. و أدان الإسلام بشدة اذلال البشرية باي عنوان كان ذلك، و رفع المستوى الثقافي و الفكري للمجتمع، و كسر شوكة المستثمرين و لم يكن كل ذلك من اجل استبدال الحاكم الفارسي أو الأفريقي بحاكم عربي و إنما كان ذلك من أجل تثبيت اسس كرامة الانسان و نجاته من الاستغلال و الاستعباد.

و لم يحارب الإسلام ملوك ايران و لم يهدم قصر كسرى الذي بُني على اكتاف المزارعين المحرومين و باموالهم، لكي يستبدله بقصر الخضر في الشام، و قصور المنصور في بغداد، و لا أن يتغير اسم الحكم من كسروي الى اموي أو عباسي

(١) و على الرغم من ان ما ورد في الاخبار المروية بطرق اهل السنة من عدم جواز اطاعة الحكومات الظالمة غير الملتزمة باحكام الإسلام و حتى تلك الروايات المطلقة في لزوم اطاعة الحاكم منصرفة الى الحاكم الحافظ للشرع و مصالح عامة المسلمين، إلا أنه و للأسف لا نجد تطبيقاً لهذه القاعدة الشرعية عملياً، فاکثر اهل السنة يطيعون الحاكم على علاقتهم كالوليد و الحجاج و يزيد و جبارة بني العباس و الفساق و الظلمة، و يعتبرونهم خلفاء رسول الله ﷺ و امراء المسلمين و يوجبون طاعتهم. و لكن كبار المفكرين المعاصرين من أهل السنة، انكروا هذا التسليم و الانقياد و الاطاعة و خرقوا تلك السيرة التي كانت قائمة لقرون مديدة، و انتقدوها و ابطلوا هذا المعتقد، و كشفوا فضاة مثل هذا الفكر المنحرف، البعيد عن روح الشريعة و القرآن.

يضطهد الناس ويستعبدهم^(١) بل كان هدف الإسلام من كلّ ذلك هو إنهاء الاستعباد والاستبداد، كي تتمكن الشعوب من صيانة عزتها وشرفها والحدّ من الطاعة العمياء للملوك.

فالإسلام، لا يعتبر السلطة والقدرة ملكاً للحاكم يتصرف بها كيف يشاء فيجمع الغلمان والحريم ويكنز الذهب والفضة ويبني القصور الفخمة ويتباهى على الفقراء وسائر المسلمين بقدرته وملكه، وإنما يرى الإسلام أن القدرة والسلطة هي تجلّ من تجليات قوة الشعب والمجتمع، والحاكم أحد أفراد ذلك المجتمع، وإنّ كلّ فرد من أفراد الأمّة له نصيب من هذه القدرة، فلا يمكن تحويل هذه القدرة العامة إلى سلطة فردية يُساء استغلالها.

فالنظام الاسلامي قائم على 'أنّ واضع الاحكام ومقنن القوانين هو الله عزوجل وليس لاحدٍ من البشر حق التشريع:

«إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»^(٢)

وقد اوجب الإسلام على الجميع رعاية قواعد الشرع واقامة الحدود، ونهى عن الحكم بما لم ينزل الله:

(١) ومن نماذج استعباد بني العباس للناس، انهم كانوا قد نصبوا حجراً على باب أحد قصور الخليفة العباسي، مشابهاً للحجر الاسود، وقد غطي بقطعة قماش ثميّة، فمن اراد من الرؤساء والملوك ورجال الحكم لقاء الخليفة عليه ان يمرّ على ذلك الحجر ويقتله!!
وعندما اراد أحد العلماء واسمه مجد الدين اسماعيل الفاي ان ينقل رسالة حاكم فارس الى خليفة بغداد، امتنع عن تقبيل الحجر، ولما الزموه بذلك، اضطر الى وضع قرآن على ذلك الحجر وتقبيل القرآن (روضة الصفا)

(٢) سورة يوسف، الآية ٤٠.

«وَلَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(١)

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(٢)

ومن اختار غير حكم الله واتبع غير منهج الإسلام وشرعية القرآن فهو ضالّ مضلّ:

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»^(٣)

فالإسلام يهدف إلى إنهاء حكومة البشر وتسليم الأمر إلى حكومة الله عز وجل.

وعندما حمل النبي ﷺ راية التوحيد والدعوة إلى هداية البشرية وانتشر صدى ندائه في أقطار العالم فايقظ المجتمعات النائمة على فراش الغفلة، وانتبه الجميع إلى انعام هذه الانشودة الجميلة التي لم يسمعوا مثلها أبداً، فعرفهم بحقوقهم وكرامتهم وقدرهم وقيمتهم الروحية والمعنوية وقال:

«تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(٤)

لقد كانت الحكومات في ذلك الوقت، وسائل لاستعباد واستئثار شرائح كبيرة من طبقات المجتمعات، فسلطنة البشر على البشر واسترقاقه كانت هي الرائجة، وكان للحكم سلطنة مطلقة في الحروب والسلم والاتحاد والتنازع، وكل القرارات

(١) سورة المائدة، الآية ٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٧.

(٣) سورة الاحزاب، الآية ٣٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

العسكرية والاقتصادية والاجتماعية كانت من حق الحاكم فقط ولم يكن للشعوب حول ولا قوة في التدخل باتخاذ اي قرار، بل كان عليها التسليم والانتقاد المطلق. وكان احترام الناس للحاكم والامير والوزير، ليس من جهة حبهم و موافقتهم اياه، وإنما كان في الاغلب باعتباره صاحب الحق في التصرف وأنه السلطة العليا التي ينبغي التسليم والخضوع لها وتعظيمها تعظيماً لا يمتُّ الى الأخلاق الإنسانية باي صلة، وتواضعاً فاق تواضع العبيد لسيادهم.

في مثل هذا العالم الذي كانت الشعوب فيه بمثابة ممالك للملوك وعبيد للامراء الذين كانوا يعتبرون الناس خدماً وعبيداً لهم، وفي الوقت الذي كانت البشرية تمرّ بمرحلة انحطاط اجتماعي واخلاقي كبير، ظهر نبي الإسلام ﷺ يحمل بشارة الحرية والغاء الاستعباد والرقية والاذلال، ويعلم الناس دروس العدالة والفضيلة والمساواة.

ذات يوم جاء أعرابي الى النبي ﷺ، ومع إنَّ النبي ﷺ كان في ذلك اليوم يعيش حياةً بسيطةً هو واصحابه، فلا عرش ولا كرسي ولا سجاد ولا خدم ولا قصر، لكن أخذت الهيبة والرهبة مأخذاً من ذلك الاعرابي فارتعش جسده وكأنه يقف امام ملك من الملوك فقال له النبي ﷺ: «على رسلك يا أبا العرب، ما انا إلا رجل ولدتني امرأة من قريش تأكل القديد».

إنَّ مسئولية الحكم والامارة مسئولية خطيرة وإنَّ عواقب وخيمة تتهدد الامراء والحكام، إلا أنَّ يقيموا الحق ويمحو الباطل.

ولقد كان اولياء الله والالتقياء يتهربون من الامارة والحكم ويفرون من السلطة والزعامة فرارهم من الاسود الكاسرة الوحشية، اذ قلَّ ما تجد إنساناً لم يغره السلطان والقدرة ولم تؤثر في روحه واخلاقياته وسلوكه، فالحاكم واقفٌ

على شفير جهنم إلا أن يقيم الحق ويعمل بالصدق.

روى صاحب كتاب الصفوة عن أبي مطرف انه رأى علياً عليه السلام في السوق يسأل بزازاً هل عنده قميص فقال له البزاز نعم يا أمير المؤمنين. ولما عرف علي أن البزاز عرفه تركه وذهب الى آخر ووصل الى شاب لم يعرفه فاشترى منه قميصاً بثلاث دراهم. فجاء أبو ذلك الشاب فأخبره ابنه بذلك فعرف الرجل أن علي بن أبي طالب هو الذي اشترى القميص فأخذ درهماً وذهب الى علي عليه السلام وقال له: يا أمير المؤمنين أن قيمة الثوب درهمان. فأخبره علي عليه السلام أنه اشترى الثوب من الغلام بثلاث دراهم وهو راض بذلك. (١)

وقال علي عليه السلام لابن عباس ذات يوم وهو في ذي قار، بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام يصلح نعل رجله: «ما قيمة هذه النعل؟» فقال ابن عباس: «لا قيمة لها»

قال عليه السلام: «والله هي أحب إلي من إمارتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً». (٢)

ونحن نعتقد ان من أهم الامور الدالة على روح الإسلام العظيمة و تعاليمه و أهدافه، هو طريقة و اسلوب الحكم و ادارة الامور سياسياً و اجتماعياً في النظام الاسلامي.

ولكن وللأسف الشديد، إن جهاز الحكومة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله و عروج روحه الى الملاء الاعلى، ابتعد عن محتواه الشرعي شيئاً فشيئاً بسبب انحراف الخلافة

(١) ينابيع المودة ص ٢١٩.

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٧٦ خطبة ٣٢.

عن مسيرها الواقعي، وكلما ابتعدنا عن عصر النبي ﷺ زاد ذلك الانحراف وزاد التشبّه بالحكومات والأنظمة التي حاربت الإسلام وهيمن شبح الجاهلية على أجهزة الحكم وزادت الهوة بين السياسة والدين وانفصلت الحكومة عن الشريعة. وهذه الفاصلة وإن كانت قليلة في زمن الخليفة الأول والثاني بسبب قرب الناس من التجربة المحمدية وأنسبهم بالحكومة العادلة للنبي ﷺ، وهذا ما منع من تبديل الحكم الاسلامي الى كسروية وقيصرية علنية، فوجود كبار الصحابة كان رادعاً للانحراف الكبير، ولذا وجدنا بعض الفتوحات واتساع ربة الدولة الاسلامية، اذ ما كان بالامكان نشر الإسلام وتوسيع الحكومة الاسلامية إلا بالمنهج الذي نهجه النبي ﷺ ولذا كان الخلفاء يتقيدون برعاية الظواهر الشرعية و الاسلامية ويتظاهرون بحمل لواء العدالة الاجتماعية لكسب تأييد المسلمين للحكم، ومع انهم ارتكبوا الكثير من المخروقات الشرعية، ولكن وفي الجملة كان ظاهر الحكم والمنهج المتبع في ادارة الدولة وسياستها يختلف كثيراً عن ظاهر الحكومات الملكية الموجودة في ذلك الزمان وكان المسلمون يتحسسون هذه الفرق وهو ما كان يجعلهم يغضون الطرف عن التجاوزات والمخالفات الادارية للحكم الاسلامي القائم.

ولكن هذا الوضع لم يدم طويلاً، ففي زمن عثمان تغير المنهج رسمياً وبشكل سافر، ولذا تعالت أصوات الاعتراض والانتقاد ضد سياسة عثمان خاصة في نصب الولاة والعمال الذين لم يراعى في نصبهم وعزلهم ملاك الصلاح والاهلية والأمانة، بل كان عثمان ينصب الولاة المتهمين بالفساد والانحراف الاخلاقي والشرعي، لمجرد قربانهم منه.

يقول سيد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية» الصفحة ١٨٢: إن من أسوء

المصادفات هي تقديم عثمان ابن عفان على علي ابن ابي طالب عليه السلام حيث جعل عثمان مقاليد الحكم بيد رجال متهمين من بني مروان، ولو أن حسن الطالع قد حالف علياً وصار خليفة لاستمرت تعاليم الاسلام.

و يقول في صفحة ١٨٦: انّ سوء طالع المسلمين هو الذي سلّط رجلاً ضعيفاً غير كفوء كعثمان على الخلافة.

ثمّ ينتقد سيد قطب سياسة عثمان المالية ومنهجه في غارة أموال المسلمين و تسليطه بني معيط و بني اميّة و الحكم طريد رسول الله ﷺ على رقاب الناس، و هباته اللامعقولة و اللامسئولة من مال الفقراء و يقول:

إنّ عثمان أهدى لصره ليلة زفافه مائتا الف درهم من بيت المال. وكان زيد بن الارقم خازن بيت المال فحزن و اهتم و اغتمّ لذلك الاسراف و سرقة بيت مال المسلمين مما دعاه الى الاستعفاء من عمله، فقال له عثمان: يا ابن ارقم أتبكي لاني أصل الرحم؟! فقال له زيد: و الله لو أنك أعطيتة مائة درهم لكان كثيراً. فغضب عثمان و قبل استقالة زيد بدلاً من أن يتوب الى ربه.

و في صفحة ١٨٧ من الكتاب يقول:

«إنّ امثلة ذلك في تاريخ عثمان كثيرة و من جملتها أنه أعطى للزبير ستمائة الف درهم و لطلحة مائتا الف درهم و وهب مروان ابن الحكم خمس خراج أفريقيا مع أن كبار الصحابة نهوه عن ذلك»

و في صفحة ١٩٠ يقول:

«من الواضح أن سياسة عثمان في توزيع بيت المال و طريقة مستشاره مروان و تعيينه الولاة من بني امية أثر في سير تاريخ الامة الاسلامية»

و في نفس الصفحة يقول: ليس قليلاً أن يرى الناس انّ الخليفة قد استأثر

بالخلافة لنفسه وعشيرته وأنه يقسم بيت المال بينهم طارداً أصحاب رسول الله ﷺ مؤلياً أعداء رسول الله ﷺ المناصب والمقامات.

وفي صفحته ٢٠٩ يقول: إنَّ عثمان قُتل يوم قُتل وهو يملك مائة وخمسين ألف مثقال ذهب و مليون درهم و بلغت قيمة ضياعه و أراضيه مائة ألف دينار ذهب، أضف الى ذلك جياده و إبله الكثيرة.

وفي صفحة ١٥٧ يقول:

«لقد كان علي عليه السلام هو الخليفة الحقيقي لرسول الله ﷺ والذي كان يرتعش في الشتاء من البرد القارص لأنه لم يكن يملك ثوباً شتوياً مع أن بيت المال كان بيده و لم يكن يمنعه من التصرف ببيت المال إلا يقظة الضمير.^(١)

كان خالد بن معمر السدوسي يدعو العلباء بن هيثم إلى ترك علي عليه السلام و الاتصال بمعاوية و كان يمتيه بالجوائز و أموال معاوية و يقول: يا علباء إنك لن تصل إلى المال مع علي و كيف تحصل المال من رجل لا يزيد عطاء و لديه الحسن و الحسين درهما يخفف عنها وطأة العيش.^(٢)

و نفذ صبر المسلمين الاحرار من سوء اوضاع الدولة زمن عثمان بعد ان أهمل عثمان الاستماع إلى نصائحهم و اعتراضاتهم على ولايته، فلم يعزل احداً من أولئك المفسدين الذين تصدوا لنهب اموال المسلمين و اهانة الصحابة و هضم الناس حقوقهم، حتى انجرَّ الأمر إلى خلع عثمان عن الحكم و قتله.^(٣)

(١) العدالة الاجتماعية ص ١٨٢ و ١٨٦ و ١٩٠ و ٢٠٩ و ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٨٥.

(٣) و لقد استغلت الاطراف و الفئات هذه الحادثة لصالح امرار مخططاتها الشيطانية، امثال

ولكن هذا الانقلاب و الثورة جاء بعد فوات الأوان قليلاً، فقد ضيع المسلمون الفرصة على أنفسهم، اذ كان الولاة و العمال قد احكموا قبضتهم على المناطق التي كانوا يحكمونها و كانوا قد اشتروا الضمائر و الذمم بالاموال و اسكتوا الاصوات بالارهاب و التنكيل و مسحوا الشخصية الاسلامية الرسالية، و خاصة معاوية ابن ابي سفيان و الي عمر و عثمان على الشام الذي اقتدى بقيقصر الروم في طراز الحكم و السياسة و حاول قتل الروح الاسلامية عند المسلمين و قد نجح في ذلك الى حد بعيد^(١).

و في خضم هذا الجو السياسي و الاجتماعي الملتهب و الحساس، استلم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الخلافة، و بدت في الافق طليعة تشكيل حكومة إسلامية أصيلة. فكان الجميع يطمع و يأمل أن علياً سيحقق الاهداف الاسلامية و انه سيعيد عصر النبي ﷺ الذهبي، و انه قد ولى زمن الظلم و الجور و التمييز القومي و العنصري و نهب بيت مال المسلمين و قتل المستضعفين، و إنَّ علياً عليه السلام سيعزل الولاة الفاسدين الفاسقين، و إنَّ العدالة و المساواة و الاخوة الاسلامية ستتحقق بشكل تام و كامل.

→ معاوية و طلحة و الزبير و عائشة مع انهم كانوا من المحرضين على قتله. و لا مجال في هذا الكتاب لشرح تفاصيل هذا البحث.

(١) لقد نجح معاوية بانتهاجه منهج ملوك الروم و الفارس في الحكم، في استعباد الناس و غسل أدمغتهم و تأصيل حب الدنيا و زخارفها في نفوسهم، و لقد كان موكب معاوية في سفره و تنقلاته مشابه لموكب الملوك و القياصرة، و لقد نقل ابن سعد في الطبقات؛ عندما قدم عمر بن الخطاب الى الشام، اعترض على معاوية في ملابسه حيث وجد انه يرتدي جبة خز و لباس ديباج، و لكنه قبل عذر معاوية و ان كان ذلك العذر سخيفاً لا يمت الى روح الشرع باري صلة، فاجازه عمر على ذلك!! (النصائح الكافية ص ١٧٤) و في أسد الغابة (ج ٤ ص ٣٨٦) ذكر ان عمر بن الخطاب قال في حق معاوية: هذا كسرى العرب!!

و كل هذه التطلعات و الآمال في علي عليه السلام انما جاءت لسابق معرفة المسلمين بسيرة علي عليه السلام و صلابته في الله و غزير علمه و ورعه و تقواه و زهده و ارتباطه الروحي و الاخلاقي بالنبي الاكرم صلى الله عليه و وآله و معرفته التامة بروح التعاليم الاسلامية الخالصة، و لم يكن ظنُّ المسلمين بعلي عليه السلام جزافاً أبداً، و لا مجاملة و لا مبالغة .

فلا يُنتظر من حاكم مثل علي عليه السلام إلاّ ترويج العلم و الشريعة و تطبيق العدالة و نصرة المظلوم و اعمار البلاد الاسلامية و ارساء اقوى و امتن اسس النظام الاسلامي الصحيح، و حتى اعداء علي عليه السلام لم يتوقعوا غير ذلك، و لذا نجد إنَّ المسلمين كانوا يقولون: لقد ذكرنا علي عليه السلام بايَّام رسول الله صلى الله عليه و وآله .

ولكن... اسفي على المسلمين اذ انهم تأخروا كثيراً في الالتجاء الى علي عليه السلام، فقد كانت الفاصلة الزمنية بينهم و بين عهد النبي صلى الله عليه و وآله تقرب من خمسة و عشرين عاماً، و كان الفاسدون و الطامعون امثال مروان و معاوية و الوليد بن عقبة و عمرو بن العاص قد تغلغلوا في اجهزة الدولة الاسلامية، الى درجة تمكنهم من التأثير في القرارات و إثارة الانشقاقات و التمرد على منهج أمير المؤمنين عليه السلام خاصة و انهم كانوا قد انتشروا في بقاع متفرقة من أرجاء الدولة كالشام و مصر و أفريقيا و البصرة و غيرها من ولايات الحكم .

فالموانع و العقبات الكأداء التي كانت تعترض سبيل تشكيل حكومة اسلامية قوية، كانت متعددة، و لم يكن مع علي عليه السلام ممن يمكن الاعتماد عليه من تلامذة مدرسة النبي صلى الله عليه و وآله إلاّ عدة قليلة أمثال عمار بن ياسر و الذين بقوا على ارتباطهم الروحي و السياسي مع علي عليه السلام .

و لو انَّ علياً عليه السلام كان قد تقلد زمام الامور بعد النبي صلى الله عليه و وآله مباشرة، كما كان التخطيط الالهي مقررأً، و كما يقول المفكر المصري سيد قطب لو انه كان قد استلم

الخلافة قبل حكومة عثمان و تسلط بني امية، و لم تكن الخلافة قد انحرفت ذلك الانحراف الكبير، و لم يكن لامثال معاوية ذريعة قبيص عثمان، لا يمكن اجراء بعض الاصطلاحات و ارجاع الأمر الى سابق عهد الخلافة الاسلامية بما يقرب من عهد النبي ﷺ، لكن مخطط الشورى السداسية قد أثمر ثماره، و كان من أسس لتلك الشورى قد خطط مسبقاً لتنحية علي عليه السلام و تنصيب عثمان توطئاً لتحقيق تلك التغييرات الاساسية في نط الحكم الاسلامي.

و مع كل ذلك، فقد حقق علي عليه السلام و خلال مدة خلافته القصيرة و بذل كل ما بوسعه من اجل اعادة الشريعة الى مسارها الصحيح، حقق الكثير من الانجازات و على كافة الاصعدة حتى صارت خلافة علي عليه السلام مضرب المثل في العدالة و المساواة و العلم و الورع و احترام الانسان، و لكن تلك الأوضاع المضطربة و الموانع و الصعاب و وجود الاشقياء امثال ابن ملجم المرادي، حرمت الامة الاسلامية بل البشرية جميعاً من تحقيق عصر اسلامي نوراني شامل^(١).

و كما يقول توماس كارل المسيحي في كتابه «الابطال»:

«أن علياً عليه السلام قد قُتل و طويت صفحة خلافته لعدالته و شدة اهتمامه باجراء هذه العدالة و لكن تلك السنوات الخمس، و على الرغم من كثرة ابتلاءات علي عليه السلام و شدة المعارضة له و قسوتها، قد ايقظت المسلمين، ببساطة عيش علي عليه السلام و زهده و تواضعه و ورعه و تقواه و علمه و حلمه و رجولته و بطولته، كانت قد تركت أثراً

(١) فلو لم يسقط علي عليه السلام في محرابه، لحمل الناس على المحجة البيضاء و لسا بالاسلام في المسار الصحيح السليم، و لنحى بني امية و منعهم من التدخل في الشئون السياسية، لكن شقاوة ابن ملجم غيرت مسيرة التاريخ الاسلامي و بدلت مصير الامة الاسلامية، فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس اجمعين.

عميقاً في اعماق نفوس الناس فصارت مضرِباً للمثل في المثل العليا، وكلما مرَّ الزمان وتجدد الحكام، ازداد ايمان الناس وتجليلهم وتعظيمهم لعلي وآله عليهم السلام وما زالوا يترغنون ويتغنون بماثر علي عليه السلام وفضائله وعدله وحكمته وعرفانه، وفي نفس الوقت يتأسفون على تفریطهم بعلي عليه السلام وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، اضطر الإمام الحسن عليه السلام ورعاية للمصالح الاسلامية العليا، ولمعالجة بعض الشبهات الفكرية، ان يصالح معاوية، وما قلناه وما سنقوله في شأن معاوية وخبثه وخسّة عنصره، قليل جداً، ومن اراد الوقوف على بعض حقائق شخصية هذا الرجل فليراجع كتاب «النصائح الكافية» وكتب التاريخ.

يقول الكاتب المعاصر محمد الغزالي:

وقد اجمع أئمة المسلمين على أن تقاليد الاسلام في الحكم قد تحولت عن مجراها الرشيد على عهد معاوية واسرته ثم التاث امر الدين واضطربت مصالح الناس ووجد من حكام المسلمين من سبق ملوك الكفر في سكرتهم وعلمايتهم وذلك من سوء حظ البشر قبل أن يكون من سوء حظ المسلمين. وحكم الاسلام في دفع اولئك الجبارين لا يحتاج الى مزيد من البيان والتكرار.^(١)

و يقول سيد قطب:

فلما جاء الامويون وصارت الخلافة الاسلامية ملكاً عضوضاً في بني امية لم يكن ذلك من وحي الاسلام انما كان من الجاهلية الذي أطفأ اشراقه الروح الاسلامي.

ويكفي أن نثبت هنا صورة من البيعة ليزيد لنعلم على أي أساس قامت:

دعا معاوية الوفود ليتكلم في اجتماع عقده لآخذ البيعة ليزيد فتقدم يزيد بن المقفع فقال: أمير المؤمنين هذا. ثم أشار إلى معاوية. ثم قال فان هلك فهذا. وأشار إلى يزيد. ثم قال: فمن أبى فهذا وأشار إلى السيف. فقال معاوية: اجلس فانك سيد الخطباء.

ثم يذكر سيد قطب كيفية آخذ البيعة ليزيد في مكة و أنها تمت بالتهديد و السيوف و الرماح.^(١)

و بعد أن يذكر مخازي يزيد كمعاقرته للخمرة و تركه الصلوة و ارتكابه الزنا، يقول:

فاذا كانت هذه مقالة خصم ليزيد فان تصرفات يزيد العملية الواقعية في ما بعد من قتل للحسين عليه السلام على ذلك النحو الشنيع إلى حصار البيت و رميه... الخ تشهد بأن خصوم يزيد لم يبالغوا في ما قالوه. ثم يقول:

و ايّاً ما كان الامر فان احداً لا يجروء على الزعم بأن يزيد كان أصلح المسلمين للخلافة و فيهم الصحابة و التابعين، انما كانت مسئلة و راثة الملك في البيت الاموي و كان هذا الاتجاه طعنة نافذة في قلب الاسلام و نظام الاسلام و اتجاه الاسلام.^(٢)

ففي زمن معاوية كان اسلوب الحكم قد ابتعد كثيراً عن غظه الاسلامي و بدأ التحول الكبير في شكل ادارة الدولة، و كانت البيعة ليزيد هي القشة التي قصمت ظهر البعير، و كما يقول سيد قطب:

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٨١-١٨٠.

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٨١-١٨٠.

إنَّ بيعة يزيد كانت الضربة القاضية في قلب الإسلام ونظامه، فوجب على الحسين عليه السلام أن يتلافى ذلك، ويضمّد الجراح التي أصابت جسد الإسلام، وأن يُنبّه المسلمين إلى عدم شرعية هذه البيعة والحكومة، وأنَّ الخلافة الراشدة قد استحالَت إلى ملكية.

كان على الإمام الحسين عليه السلام أن يُعلم الجميع، أنَّ قيادة الأمة الإسلامية من قبل رجل كيزيد، أمرٌ مستحيل، وأنَّ يزيداً و أمثاله قد غصبوا الخلافة وأنَّ منهجهم مغايرٌ تماماً لمنهج الحكومة الإسلامية.

ولقد أوضح الحسين عليه السلام رأيه في حكومة يزيد، و انقذ المسلمين من مغبة اشتباهاتهم التي كادت أن تبعدهم عن حقيقة الإسلام واحكامه.

فلو أنَّ الحسين عليه السلام كان قد سكت على سياسة يزيد أو بايع يزيداً، لاختلطت الأوراق على عامة المسلمين، و اندثر النظم الإسلامي الصحيح للحكم، و لصار منهج يزيد و بني أمية هو المصدق الاوضح للحكم الإسلامي.

يقول المستشرق الاستاذ نيكلسون:

«كان الأمويين في نظر الدين طغاة و إن كانوا كذلك فلا يحل لهم أن يقتلوا المؤمنين الذين امتشقوا الحسام ضد الغاصبين لسلطانهم، و أما حكم التاريخ في هذا الموضوع إذا ما تصدينا لبحثه فلن يعدو أن يكون حكم الدين ضد الملوكية أو قضاء الحكومة الدينية ضد الامبراطورية و على هذا الأساس يحكم التاريخ بحقِّ باذانة الأمويين (أي في مصرع الحسين عليه السلام) على أنه يجمل بنا أن نذكر أن انفصال الدين على الحكومة لا وجود له في نظر المسلمين.^(١)»

و يبين الاستاذ محمد الغزالي، بعض مفاصد النظام الحكم في عهد يزيد و يقول: و اليك بعض المآخذ على نظام الحكم في العهد الاموي:

١- تحول الخلافة الراشدة الى ملك عضوض و احتكرت زعامة المسلمين أسر معينة.

٢- ضعف احساس الامة بأنها مصدر السلطة و إن أميرها نائب عنها أو أجير لديها و أصبح الحاكم الفرد هو السيد المطلق النفوذ و الناس أتباع اشارته. ترى الناس إن سرنا يسرون حولنا و إن نحن أو مانا الى الناس وقّفوا

٣- تولي الخلافة رجال ميتو الضمائر و شباب سفهاء جريثون على معصية الله و اقتراف الاثم و ليس لثقافتهم الاسلامية قيمة.

٤- اتّسع نطاق المصروفات الخاصة للحاكم و بطانته و متملقيه و تحمّل هذه المغارم بيت مال المسلمين. و أثر هذا السرف الحرام على حاجات الفقراء و مصالح الامة.

٥- عادت عصبية الجاهلية التي هدمها الاسلام فانقسم العرب قبائل متفاخرة و وقعت الضغائن بين العرب و الفرس و غيرهم من الاجناس التي دخلت في الاسلام قبلاً و كان الحكم المستبد يثير هذه النزعات الضالة ضارباً بعضها بالبعض و منتصراً باحديهما عن الاخرى.

٦- هانت قيم الخلق و التقوى بعد ما تولى رئاسة الدولة غلمان ماجنون و بعد ما لعن السابقون الاولون على المنابر « يقصد علي ابن ابي طالب » حتى أن شاعراً مسيحياً مدح يزيد بن معاوية فقال:

ذهبت قريش بالسباحة و الندي و اللؤم تحت عمام الانصار

٧- ابتذلت حقوق الافراد و حرياتهم على أيدي الولاة و النصرين للملك

العضوض فاسترخص القتل والسجن حتى يروي الترمذي عن هشام بن حسان قال: احصي ما قتل الحجاج صبراً فوجد مائة الف و عشرين الفاً.

ثم يقول الغرالي: و الواقع ان الهزة التي أصابت الاسلام من هذه الفتن المترادفة كانت من العنف بحيث لو أصابت دعوة اخرى لهدمتها.^(١)*

كان هذا، مختصراً من مضار آفة خطيرة إسمها يزيد و حكم بني أمية هجمت على جسد الامة الاسلامية بشراسة، و غيرت صورة الحكم الاسلامي الرائعة الى صورة حكم ملكي منفورة كريمة.

و لو لم ينهض الحسين عليه السلام لكشف الحقائق وازاحة قناع التزييف عن وجه الحكم الاموي، لكانت تلك الحقبة من تاريخ الإسلام، اكبر وصمة عارٍ في جبين الامة الاسلامية، و لتلطخت سمعة نظام الحكم الاسلامي.

«فصلواتُ الله و سلامه عليك يا أبا عبد الله، أشهدُ أنَّكَ أحييتَ نظامَ الدِّينِ وأظهرتَ قواعدَ الحكم.»

٥- خَطَرُ التَّقَهُّرِ

كان خطر التقهقر و الارتداد الى حكم الجاهلية و الشرك و عبادة الاوثان،

(١) الإسلام و الإستبداد السياسي ص ١٨٧-١٨٨.

(*) لقد اتبع معاوية سياسة التفرقة بين الامة، و كان يثير الفرقة بين المسلمين، و لم يرق له ان يرى الصفاء بين رجلين من رجال الإسلام، فلقد ميز بين العرب و العجم و بين الانصار و المهاجرين و بين اليمانيين و المصريين، و فرق بين القبائل، حتى انه بث روح الفرقة بين بني امية إلا بني سفيان، و كما يقول العقاد: ينبغي تسميه معاوية بمفرق الجماعات، و ان يوم استقلاله بالحكم و الذي يسمى خطأ بعام الجماعة، يستحق ان يُسمى بعام الفرقة. راجع كتاب: معاوية بن ابي سفيان في الميزان.

من اكبر الاخطار التي تهدد المجتمع الاسلامي أيام حكم بني امية وبدت ملامح العودة الى ما وراء عصر الرسالة، وبدأت وسائل القمع والتهريب والترغيب و المخططات الاموية باتيان أكلها في إضعاف المباني الدينية الاسلامية، و الغاء الاحكام الشرعية، و تحقير الشعائر العظيمة والاستخفاف بها، و كان العالم الاسلامي وخاصةً مراكزه الحساسة كالكوفة والبصرة ومكة والمدينة، بكل ما فيها من ثقل الصحابة ورجالات الإسلام، تغط في سبات عميق وسكوت فضيع و خنوع مريع .

و قد لعب ارباب الناس وسياسة التقتيل والنفي وهدم البيوت ومصادرة الاموال، التي كان يمارسها عمال الدولة امثال زياد بن ابية وسمرة بن جندب و المغيرة بن شعبة، دورها الفعال في خنق الاصوات المعارضة أو المعارضة، فعمت حالة اليأس والخوف في قلب المجتمع الاسلامي في كل اطرافه ونواحيه .

فلقد بذل بنوا امية جهدهم و جهيدهم من أجل ارجاع الناس عن سلوك طريق الإسلام، و مخالفة نصوص الكتاب الكريم وسنة نبي الإسلام ﷺ، وكانت لمعاوية مبتكرات في مهاجمة الإسلام والصحابة والانصار واهل البيت عليهم السلام.

و كانت اهتمامات بني امية منصبّة على 'تضعيف و قتل الروح الاسلامية في شعائر المجتمع المتدينة و الملتزمة بأداب و شعائر الدين . فمضافاً الى قتل سبط رسول الله ﷺ و الإغارة على حرم النبي ﷺ وهدم و احراق الكعبة المعظمة قبله المسلمين، و التجاهر بالمعاصي و الذنوب و تعطيل الحدود، حولوا مكة و المدينة الى مرتع للمغنيين و المطربين و المطربات و المخنثين و المردان و الشعراء الخليعين الاراذل و القتل و المفسدين، رغبة منهم في كسر شوكة هاذين المركزين الروحية والدينية، مما

يُجْرِي باقي المدن و الاقاليم الاسلامية على انتهاج نفس المنحى و الطريق .
 فبنو امية ، مضافاً الى شهر سيفهم بوجه اهل البيت عليهم السلام و قتلهم
 لردع الناس عن التفكير في الالتفاف حول زعامة آل محمد ﷺ ، و من أجل إخلاء
 الارض من كل ما يُذكر المسلمين بالنبي و الإسلام ، قاموا بصبّ جام غضبهم و
 حقدهم على الانصار بجرم نصرتهم للنبي صلى الله عليه و آله و المسلمين عندما
 هاجروا من مكة الى المدينة ، و الذين أفسلوا مخططات أبي سفيان و المشركين الرامية
 الى اجهاض دعوة النبي ﷺ ، و لذا فقد حرم الانصار من ابسط حقوقهم زمن بني
 امية و اخذوهم بوحشية ليس لها نظير إلا في اعمال نيرون الطاغية .^(١)

ولقد بدأ تعطيل الحدود و دفع الشهود منذ زمن عثمان ، و لو لم يكن علي عليه السلام و
 هو الوحيد من بين الصحابة ، يطالب مصرأً باجراء الحدود ، لتعطلت الحدود كلياً
 منذ زمن عثمان .^(٢)

قال العلابي :

الذي ثبت لمفكري المسلمين أن بني امية اداة فساد و في طبيعتهم بعث الحياة
 الجاهلية بكل اشائها و الوانها .^(٣)

و قال السبط ابن الجوزي :

« و قد ذكر جدّي في كتاب التبصرة و قال : إنما سار الحسين عليه السلام الى القوم لانه
 رأى الشريعة قد دُثرت فجَدَّ في رفع قواعد أصلها .^(٤) »

(١) سمو المعنى ص ٢٧-٢٨ .

(٢) مروج الذهب ص ٢٢٤-٢٢٥ .

(٣) سمو المعنى ص ٢٨ .

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٨٣ .

ولو ترك يزيد بلا معارضة يفعل ما يشاء، لتحققت امنيات معاوية و بني امية في محو ذكر رسول الله ﷺ و منع الاذان و الشهادة بالتوحيد و النبوة، و لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و لعمرى لو بقي منه الاسم لما كان له مسمى غير منهج بني امية و سيرة يزيد.

و لو لم تواجه خلافة يزيد بثورة و انتفاضة قوية من قبل الامة الاسلامية، لاعتبر يزيد خليفة للنبي ﷺ و لاصبحت الدولة الاسلامية منتدئ الفحشاء و المنكر و القمار و الخمر و الرقص و الغناء و اللعب بالكلاب و القروود، إذ ان الناس على دين ملوكهم و لانعكست هذه الصورة الخليعة للدولة الاسلامية على العالم.

ولذا كان من الضروري لحفظ الإسلام و دفع المخاطر المحدقة به خاصة خطر الارتداد و القهقري الى الجاهلية و الشرك، أن ينبري رجال للانتفاض على يزيد و بني امية، لتمييزهم عن الإسلام الحقيقي و فضح اكذوبتهم و كشف انتسابهم الى الجاهلية.

مضافاً الى ضرورة تهيج مشاعر و احساس الناس ضدهم لتقوية شوكة مخالفتهم و التشكيك في استحقاقهم الملك و الحكم، و تعريف الناس بخيانتهم و عدائهم للإسلام.

و لتحقيق هذين الهدفين، كانت ثورة الحسين عليه السلام ضرورة ملحة، اي كان من الضروري كشف القناع عن ماهية حكومة بني امية من جهة، و تعبئة المشاعر و شحذها ضدهم، و كسب عواطف المسلمين نحو آل البيت عليهم السلام من جهة اخرى، ليستحيل على بني امية اختراق قلوب الناس و التحكم بها، و منع الشعائر الدينية كالاذان و ذكر محمد رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ محمد محمود المدني، استاذ و رئيس كلية الشريعة في جامعة

الازهر: إن الحسين مثال بارز للمجاهدين في سبيل الله وقد رأى أن جناح الحق مكسور وأن الباطل قد أحاط به من جهاته الأربعة، لقد رأى نفسه وهو فرع شجرة النبوة وابن ذلك الامام الضرغام الذي ما حتى رأسه يوماً خوفاً... رأى نفسه وأنه قد أحيل عليه انقاذ الدين وإزاحة الظلمات والمظالم، لقد سمع الحسين نداءً من اعماقه يناديه أن قم يا أبا عبد الله فانت لها لا غيرك، لقد أزاح الله مجدك الظلمات وأزحق الباطل وأظهر الحق حتى نزل عليه (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) ولقد كان أبوك ذلك السيف القاطع الذي لم ينم حتى أذلّ المشركين... قم يا أبا عبد الله كأيك وجدك وجاهد ودافع عن دين الله وادفع الظالمين وطهر الأرض من الفساد والبغي والظلم... إن أهل بيتك واصحابك قد استخفّ بهم وإن النساء والأطفال والفقراء يستصرخون بك... فمن لكل هذه المظالم والجور غيرك؟ ومن الذي ينهض بهذا الحمل الثقيل إلا انت يا بن علي وفاطمة؟

أجل، لقد سمع الحسين هذا النداء من اعماقه ليلاً ونهاراً فلم يكن له إلا أن يستجيب لهذا النداء والاستصراخ ولم يكثرث لأولئك الذين حاولوا أن يثنوه عن النهوض ولم يثنه علمه بقساوة اعدائه معه وعدم احترامهم لنسبه الشريف عن القيام والثورة. فهو المجاهد الذي قام لأمر الله فلا فرق عنده أن يغلب أو يغلب. إذ إن كلا الحالين شرف له «قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين» التوبة ٥٢.

فالحسين عليه السلام استشهد في طريق الله والحق وقد ابتلي قاتلوه باللعنة الابدية من الله والملائكة والناس أجمعين وأما هو فقد فاز بأعلى المراتب عند ربه (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين).^(١)

و في ختام هذا الفصل، تتمثل بهذه الايات التي تترجم خطر يزيد على الإسلام والتوحيد، و تشيد بتضحيات سيد الشهداء عليه السلام:

لَانْ جَرَتْ لَفْظَةُ التَّوْحِيدِ فِي فَمِهِ فَسَيَفُهُ بِسُوءِ التَّوْحِيدِ مَا فَتَكَ
قَدْ أَصْبَحَ الدِّينُ مِنْهُ يَشْتَكِي سَقَمًا وَ مَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ الْحُسَيْنِ شَكَا
فَمَا رَأَى السَّبْطَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ شِفَاءً إِلَّا إِذَا دَمُّهُ فِي كَرْبَلَاءِ سُفِكََا

٦- الدفاع عن النفس^(١)

يجوز لكل انسان، عقلاً و شرعاً الدفاع عن نفسه في حالة مواجهة الاخطار، بل إن الفطرة تدفع الانسان لا ارادياً الى اجتناب المخاطر لحفظ حياته، و إلا كان الانسان مسئولاً و مستحقاً للذم و التوبيخ.

فاذا ما تعرض الانسان لخطر القتل من قبل حكومة جائرة، و لم يأمن على حياته، جاز له الانتفاض و الثورة لحفظ حياته و الدفاع عن نفسه، و هذا الحق ثابت لكل الناس، بلا ادنى شك.

و بعد اتضح هذه المقدمة نقول: إن الحسين عليه السلام خرج بعد أن عرف أن حياته مهددة بالمخطر، فكان يعلم جيداً أن بني امية يترصدون به الدوائر و أنهم استأجروا من يقتله حتى لو كان متعلقاً باستار الكعبة، و لذا فانه فانه ثار للحفاظ على حياته

(١) لا يخفى ان السبب الرئيس في ثورة الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الالهي و دفع المخاطر عن الإسلام و التوحيد و الاصلاح في الامة، و كما ورد في زيارة الاربعين: «بذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة و حيرة الضلالة» و اما بيان العلة السادسة فانما هو لكشف حقيقة ان الحسين عليه السلام حتى لو كانت حركته لعدم وجود أمان على روحه في المدينة و مكة، فحركته مشروعة أيضاً بل هي دليل على شجاعة و بطولة الحسين عليه السلام و ابائه و عزته.

الواجب شرعاً و عقلاً، و لتحاشي الاستسلام الذي يجزّئه الى الذلة و حاشاه من الذلّة.

فان قيل: إنّ هذا الخطر الذي توجه الى الحسين عليه السلام انما كان نتيجة عدم بيعته ليزيد، فلو انه بايع يزيد بن معاوية لكان آمناً؟!

قلنا: لا شك في امتناع الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد، لكن هذا الامتناع و الرفض لا يمكنه أن يرقى الى درجة تجويز قتله، إذ إنّ النظام الاسلامي يقتضي أخذ البيعة طوعاً، فالبيعة اختيارية لا بالاكراه خاصة اذا كان الشك و التردد قائماً حول شخصية الخليفة أو من نصب نفسه خليفة المسلمين، و هذا مُسلّمٌ إلاّ عند اهل العامة و السنة خاصة في عصر بني امية و بني العباس، و مراحل الارهاب السياسي و الفكري و ازمة القمع الثقافي المظلمة.

و لقد رأينا في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام و على الرغم من إنّ خلافته كانت ثابتة بالنص و الاجماع، لكنه لم يتعرض باي اذى لاولئك الذين تخلفوا عن بيعته، بل حتى اولئك الذين اعلنوا صراحة عدم رغبتهم بالبيعة لا عذار واهية غير معقولة و لا مشروعة، و حتى اولئك الذين تخلفوا عن جهاد القاسطين و المارقين و الناكثين، لم يلزمهم علي عليه السلام الاشتراك في القتال، فكان الامتناع عن بيعته حقّ يحتفظ به المسلمون خاصة لوجود بعض الشبهات السياسية و الفكرية عندهم. ^(١)

(١) و من جملة المظالم التي ارتكبتها الحكام الذين جاءوا بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، هو أنهم أجبروا أمير المؤمنين و جمع من بني هاشم و الانصار الذين امتنعوا عن البيعة لابي بكر، على البيعة مع ان الممتنعين عن البيعة لم يظهروا اي شكل من اشكال العداء للدولة، فكان هُهم التريث و دراسة الأمر من كل جوانبه و حسب، مما حدّئ بالسلطة و جلاوزتها الى ارتكاب

فلم يتتبعهم أمير المؤمنين عليه السلام مادام الإسلام والمسلمون في مأمن من مكرهم و غدرهم.

و من هنا وجدنا أنَّ الحسين عليه السلام كما جاء في بعض كتب المقاتل، كان قد اقترح على بني أمية أن يتركوه يذهب الى أحد ثغور المسلمين ويكون «له ما لهم وعليه ما عليهم»

اذن، فالتخلف عن البيعة في الفكر الاسلامي، لا يكون سبباً كافياً لتجوز إهراق الدم وإباحة مصادرة الاموال، وكان من حق الحسين عليه السلام أن يتمتع عن البيعة وخاصة:

١- إنَّ محض الامتناع عن البيعة اذا لم يكن توأماً مع معارضة الحكومة و الخروج عليها، جائز و هو حق مسلمٌ للمسلمين خاصة مع الاعتقاد بعدم صلاحية المرشح للخلافة. نعم في عقيدة الشيعة إنَّ الإمام يعيَّن و ينصب من قبل الله تعالى بنصِّ النبي عليه، و إنَّ الامامة منصبٌ الهي و لذا لا يجوز التخلف عن بيعة الإمام المنصَّب من قبله تعالى.

٢- إنَّ التخلف عن البيعة جائز لمن كان نفسه من أهل الحلِّ والعقد و مراجع الامور، و إنَّ عدم بيعته يوجب عدم انعقاد الاجماع، و طبقاً لمذهب اهل السنة لا تكون الخلافة شرعية بدون بيعته، بل هي باطلة، ففرضها على المسلمين يُعدُّ سلباً لحرية الرأي و قهراً للمسلمين كما إنَّ الامتناع عنها لا يُعدُّ تمرداً يستوجب العقاب.

٣- إنَّ البيعة المبتنية على التطميع و التهيب و الوعد و الوعيد، تعتبر بيعة

→ الجرائم الفضيعة في حقهم، و هتك حرمة بيوتهم و ترويع عوائلهم و كل ذلك غير جائز في قاموس الحكومة التي تدعي انها قامت على اساس الشورى و احترام الاراء.

لاغية باطلة، و المنتخب على أساسها لا يمثل المجتمع تمثيلاً واقعياً، و من ثمَّ يجوز الخروج على الحكومة القائمة على مثل هذه البيعة.

و لذلك كله، لو حاول عمال الحكومة، التعرض للمسلمين لمجرد أنهم امتنعوا عن البيعة للمرشح للخلافة، حقَّ للمسلمين الثورة ضدَّهم حفظاً لحياتهم و صوتاً لدمائهم و أموالهم، كما يحق لهم تأليب الناس و دعوتهم الى مخالفة ذلك الحكم. و اما البيعة ليزيد:

اولاً: لقد كان الحسين عليه السلام نفسه من اهل الحلّ و العقد و من رجالات الإسلام و من الصحابة فضلاً عن انه سبط رسول الله ﷺ و ريجانته و سيد شباب اهل الجنة، فاذا كان البناء في تعيين الخليفة على المشورة و الرجوع الى آراء عموم المسلمين و اجماع اهل الحلّ و العقد، فالحسين عليه السلام هو أوّل من يكون لرأيه الأثر الكبير في مشروعية الانتخاب و شرعية الحكم، اذ مع كونه في ذلك المقام السامي الذي يعترف به جميع المسلمين حتى امثال الوليد بن عقبة و مروان بن الحكم و نفس معاوية، فيكون رأى الحسين عليه السلام مقدماً و محترماً و مؤثراً، كما إنّ توجه انظار عامة المسلمين الى رأي الحسين عليه السلام في البيعة، يجعل رأيه هو الميزان و المقياس في شرعية هذه البيعة و عدمها.

فامتناع الحسين عليه السلام عن البيعة مساوق لبطلانها و عدم شرعيتها و نتيجة ذلك عدم شرعية كل النظام الحاكم و الذي يسمى بالخلافة!!

و لو فرض أنّ ضغطاً مورست على مثل هذه الشخصية فاضطرت الى البيعة، لم يعد هناك أيّ مصداقية للاجماع و الشورى و تبقى فقط الفاظاً خاوية لا تحمل معاني سليمة و راءها.

و ثانياً: لو فرضنا - جـدلاً - أنّ الإمام عليه السلام لم يكن من طبقة اهل الحلّ و العقد،

بل كان من عامة المسلمين، فمن قال إنَّ التخلّف عن البيعة يُبيح هتك حرمة و التعرض الى نساته و اباحة اراقة دمه و حرق بيوته و نهب أمواله؟ اذ لو فرضنا صحة بيعة يزيد لم يكن ليزيد على الحسين عليه السلام إلاّ عدم المخالفة و المعارضة، فلا يحق ليزيد و لبني اميّة هدر دم أيّ مسلم لمجرد الامتناع عن البيعة.

ناهيك عن إنَّ بيعة يزيد و باتفاق كل التواريخ و المفكرين، كانت بيعة مستندة الى الاكراه و الجبر و الترغيب و التهيب، و إنَّ اكثر من بايع يزيداً، بايعه تحت بوارق السيوف و الاسنة المشهورة المتهددة المرعبة.

و من بايع طيّعاً، فاولئك الذين انشدت ابصارهم الى المناصب و الامتيازات و الطامعين في جوائز معاوية و هداياه و عطاياه و المتزلفين و المتملقين للحكم الاموي.

و لعمرى، كم صُرفَ من اموال المسلمين و حقوق الفقراء و المعوزين لاختذ البيعة ليزيد؟! و كم من الدماء الزاكيات قد أريقَت بلا ذنب؟ و ما أفضع الجرائم و الظلم الذي مورس لأخذ هذه البيعة المشؤومة؟ و كم من الولايات قد جعلت سَوماً للبيعة لامثال المغيرة بن شعبة و زياد ابن ابيه و عمرو بن العاص و غيرهم؟

إذن، لقد كان من حق الإمام الحسين عليه السلام و سائر اصحابه و الشخصيات الاسلامية أن تمتنع عن البيعة لثلاث تلوث و تتلطح ايديها بدماء الابرياء، و تشترك في تلك المظالم، و لم يكن لأحد حق الاعتراض على المتخلفين و الزامهم بها، فنفس امتناع هؤلاء، خير دليل على جواز التمرد و الامتناع عن البيعة اذ ان امتناع هؤلاء يُعدُّ امتناعاً لاهل الحلّ و العقد، فتكون البيعة باطلة، مضافاً الى أنَّ الجميع كانوا يعتقدون بعدم اهلية يزيد للخلافة و عليه تكون بيعته محرّمة شرعاً.

و بعد كل هذه الادلة على جواز التخلّف عن البيعة، نعود الى أصل الموضوع

وهو الخطر المتوجه الى حياة الحسين عليه السلام وعدم الأمن له ، فانه علّة واضحة ومقنعة لجواز نهوضه وثورته للدفاع عن حياته .

وقد نقلت كل التواريخ الاسلامية إنّ حياة الحسين عليه السلام كانت في خطر وانه لم يأمن على حياته من كيد بني اميّة وحكومة يزيد وكانوا يترصدونه لقتله سواء بايع أو لم يبايع .

و واضح إنّ اسلوب حكومة بني اميّة و يزيد كان بحيث لا يمكن الاطمئنان حتى بعودهم ، فما اكثر من قتله بنو اميّة من زعامات المسلمين لمجرد سوابقهم الجهادية والرسالية ، مع انهم كانوا جلساء بيوتهم ولم يكن لهم ايّ نشاط معاد للدولة الاموية .

ولم يكن بنو اميّة ممن يرعون حرمة العهود والمواثيق ، ولم يكن لهم إلّ ولا ذمة ولا حرمة للامان في قاموسهم ، فهم الذين قتلوا سعد بن ابي وقاص ، وهم الذين قتلوا عبدالرحمن بن خالد على يد ابن أثال المسيحي ، مع أنّ ابن خالد كان اموي الهوى والميول تخوفاً من معارضته لتنصيب يزيد على الحكم ، ولّوا قاتله المسيحي ولاية حمص مكافأة له على قتله !! ضاربين عرض الجدار قوله تعالى : « ما جعل الله للمشركين على المؤمنين سبيلا » و معاوية و بنو اميّة هم الذين اغتالوا سبط رسول الله ﷺ الحسن بن علي بافضع اساليب القتل تخوفاً من معارضته لبيعة يزيد ، لان معاوية كان قد تعهد في معاهدة الصلح ان لا يرشح احداً للخلافة من بعده وأنّ الخلافة تكون للإمام الحسن عليه السلام . فاراد معاوية أن يزيل هذه العقبة من طريق يزيد .

و عندما أراد معاوية استخلاف ابنه يزيد استشار بعض السياسين فلم يجد الموافق على ذلك حيث اعترض عليه أمثال الأحنف ابن قيس بان يزيد لا يقاس بأمثال الحسن والحسين وأن محبوبة الحسن عليه السلام في قلوب المسلمين قد تفوق محبوبة

أبيه علي بن أبي طالب. فاستخلاف صبي نزق مشهور باللعب و الطرب و شرب الخمر كيزيد يعدّ خيانة للمسلمين.

إنّ معاوية و بني اميه استخفوا بكل الشروط و الموائيق التي قطعوها على انفسهم في معاهدة الصلح مع الامام الحسن عليه السلام فلم يكن حبر المعاهدة قد جف بعد حتى خطب معاوية في الكوفة قائلاً:

يا أهل الكوفة أتراني قاتلتكم على الصلاة و الزكاة و الحج و قد علمت انكم تصلّون و تركون و تحجّون ، ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم و على رقابكم و قد آتاني الله ذلك و انتم كارهون . إلا إنّ كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فطول و كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين .

هكذا (كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين) و الله يقول : و أفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً .^(١)

فهؤلاء هم الذين أمّوا مسلم بن عقيل عليه السلام و لم يفوا بامانهم له و قتلوه بتلك الوحشية . ولذا فان الإمام الحسين عليه السلام قال لقيس بن الاشعث يوم عاشوراء : « انت أخو اخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم باكثر من دم مسلم » جواباً له حينما قال له قيس : انزل على حكم بني عمك فانك لا ترى منهم إلا ما تحب !!^(٢)

فكيف يطمئن الحسين عليه السلام الى امان هؤلاء الاوغاد الذين عجن طينتهم بالغدر و المختل ، فان ذلك محال في حق عامة الناس فكيف بالحسين عليه السلام المطلع الضليع باحوال و اخلاقيات بني امية و مكرهم و غدرهم و فسقهم ، و هو العالم بعلم

(١) العدالة الإجتماعية ص ١٩٩ .

(٢) الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ١١٠ .

الامامة والولاية والذي أطلعّه الله على اسرار حوادث المستقبل؟
 اذن، فحتى لو كان الحسين عليه السلام قد بايع يزيد، لم يكن يأمن على حياته،
 لخطورة موقعه في الامة و شرف مقامه في قلوب المسلمين ولانه مظهر الايمان و
 مجسد الإسلام الذي اراد بنو امية محوه و طمس معالمه و آثاره.

ولكي نقف على حقيقة المخاطر التي كانت تهدد حياة وامن الحسين عليه السلام وانه
 لم يكن امامه سوى الخروج والدفاع عن نفسه، يكتفي قراءة ما قاله الحسين عليه السلام
 لكبار الصحابة في المدينة ومكة، فلا أحد اعرف بحقيقة الأمر من الحسين عليه السلام نفسه،
 فالدفاع و الثورة كان تكليفاً شعر به الحسين عليه السلام واما احرار الموضوع و الشرائط
 فالحسين عليه السلام اعرف بها، فكان الحسين عليه السلام يصرح بأن بني امية قد صمموا على قتله،
 و لم يكن من الصحابة إلا تصديق الحسين عليه السلام بذلك لان حقائق الامور كانت
 واضحة جلية، و من جملة مقولاته عليه السلام قوله لابن الزبير في مكة:

« و أيم الله لو كنت في حُجْر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم ، و الله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت . »^(١)

يقول صاحب الدرر النظيم: روى جعفر بن سليمان قال: حدثني يزيد
 الركسي قال: حديثني من شافة الحسين عليه السلام بهذا الكلام قال: حججت فأخذت
 ناحية من الطريق اتعسف الطريق فدفعت الى ابنية و اخبية فاتيت أدناها فسطاطاً
 فقلت: لمن هذه الاخبية؟ فقالوا: للحسين بن علي. فقلت: ابن فاطمة بنت رسول
 الله؟ فقالوا: نعم. قلت: في أيها هو؟ فأشاروا الى فسطاط. فأتيت الفسطاط فإذا هو
 قاعد عند عمود الفسطاط و اذا بين يديه كتب كثيرة يقرأها فسلمت عليه فقلت:

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٧٦.

بأبي أنت و أمي ما أجلسك في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس ولا منفعة؟ قال: إن هؤلاء (يعني السلطان) أخافوني وهذه كتب اهل الكوفة اليّ وهم قاتليّ. فاذا فعلوا ذلك لم يتركوا الله حرمةً إلاّ انتهكوها. فيسلط الله عليهم من يذلّهم حتى يتركهم اذلّ من قرم الأمه (قال جعفر: فسألت الاصمعي عن ذلك فقال: هي خرقة الحيض التي تلقىها النساء وقد فعل الله ذلك بأهل الكوفة حين خذلوا الحسين عليه السلام وأسلموه حتى قُتل فسلط الله عليهم الحجاج فأذلّهم وأهانهم. (١)

وقال له ابو هرة الازدي لماذا تركت حرم الله و حرم جدك؟
فاخبره الامام عليه السلام بأن بني اميه أخذوا امواله فصبر و جرّعوه الغصص و صبر وهم الآن يريدون قتله و اوراق دمه و انتهاك حرمة البيت و إنه لن يصبر على ذلك. (٢)

و امثال هذه الكلمات التي تدل على احساس الإمام الحسين بالخطر الجدي المتوجه الى حياته و الى هتك حرمة المدينة و مكة المعظمة، كثيرة و قد وردت في عدة مناسبات على لسانه عليه السلام و هي مدونة في كتب التاريخ (٣).

بين الحكومة و السياسة

قد يقال: لما كان هدف الحسين عليه السلام هو اقامة حكومة اسلامية و اسقاط حكومة يزيد، فهذا يعني انه ثار لاغراض سياسية أيضاً، اذ كيف نفسر قبوله لدعوة

(١) نظم درر السمطين ص ٢١٤. القمقام الزخار ص ٣٤٥.

(٢) القمقام الزخار ص ٣٤٧.

(٣) راجع تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٦٩ و ص ٢٨٩. تذكرة الخواص ص ٢٥١. الكامل ص ٢٧٦.

مقتل الخوارزمي ص ٢١٩.

اهل الكوفة بقلب الحكم؟ ولماذا ارسل ابن عمّه مسلم بن عقيل اليهم؟

الجواب:

اولاً: إنّ الثورة لتشكيل حكم قائم على اساس العدالة الاسلامية و ضمان حسن تنفيذ احكام الدين و القوانين الاجتماعية و الاقتصادية و العمل بكتاب الله المجيد و اصلاح المجتمع و الامة، إذا كان من مثل الحسين عليه السلام فإنه عين السياسة الرسالية بفهومها السليم و المعقول و الواقعي، ففرق بين هذا النمط من السياسة و بين سياسة الاحتيال و الفتن و الغدر و المكر و الكذب، تلك السياسة التي يقصد منها الاعداء التفرد بالسلطة و الحكم و استعباد الناس و لا مجال للمقايضة بينهما.

فالسياسة الهادفة الى ارساء قواعد حكومة إيمانية تحفظ حقوق كافة افراد المجتمع و تؤمن لهم الحريات و المساواة، هي سياسة الهية و الحكومة المنبثقة عنها هي حكومة الهية شأنها شأن حكومة النبي صلى الله عليه و آله.

و أمّا السياسة المعروفة في عصرنا الحاضر و التي تعني السعي للسلطة من اجل التسلط على رقاب الناس و نهب خيراتهم و استغلالهم، فواضح بطلانها و قبحها.

إنّ السياسة السليمة هي سياسة علي عليه السلام، فهل تقارن سياسة علي سياسة معاوية؟! فكلاهما كان يحارب، و كان لكليهما جيش، لكن اين الثرى من الثريا؟ لقد كان علي عليه السلام يجاهد لكي تكون «كلمة الله هي العليا» و يقاتل لتحكيم أحكام الله على الجميع، و ليقم العدل و المساواة و الحرية.

و اما معاوية فكان يقاتل كما كشف هو عن نواياه مراراً - من اجل السيطرة و الهيمنة على مقدرات الامة الاسلامية و من اجل السلطان و الجاه و التسلط على الناس و اموالهم و ارواحهم و ناموسهم، و ليدبر الامور كما يحلو له لا كما يريد الله و

تريده الشريعة .

اذن، إن كان المراد من السياسة، سياسة معاوية وعمر بن العاص ويزيد، فهي سياسة مذمومة منكورة، والخوض فيها محرّم وممارستها ممنوعة لسوق العبد الى هاوية جهنم، وإن كان المقصود منها سياسة النبي ﷺ ومنهجه في تشكيل الحكم، و سياسة علي عليه السلام، فانها من اعلى مراتب صفات الكمال الانساني .

فاشترك الامة ونظارتها على ادارة الحكم وتنفيذ المقررات واجراء العدالة والنظم الصحيحة، وصياغة مجتمع مترقٍ وتشكيل حكومة صالحة تتوزع فيها المسؤوليات بعدل وكفاءة، يعدُّ من أولويات المنهج الاسلامي الراقي، ولم تكن مثل هذه السياسة منفصلةً يوماً ما أبداً عن الدين، وما يشاع على بعض اللسن الجاهلة والمغرضة من «ضرورة فصل الدين عن السياسة» انما هو مبتغى الاستعمار واعداء الإسلام الذين يسعون الى تجزئة الإسلام و اضعافه و حصره في دائرة التعبد و الطقوس الفارغة من المحتوى والمعنى، والذين يحاولون الحدّ من وحدة المسلمين و اعادة هيكلة الدولة الإسلامية و عظمة الإسلام، و تطبيق الاحكام الاسلامية، و ابدالها بقوانين الغرب و الشرق الكافرة و ترويج الاخلاق الفاسدة المنحرفة بين المسلمين .

فلو أنّ مسلماً ظن أن حدود الإسلام تنتهي بالطقوس و المراسم الروحية و المعنوية، و ينكر اهلية الإسلام لخوض الادارة و الاعمار و القضاء و الحرب و السلم مطابقا للموازين الشرعية المقررة في الفقه - فهو ليس بمسلم بل يُحكم بكفره لانكاره ضرورة من ضروريات الدين .

إنّ الاعتقاد بان الإسلام شاملٌ لكل مسائل الحياة الاجتماعية و الفردية و انه دينٌ و عقيدة و وطن و حكومة و قانون و روحانية و سياسة و صلحٌ و حربٌ و انه

ليس منفصلاً عن اي جانب من جوانب الحياة، هذا الاعتقاد يجب ترسيخه في النفوس و افهامه لكل مسلمي العالم.

فعلى كل مسلم (و خاصة كوادر المجتمع الاسلامي) أن يلتفت الى وجوب رعاية تقدم الإسلام و اجراء الاحكام و عزّة المسلمين، في كل حركاته و سكناته، في سكوته و نطقه و فعله و لفظه.

و بناءً على هذا، فلا شكّ في أنّ تشكيل حكومة اسلامية في الظرف الذي عاصره الحسين عليه السلام و استلام زمام امور الدولة الاسلامية و اجراء احكام الشريعة كان يمكن ان يتحقق من خلال اسقاط حكومة جائرة كحكومة يزيد، و لو ان شخصية كالإمام الحسين عليه السلام و هو امام منصوص على امامته و يتمتع بكفاءة في اعلى مراتبها و ذو صلاحية و صلاح متفق عليه من قبل كل المسلمين، قامت بتشكيل حكومة اسلامية، لكانت تلك الحكومة قادرة على القضاء على كل المفاسد الاجتماعية و السياسية الموجودة في ذلك الوقت، و لارجعت الإسلام الى مسيره الاصيل و تقدمت بالمجتمع الإسلام خطوات سريعة و راسخة الى التطور و الرقي.

اذن، في حالة استجابة الناس و تفاعلهم مع دعوة الحسين عليه السلام و نصرتهم له، تكون اذاحة يزيد و تشكيل حكومة اسلامية، واجب شرعي مقدسي، و ان هذا الهدف و الغرض لا يُعرّي الثورة من حقيقتها و خلوصها و نزاهتها و اسلاميتها و كونها ثورة اصلاحية، و لا يتهمها بالانانية و السلطوية و الفتوية.

فهذا الاصل، اي أصل تأسيس حكومة اسلامية في حالة اشتراك عامة المسلمين كان يستحق من الحسين عليه السلام أن يثور من اجله و لعلّه كان اقرب الطرق الى تحقيق اهداف الحسين عليه السلام، و لكن و لان الحسين عليه السلام كان يعلم بعلم الامامة و من خلال الظروف و الاحوال السياسية و الاجتماعية المحيطة به، ان الاستجابة من

الناس لدعوته ستكون ضعيفة، لذلك قرر إيصال صوته عن خلال مظلوميته و ردة فعل المصائب التي سيتحملها على المجتمع، فاراد ان يوقظ ضمير الأمة السابت من خلال تضحياته و فدائه و مظلوميته و مظلومية اهل بيته و اصحابه .

و ثانياً: إنّ الاستجابة لدعوة اهل الكوفة و ارسال مسلم بن عقيل اليهم انما كانت بعد موت معاوية و استخلافه ليزيد المعروف بفسقه و انحرافه و فجوره، و كان الاحرار من المسلمين في حيرة و ضياع و لم يتحملوا فضاة عواقب هذه البيعة القهرية، و كان العالم الاسلامي بنظر الناس (إلا من شدّ من مرتزقة الحكم الاموي و المنتفعين و الانتهازيين) بلا خليفة و امام، اذ ان وجهة نظر اتباع اهل البيت عليهم السلام هو ان الإمام الحسين عليه السلام امام قد نُصَّ على امامته من قبل النبي الاكرم ﷺ و من وجهة نظر غيرهم فان حكم يزيد لم يكن مشروعاً، اذ إنّ استخلافه من قبل معاوية لم يكن مبتنئاً على رعاية مصلحة المسلمين، كما ان اهل الحلّ و العقد لم يمضوا هذا الاستخلاف مع إنّ رأيهم كان ميزاناً و مقياساً يُرجع اليه في مثل هذه الحالات، و اما من بايع يزيد منهم فبين ساكت عن الحق خوفاً من سيوف امثال زياد بن ابيه و مسرف بن عقبة، و بين طامع طمعاً بالجوائز و الهبات و الاموال و المناصب، فقد احسّ معاوية الامتعاض من بيته قبل ان يحسّه من الغرباء عنه، و حتى مروان بن الحكم - و هو اقرب الاقرباء الى معاوية - حيث بلغته دعوة العهد ليزيد اشتدت نقمته و خالف تلك البيعة و كتب الى معاوية «أنّ قومك قد أبوا اجابتك الى بيعتك» فعزله معاوية عن ولاية المدينة و ترصّاه ما استطاع و جعل له الف دينار كل شهر و مائة دينار لمن كان معه من اهل بيته. (١)

و بنحو عام، كان عامة الناس (إلا من تخوف من حدّ السيف او الذين استهوتهم اموال معاوية) ناقلين على هذه البيعة، و غير مقتنعين بوجوب الطاعة و حرمة الخروج على يزيد.

و من جهة اخرى فلقد كان الحسين عليه السلام ابرز شخصية عرفها المسلمون توفرت فيها كل الكفاءات و المؤهلات للخلافة و قيادة الامة، فلقد كانت الانظار متجهة اليه و الاعناق ممتدة نحوه لتأسيس حكومة شرعية و لقيادة الامة و هدايتها، فلو امتنع الحسين عليه السلام عن أخذ حقه الذي يعترف له به الجميع، و لو انه رضي بذلك الوضع المؤسف و الاضطراب الاجتماعي و السياسي و قبل بذلك الفراغ الاداري، لأعطى الحجة للجميع في سكوتهم و خنوعهم و لاضفى مشروعية على حكم يزيد و شهادة منه له أنه نعم الخليفة المامول.

اذن، ما كان ينبغي على الحسين عليه السلام فعله أولاً هو الامتناع عن البيعة و فسخ المجال للمسلمين للاقدام على انتخاب الحكومة الاسلامية و اتمام الحجة عليهم، و في المرحلة الثانية أن يدعوهم الى بيعته هو لتشكيل الحكومة الاسلامية.

ولذلك، قبل الحسين عليه السلام دعوة اهل الكوفة بعد أن توالى كتبهم و رسلهم اليه تدعوه الى تولي الامور بنفسه و اظهروا الانقياد و الانصياع لاوامره و اعلنوا الطاعة و الاستعداد للقداء و التضحية للخلاص من الضياع الذي تركه فراغ السلطة، و كانهم بذلك قد القوا الحجة عليه و اتموها، مما دعى الحسين عليه السلام الى الاستجابة و ارسال ابن عمه مسلم بن عقيل لتقصي الحقائق و دراسة الامور.

و من الواضح، ان كل هذا الاصرار و اعلان الاستعداد من قبل اهل العراق كان فرصة تاريخية لاعادة الامور الى مجاريها و اصلاح ما فسد منها، مما اضطر الحسين عليه السلام الى العزم على الخروج الى العراق فلو لم يستجب الحسين عليه السلام لتلك

الصرخات والاستغاثات، لترك الناس في حيرة وضياع، فلم يكن للحسين أن يمتنع عن الاجابة مع كل تلك التأكيدات من قبلهم، ولم يكن له ان يستند الى خذلانهم لابييه و اخيه في مرحلة سابقة اختلفت فيها الظروف و الاوضاع عن مرحلته.

و لم يكن بمقدور الحسين عليه السلام أن يطلب من أهل الكوفة - كما اقترح البعض - أن يطردوا حاكمها و يسيطروا على ادارة البلد، ثم يسير اليهم!! فان الحسين عليه السلام كان يعلم بان اهل الكوفة سيوقولون له: إن كل حركة و ثورة و نهضة تحتاج الى قائد ميداني و إلا فشلت تلك الحركة، مضافاً الى انه لم يكن من شيم الحسين عليه السلام أن يطلب منهم الثورة و القتال و التضحية و الفداء، حتى يأتي هو و يحكم على انقراض اجسادهم!! فان كل ذلك كان يُعدُّ عرفاً، تهرباً من الجهاد و الوظيفة الرسالية.

لقد كان لسان حال اهل الكوفة و الذين كتبوا للحسين عليه السلام: «إننا بلا امام و بلا قائد و إنَّ العالم الاسلامي في حيرة و ضياع، و إنَّ الاخطار تحدد بالامة الاسلامية بعد استخلاف يزيد» و وضعوه امام المسؤولية الشرعية.

فكان على الحسين عليه السلام أن يستجيب حتى لو كانوا من اهل السوابق في الخدع و الخذلان، و كان الإمام الحسين عليه السلام يقول كما ورد في بعض كتب المقاتل: «مَنْ خَادَعَنَا فِي اللَّهِ إِنِجْدَعْنَا لَهُ»

إن استجابة الحسين عليه السلام لدعوة اهل الكوفة و تشكيل الحكم الاسلامي و ارسال مسلم بن عقيل، لم يكن من نوع السياسة المذمومة و بمعنى طلب الزعامة و السلطة، بل هو من نوع الامتثال للتكليف الشرعي و السياسة المحمدية الاصلية الصحيحة.

ولذا، و مع أن الحسين عليه السلام، و بعلمه الخاص كان متيقناً من النتيجة، استجاب

لاهل الكوفة لالقاء الحجة عليهم، فارسل مسلم بن عقيل.

وجاء مسلم الى الكوفة، جاء ولم يحمل معه الهدايا والجوائز والرشا الى رؤساء قبائلها وزعمائهم^(١)، ولم يعد احدى بوزارة أو امارة أو ولاية، ولم يتهدد احداً بقتل أو تشريد أو سجن، بل بدأ نشاطه في جو من الحرية والاختيارية، وكما نعلم فانه استقبل بحفاوة و تكريم يكشفان عن تلك الاحاسيس والعواطف الجياشة التي عبروا عنها في كتبهم الى الإمام الحسين عليه السلام وعن تفاهم بقدمه، ونفرتهم الشديدة من بني امية هذا وقد بايعه اكثر من ثمانية عشر الفاً منهم وفي بعض التواريخ إنَّ العدد وصل الى ستين الفاً، باختيار ورغبة وشوق، فصارت قيادة الإمام الحسين عليه السلام رسمية شرعية، اذ لم يبايع اهل الحل والعقد احدى غير الحسين عليه السلام ناهيك عن عامة المسلمين، وحتى على مقياس من يرى البيعة بالاجماع، صارت البيعة للحسين عليه السلام شرعية واصبح هو الخليفة الشرعي، فلقد كانت بيعة واقعية اختيارية بكل مال للكلمة من معنى.

ولكن وللأسف الشديد، كان حب الدنيا والمال والذهب من جهة، والخوف من الفداء والتضحية من جهة اخرى، قد أخذ ما خذهما من نفوس الناس، فعاقهم ذلك عن الصمود ساعة الشدة والامتحان، فابتلوا بخيانة العهد ونكث البيعة و الخذلان مما اورثهم ذلاً و عاراً يصعب التخلص منه على مدى الاجيال.

ومن الطبيعي، ان ما قام به الحسين عليه السلام من استجابة لدعوة المستغيثين و المهوفين كما جاء في كتبهم و على لسان رسلهم اليه، و ارسال مسلم اليهم ثم

(١) كان مسلم بن العقيل قد اقترض مبلغ ٧٠٠ درهم لخارجه الخاصة، وقد أوصى عند استشهاده بدفعها من ثمن سيفه و لامته (ابو الشهداء ص ١٤٦).

خروجه بنفسه على العراق، إنما كان بحسب الظاهر لتشكيل حكومة اسلامية و اغاثة المستغيثين، ولكن لما كان واقع الامر و باطن الحقيقة معلوماً للحسين عليه و لانه كان ينفذ ما نفذه الانبياء و الاولياء، قَبِلَ دعوتهم و اتمَّ الحجة عليهم، عملاً بمفاد الآية الشريفة: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةٍ وَ يُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتَةٍ» بالضبط كفائدة دعوة الانبياء «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» كذلك كانت فائدة ثورة الحسين عليه و استجابته، لئلا يكون للناس حجة يوم القيامة على الله و على الإمام. لقد اثبت خذلان اهل الكوفة و أحداثها أنَّ تشكيل حكومة اسلامية غير متيسرٍ في ذلك الظرف، و انَّ طريق دفع المخاطر عن الإسلام ينحصر في الامتناع عن البيعة و بالتسليم و الاستقامة و الاعداد لثورة فكرية عقائدية، و بتهييج المشاعر، و التضحيات من اجل افشاء مخططات بني امية.

و المحاصل: إنَّ الجواب على ذلك هو أنَّ يقال: إنَّ حفظ الإسلام كان منحصراً في أحد طريقتين:

الاول: تشكيل حكومة اسلامية عادلة و اسقاط حكومة بني امية و يزيد.
الثاني: التضحية في طريق الامتناع عن البيعة و الاستسلام، و خوض طريق الشهادة و المظلومية.

و لما لم يمكن سلوك الطريق الاول لعدم وفاء الناس و خذلانهم، اختار الإمام عليه و منذ البداية الطريق الثاني، مستفيداً من المشتركات بين الطريقتين مادام خذلان الناس له لم يصل الى العلن و التحقق.

اذن، فتشكيل الحكومة الاسلامية، و إن كان هدفاً مقدساً و طلبه لا يُخلُ بمقام الحسين عليه و قد استه بل كان عين الصواب و الحق، لكن و لان الحسين عليه كان يعلم منذ البداية بعدم تحقيقه، لا يمكننا أن نقول بان تشكيل الحكومة كان من جملة اسباب

و دواعي ثورة الحسين عليه السلام.

دفعُ توهم

إنَّ من يطالع تاريخ الثورة الحسينية يجذب بشدة الى روح الفداء و طلب الحق الذي جسَّده الإمام الحسين عليه السلام و لا يشكُّ أحدٌ أبداً في نزاهة الثورة و تجرّدها من المكاسب الدنيوية، بل سيتضح جلياً له أنَّ الحسين عليه السلام الذي ضحَّى بنفسه و اولاده و أصحابه، إنما ثار من أجل تصحيح القيم و اصلاح الامة.

و قد عجز كل من حاول المساس بقدسية هذه النهضة، من أعداء الإسلام و أعداء اهل بيت النبي صلى الله عليه و آله و من اولئك المتنكرين للحق، و اذئاب المستعمرين و بعض المستشرقين و المأجورين مثل «لامنس» الذين دافعوا مستميتين عن بني امية و يزيد، سعيّاً منهم لاضلال و استغفال البسطاء من عامة الناس و السدج و الهامشين، مفترين على قائد هذه النهضة للانتقاص من شخصيته الرسالية الفريدة. و لا ريب في فشلهم و عجزهم ذاك، اذ انَّ سلاح الافتراء و التهم اذا كان قاطعاً في بعض الموارد، فانه كالل في هذا المورد بالذات، بعد وضوح توضحيات الحسين عليه السلام الخاصة التي كشفت على الحقائق و دفعت كل إبهام و خلل محتمل.

و لقد وصل الحسين عليه السلام الى درجة من الكمال عجز معها حتى بنو امية من التجاسر قط على المساس بورعه و تقواه و رعايته لاحكام الدين في اصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً و علانية و حاولوا أن يعيبوه بشئ غير خروجه على دولتهم فقصرت السنتهم و السنة الصنائع و الاجراء دون ذلك، فاضطر كل منهم الى التبري من عار و شنار قتله الفجيع و انكار مشاركته في ذلك، و كان كل منهم يلقي باللائمة على غيره، و لكنهم لم يفلحوا في اقناع الامة الإسلامية ببراءتهم.

و حاول بعض المؤرخين و ضعاف الفهم و لاغراضٍ خبيثة ان يقلل من أهمية هذه النهضة و قداستها، و من جملة هؤلاء و لعله الوحيد من القدماء في إنحرافه الفكري و الضلال هو ابوبكر بن العربي الذي ينسب اليه قول:

«إِنَّ حُسَيْنًا قُتِلَ بِسَيْفٍ جَدِّهِ»^(١)

و هذا القول، و إن كان ظاهراً في الدفاع عن قتلة الحسين عليه السلام الذين ارتكبوا باجماع الامة- أفضع الجرائم و الجنايات و اشتروا غضب الله و الرسول و الشقاء في الدنيا و الآخرة و خسرنهما، و لكن ما هو وراء هذا الدفاع أعظم ألا و هو اساءة الأدب و التجاسر على 'مقام النبي الاكرم ﷺ' الشايع.

لقد ظن ابن العربي ان سيف الرسالة و النبوة، هو سيف الضحاك و جنكيز خان، و قد قُتل الحسين عليه السلام به!!

إنَّ ابن العربي يريد أن يقول: إنَّ سيف الظلم و الجور الذي كان بيد بني امية، هو سيف النبي ﷺ !!

انه يقول: إنَّ السيف الذي شهره معاوية و اراق به دماء الابرياء و اجلَّة الصحابة و التابعين هو سيف النبي ﷺ !!

انه يقول: إنَّ السيف الذي قُتل به عمار بن ياسر و أويس القرني و خزيمه ابن التيهان و حجر بن عدي و سائر شهداء مرج راهط، و رشيد الهجري و ميثم التمار، هو سيف رسول الله ﷺ !!

إنَّ ابن العربي يقول: إنَّ السيف الذي قام بمذبحة المدينة في الحرَّة و اراق دماء الصحابة في حرم النبي ﷺ و هتك المقدسات الإسلامية و تعرض لنواميس المسلمين

و أعراضهم العفيفة ، هو سيف النبي !!

فهو يقول : إنّ السيف الذي كان بيد يزيد و ابن زياد و مسلم بن عقبة و بسر ابن ارطاة و الحصين بن النخعي و الحجاج بن يوسف و الوليد و امثالهم من الجلاّدين و القتلة ، هو سيف محمد بن عبد الله ﷺ !!

« لا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله و إنّ الله و إنّ اليه راجعون »

و يحق لنا ان نبكي بدل الدموع دما على مثل هذه البليّة حين يكون في المسلمين مثل ابن العربي الذي يصل به العداء للنبي و اهل بيته الى هذا الحدّ .
فهل هناك تجاسر و اهانة و شتيمة للنبي و الإسلام أكبر من جسارة ابن العربي ؟!

لا ، يا ابن العربي ! إنّ الحسين عليه السلام و اصحابه و اهل بيته و كل من هبّ لنصرة الحق و الدين ، لم يقتل بسيف رسول الله ﷺ .
إنّ الحسين عليه السلام قُتل بسيف عتبة و شيبة و الوليد و المشركين الذين حاربوا الإسلام .

لقد قُتل الحسين عليه السلام بسيف الكفر و الجاهلية ، بسيف ابي سفيان و ابنائه ، ذلك السيف الذي شهر في بدر و احدٍ و الاحزاب ضد المسلمين ، إن السيف الذي قتل الحسين عليه السلام هو نفس السيف الذي قتل حمزة عمّ النبي الاكرم ﷺ ، انه سيف معاوية و عمرو بن العاص و مروان الطريد ، إنّ السيف الذي قتل الحسين عليه السلام هو سيفكم أيّها الكتاب المتملقون المتلونون .

و أخذ هذه الاقلام الخبيثة المغرضه هو محمد خضري بيك صاحب كتاب «محاضرات تاريخ الامم الاسلامية» الذي خان الإسلام في كتابه المشؤم هذا .

هذا الرجل الناصبي المستميت في الدفاع عن بني اميّة عامة و معاوية و يزيد

خاصة، يعتبر ثورة الحسين عليه السلام تطرفاً وإنتحاراً سياسياً، وبعيدة عن الحزم وبعيد النظر، و اتخذاعاً بالعراقيين!!

ويستمر هذا الكاتب بتسطير جمالات الاعتراض والانتقاد لثورة الحسين عليه السلام بدلاً من توبيخ ومحاسبة بني أمية وخاصة معاوية الذي تسبب في فرقة المسلمين واختلافهم، والذي خرج على خليفة زمانه الحق، واستخلف ولده يزيد الفسق والمجون، متبعاً طريقة كسروية قيصرية في ولاية العهد!!

وليت خضري بيك سبكت ولم يوبخ، وإنما نراه يحمل بشدة على النهضة الحسينية ضد يزيد.

وفي خاتمة مقاله يتخبط ويقول: لقد ثار الحسين على يزيد قبل أن يصدر عنه أي ظلم وجور!!

ونقول لهذا المتملق: إن مثل الحسين عليه السلام الذي عرف المسلمون والعالم الاسلامي كله، فضائله ومناقبه من خلال ما وصلهم من اخبار واحاديث متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يكون احتمال خطأ معدوماً تماماً، كما ان صوابه وسلامة موقفه، هو المرتكز الراسخ في الفكر العام عند المسلمين، وفي زمننا المعاصر، أطبق العقلاء ورواد المجتمع العالمي على ضرورة مقارعة الظلم والجور والاستغلال والاستعباد، وإن حياة وبقاء الامم مرتين بمقاومتها للظالمين، وإن طريق الحسين عليه السلام ونهجه هو الطريق الأصح فهم يعتبرونه عليه السلام امام الاحرار وسيد المضحين في سبيل خلاص و انقاذ البشرية والداعين الى الاستقلال والحرية والاصلاح، ولا يعنني احد بسفستائية الخضري الناصبي، بل يلعنون امثاله من الكتاب الذين يروجون الهراء.

ورغم ذلك، ومع أن الاستاذ محمد رضا رشيد قد رد في كتاب «الحسن والحسين سبطا رسول الله» على «خضري بيك»، لكننا سنجيب على تخروصاته ببعض

الاجوبة:

١- انه خضري بيك، ظنَّ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام خرج من اجل السلطان و اعتبر إنَّ عدم تحقق هذا الهدف المزعوم، دليلٌ على قلة الحزم و التخطيط، و عدم اعداد العدة و العدد، و لذا اعتبر حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة افراتية متسعة غير مدروسة.

و لكن و كما اشرنا مراراً؛ إنَّ ثورة الحسين عليه السلام بشهادة أرباب القلم الحرِّ و مفكري العالم الاسلامي، لم تكن حركة سياسية محضة من اجل السلطان و الزعامة، و قد كان الحسين عليه السلام مطلعاً على عواقب حركته و خواتمها، و كان قد أطلع الآخرين على تلك الخاتمة، فالحسين عليه السلام كان يرى أن واجبه الشرعي يدعوه للخروج و الثورة و إن البيعة ليزيد محرمة و إن التخلف عنها واجبٌ مقدمي و إن كلفه حياته. فالإمام الحسين عليه السلام هو الشخصية الاولى في الامة الاسلامية، و كان يتمتع بكل مؤهلات زعامة و امامة الأمة، فهو من بيت النبوة و الرسالة، و هو العارف بصلاح الامة و الحريص على مستقبلها، فكيف يرضى باستخلاف شاب فاسق و جاهلٍ متجاهر بالاثم و المعاصي؟

و اذا وجب الامرُ بالمعروف و النهي عن المنكر، كان الحسين أولى من غيره بالقيام بهما، و أوَّل من يجب عليه العمل على محو الفساد و الظلم من المجتمع الاسلامي حتى لو كلفه ذلك غالياً.

فمن أولى من الحسين عليه السلام بالجهاد و الفداء في سبيل الحفاظ على الدين و الدفاع عن الشرع؟

و الحسين عليه السلام كان يرى التضحية و الشهادة واجبةً في طريق اقامة الحق و احيائه و اماتة الباطل و ازهاقه، و لذلك قال:

« لا ارى الموت إلا سعادةً ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً »

وقال عليه السلام :

« لا أُجيبُ ابن زيادٍ فَهَلْ هُوَ إِلَّا الموتُ فَرَحاً بِهِ »

لقد أخذ الخصري بيك من جهة مقايسته ما بين ثورة الحسين عليه السلام وبين حركات السياسيين الطامعين بالزعامة والملك، فاعتبرها انتحاراً سياسياً، وحركة عشوائية متسركة، مع إننا أوضحنا في الفصل الاول لهذا القسم من الكتاب، ان ثورة الحسين عليه السلام كانت امراً إلهياً، واداءً للتكليف الشرعي، وأمورية سماوية، لا تُقاس بالمحركات ونهضات الانبياء والاولياء، التي لا تستند الى القوة المادية والظاهرية.

لقد قام نبي الله ابراهيم عليه السلام الأعزل من السلاح والجيش والناصر والمعين، ضد أعتى جبار في زمانه وهو الفرو، فاستخف بالهتهم وكسر اصنامهم وجعلها جذاذاً.

وهذا موسى كليم الله عليه السلام، الراعي الفقير، يقف أمام جبروت فرعون مصر ودعواه الربوبية، ويأمره بان يتخلى عن هذا الادعاء، وان يترك استعباد الناس، وأن يخلى بينه وبين بني إسرائيل، واعتبره ضالاً، ولم يكن مع موسى جيش ولا عدة، إلا هرون اخوه.

وهذا رسول الله محمد ﷺ ولوحده قد حمل راية الدعوة الى التوحيد الى جبابرة ومستكبري العرب والعجم، والقبائل المشركة المتوحشة التي كانت تسجد لثلاثمائة وستين صنماً؛ وأرسل الرسل الى ملوك فارس وقيصرية الروم يدعوهم الى دين الله.

وهذا يحيى بن زكريا النبي عليه السلام دعا الناس الى الله، فقتل وأُهدي رأسه الى

بغى من بغايا بني اسرائيل .

و الحسين عليه السلام دعى الناس الى الحق والعدل والى دين جدّه فقتل وأهدى رأسه الى يزيد الطاغية .

وهكذا زكريا وسائر الانبياء الذين قتلوا أو كُذِّبوا، لم يعتمدوا الاسباب الظاهرية المادية في دعوتهم .

فهولاء جميعاً ما قاموا إلاّ امتثالاً لامر الله والتكليف الشرعي، ولم يدفعهم حبّ الغلبة والسلطان، فسواء عليهم النصر أو الهزيمة الظاهريّين، ماداموا يؤدون تكليفهم .

ولقد كان في أزمانهم مَنْ يتهمهم ويفتري عليهم بالافراط والعجلة وعدم الحزم والتخطيط، و الاقدام على التهلكة والقتل، بل ان الناس استهزؤا بهم و آذوهم واتهموهم بالجنون والتخبط!!

ذلك لان الجهال لا يميزون بين طالب حق و طالب سلطان، و يظنّون ان الحركات التمردية الاصلاحية المستندة الى وجوب الامتثال لله و اوامره، و الداعية الى الفضيلة و العدالة و الحق و اتمام الحجة، هي مماثلة للحركات الدنيوية السياسية القائمة على اساس حبّ الدنيا و السلطان و الزعامة و النفع الشخصي .

٢- ما قاله الخضري بيك من انّ الحسين عليه السلام لم يعط يزيداً الفرصة الكافية لاثبات جدارته، و انه عليه السلام خرج عليه قبل ان يصدر ايّ ظلم و جور من يزيد، و كان الافضل أن يسكت الحسين و يصبر و يُضي حكومة يزيد، ليعتلي يزيد دفة حكم جائرٍ ليعمّ العالم جورّه و ظلمه و جرائمه و فساد، ثم ينهض ضدّه؟!

هذا الذي تشدّق به الخضري ناجم عن ظنه الخاطيّ بمجهل الإمام الحسين عليه السلام لشخصية يزيد و صفاته، و ان المسلمين لم يكونوا يعرفون من هو يزيد بن ميسون .

إنَّ يزيد بن معاوية كان مشهوراً بفساد اخلاقه و قبائح فعالة، و معاقرة الخمرة و لعبه بالقردة و الكلاب و تجاهره بالفجور و المعاصي، مستحلاً لحرم الله، و لم يمتنع من امتنع عن بيعته زمن أبيه - على رغم مخاطر التمرّد - إلاّ بعد ان عرفوا من هو يزيد بن معاوية، و انه لا يصلح لادارة قرية من قرى بلاد المسلمين لفساده، فضلاً عن خلافة الامة الاسلامية.

إنَّ يزيد بن معاوية، لم يتورع عن شرب الخمر و السكر حتى في المدينة المنورة عندما سافر اليها زمن أبيه، مع علمه بانه سيكون بمراءى و مسمع صحابة رسول الله ﷺ و رجالات الإسلام^(١).

إنَّ الحسين عليه السلام قد عرف يزيداً منذ اللحظة الاولى لاستخلافه من قبل معاوية فقال لمعاوية:

و اعلم ان الله ليس بناس لك قتلک بالظنة و اخذك بالتهمة و إمارتك صبيّاً يشرب الشراب و يلعب بالكلاب و ما اراك الا و قد أوبقت نفسك و اهلكت دينك و أضعفت الرعية^(٢).

٣- لو كان يزيد قد أحسن التصرف بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و عمل بكتاب الله و سنة نبيه، و تخلّى عن شرارته و فساد و مجونه، لاحتُمّل - ظاهراً - ان الحسين عليه السلام قد لا يكون واقفاً على مساويي يزيد و انه تسرّع في نهضته، و لكنّ افعاله الشنيعة يوم عاشوراء و أسر بنات رسول الله ﷺ و تسييرهنّ في البلدان و بعد واقعة الحرّة و هدم الكعبة و حرقها، و الاستمرار في التجاهر بالفسق و المعاصي

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣١٧.

(٢) الامامة و السياسة ج ١ ص ٥٣.

الكبيرة، كشفت ما بقي خافياً على الناس من قبائح أفعاله، لا يبقُ لظنّ خضري بيك أيّ مصداقية إلاّ أعداؤه ونصبه لاهل البيت عليهم السلام.

٤- إنّ كلام الخضري بيك ناشئ إمّا عن التعصّب الاعمى، وإمّا عن جهله باهداف الإسلام، فظنّ أن كل من قام ضد حكومة ما وفي أيّ ظرف كان، فهو شاقّ لعصا المسلمين ومفرق لجمعهم وباعث على اختلافهم وفرقتهم وأنه ينبغي علينا تمكين الظلمة والحكومات واعانتهم وطاعتهم ومهادنتهم والتملق لهم، كي لا يتفرق المسلمون!! وأنّ الوحدة والاتحاد ممدوح حتى في ظلّ الظالمين واعانتهم على ظلمهم، وأنه كان على الجميع مدّد العون ليزيد والحجّاج والوليد معاوية و جابرة التاريخ ومهادنتهم و شرعنة انظمتهم وامضاء سلوكهم، حفظاً للامة من الفرقة!!

كلا يا خضري بيك، لقد ضللت وتّهمت وذهبت بك المذاهب فان الاختلاف بين أهل الحق وابطال لا زال قائماً منذ قابيل وهابيل، ولا نعهد شريعة من الشرائع السماوية ولا الارضية السليمة، تبيح لأهل الحق السكوت والاستسلام لاهل الباطل بحجّة الحفاظ على وحدة المجتمع، فعلى مقياس الخضري يكون ابراهيم خليل الله عليه السلام الذي وقف مقابل جبروت نمrod، ويكون محمد بن عبد الله عليه السلام الداعي الى نبذ عبادة الاوثان، وسائر الانبياء، ادعياء تفرقة واختلاف نعوذ بالله من هذه المقالة.

كلا يا خضري بيك! إنّ جذور اختلاف المسلمين وتفرقهم تعود الى امثال حكومة معاوية مفرّق الجماعات ويزيد ومن لفّ لفّهم الذين حاربوا التعاليم الاسلامية وقوانين الدين سعيّاً وراء السلطة والملك.

٥- يا خضري بيك، إنّ الحسين عليه السلام كان عارفاً بكل خطوة خطاها، عارفاً

بعللها وأهدافها ونتائجها، وكان يخطط الخطوات بكل حزم ودراسة وحكمة نحو هدف واضح مدروس ومخطط له، وكان مطلعاً على ما وراء الزمن، متنبئاً بعواقب الأمور، متيقناً من يقظة الأمة وانتباهها من غفلتها، متوقفاً ثورتها وانتفاضتها ضد يزيد وبنو أمية، موعوداً بزوال هذه الحكومة الجائرة ومحوها من سجل الحكومات الإسلامية، مستتبعةً بلعنة أبدية.

إنَّ الحسين عليه السلام كان يسير نحو زعزعة بني أمية عامة ومعوية ويزيد خاصة، ونحو كشف بواطن هذا الحكم العفني، وأن يضمَّ أصوات عامة المسلمين إلى صوته في إدانة هذا الحكم وإسقاطه وتخليص المجتمع من شره، ولذا عبأ الإمام الحسين عليه السلام كلَّ القوى ودرس كلَّ الاحتمالات ولم يتجرّد عن الحزم والدقة لحظة واحدة طوال مسيره وحركته ونهضته، فكان قد حسب لكل شيء حسابه وأعدَّ عدته وأوجد المقدمات توخياً لتحقيق النتائج كاملة وليلاً صوت مظلوميته أسباع العالم كله، وعلو صوت الاعتراض العام والملامة والنفرة والكراهية ضد عدوه، فيُخذل العدو وتفشل مخططاته المشؤمة لمحو الإسلام، وهذا ما حصل بالفعل وهو خير دليل على بطلان مزاعم خضري بيك، اذ ما مرّت إلا أيام قلائل حتى ارتقى معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) المنبر في دمشق فاضحاً جرائم أبيه وجده وبنو أمية عامة، معلناً أحقية علي عليه السلام وآله بالخلافة والامامة.

بين الفداء والانتحار

إذا قال قائل: إنَّ الانسان اذا كان يهدف من ثورته مقتله ومقتل اولاده و انصاره وأسر اهل بيته وعيالاته، فان ذلك بمثابة القاء النفس الى التهلكة وهو غير

جائز عقلاً و شرعاً بنص الآية الكريمة: « لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ »^(١)، فكيف يصح من الحسين عليه السلام أن يخرج للشهادة و القتل السبي، و أن يعدّ و يستعدّ لذلك؟ فان قتل الحسين عليه السلام و أسر بنات النبوة، من أعظم الجنايات و هو مبغوض عند الله تعالى، و لا يجزّ على صاحبه غير الضرر؟
أجبناه قائلين:

١- إن قتل النفس موضوع تشكيكي يختلف باختلاف الاحوال و العناوين، فتارة يكون موضوعاً لحكم تحريمي و اخرى يصير موضوعاً لحكم وجوبي الزامي، و ليس محرماً على الاطلاق كما توهم المستشكل، و حتى لو كان هناك اطلاق، فانه مخصّص بالادلة الاخرى. فلو فرضنا ان الإسلام يواجه تهلكةً و خطراً قاتلاً، و يقال إنقاذ الإسلام و خلاصه من الخطر يتوقف على لقاء النفس في التهلكة، فهل يُال أيضاً بعدم جواز التضحية و لقاء النفس الى التهلكة حفاظاً على الإسلام؟
ألا يُلام و يُؤنّب من يمتنع عن التضحية بنفسه في سبيل الحفاظ على بيضة الإسلام و شرف المسلمين؟ أليس الدفاع عن الدين، و الجهاد في سبيل الحق، أولى بوجوب التضحية و الفداء؟

إن فلسفة الجهاد و الدفاع هي الدعوة الى التوحيد و تحرير البشرية من العبودية لغير الله و حفظ الإسلام و تخليص الدين من المحو و التهلكة، أو حفظ الدولة الاسلامية من استيلاء الاجانب و الكفار و الاشرار، و هو واجب على كل المسلمين طبقاً لاحكام الجهاد و الدفاع - مع تيقن القتل و لقاء النفوس في التهلكة. فالدفاع عن خنادق و ثغور الإسلام، اذا توقف على استشهاد عدد من

(١) سورة البقرة الآية ١٩٥.

جنود المسلمين، ووجدت ضرورة لحفظ الدولة الإسلامية من المخاطر، وجب تحمل التلقات والتضحيات الكبيرة، ومثل هذه التضحيات والفداء جائزة بل واجبة.

٢- إن هذا الحكم (حرمة القاء النفس إلى التهلكة) حكم ارشادي، ومؤيد لحكم العقل بقبح «القاء النفس إلى التهلكة»، ومن الواضح أن إنكار العقل لذلك إنما هو في حالة عدم وجود مصلحة أهم من الحفاظ على النفس، فإن توقفت مصلحة أهم من ذلك عليه، حكّم العقل بالجواز بل بالوجوب والإلزام أحياناً.

٣- إنّ الهلاك متصورٌ بعدة أنحاء من جملتها، الفناء والمحو والانعدام، وقد يكون هذا النحو هو المقصود في الآية الشريفة، وهذا المعنى إنما يتحقق فيما لو لم يكن هناك غرض شرعي صحيح أو عقلي سليم، فإن وجد مثل هذا الهدف والغرض و كان ذلك امتثالاً للتكليف الشرعي وللأمر الإلهي وللدفاع عن أحكام الدين وعزة المسلمين، لم يكن الفداء والتضحية القاءً للنفس في التهلكة ولا فناءً وإنعداماً. فمن ضحى من أجل الدين وفي سبيل الله لم يكن مُعدماً لنفسه، ولا فانياً، بل هو حيٌّ بصريح القرآن، قد باع نفسه بأعلى الأثمان.

أذن، ففي حالة تحقق مصلحة أهم من الحفاظ على النفس، أو دفع مفسدة أهم من ذلك، لم يكن بذل النفس والسبأ إلى الموت والشهادة، القاءً للنفس في التهلكة، نظير بذل المال، فتارة يبذل المال بلا عوض، فهو الإسراف والتبذير، و أخرى يبذل المال للحفاظ على الشرف والكرامة والربح الأوفر، فلا يكون اسرافاً بل هو ممدوحٌ ومستحبٌ وقد يجب في بعض الأحيان.

٤- إنّ الصبر والثبات حتى الشهادة، في ميادين الجهاد والدفاع عن الدين، وخاصة فيما لو تسبب الادبار عن القتال، في هزيمة جيش الإسلام وغلبة الكفار، و كان الفداء والتضحية محمساً ومحفزاً جند الإسلام على الصمود، أمرٌ ممدوح، بل هو

واجب مقدس، و لا نظن وجود احدٍ يدّعي ان مثل هذه التضحية القاءً بالنفس الى التهلكة وأنه محرّم، بل كان في صدر الإسلام و لازال يعدُّ من افتخارات و عزّة و بطولة جند الإسلام و بالاخص قادتهم و امرائهم، كاستقامة و ثبات و فداء و تضحية جعفر الطيار عليه السلام التاريخية في حرب مؤتة، فان مثل هذا الجهاد و الايثار و التضحية و استقبال الشهادة هو دركٌ للسعادة العظمى و تقرب الى الله عز و جل، لا أنه القاء النفس في التهلكة و الانتحار.

٥- إن الآية الكريمة و إن دلّت على حرمة الالقاء بالنفس الى التهلكة، لكن لما كان متعلق النهي هو عنوان الالقاء في التهلكة و ليس مثل تعلق النهي بالموضوعات الخارجية كشرب الخمر أو القمار، فان تحقق مصداقه و فرده يدور مدار تحقق العنوان المذكور، فقد يكون الفعل في ظرفٍ معين و لشخص معين، القاءً في التهلكة، و لا يكون كذلك بالنسبة لشخص آخر و في حالٍ آخر، و كما يقول احد علماء التفسير بان هذا العنوان له مصاديق متعددة، فتارة يكون الالقاء في التهلكة متحققاً في ترك الانفاق، و تارة يتحقق في نفس الانفاق، و تارة يتحقق في ترك الجهاد، و تارة يتحقق في الدفاع، كما إن الالقاء في التهلكة تارة يكون فردياً و اخرى جماعياً و عاماً، فلا بد من ملاحظة المفاصد و المصالح و المناسبات و الموارد، فقد يصدق الالقاء في بعض الموارد و لا يصدق في بعضها الآخر.

و في بعض الموارد، و حتى لو صدق العنوان، يكون تركه سبباً للابتلاء في التهلكة الدنيوية و الاخرية الاعظم و التي لا يمكن جبرانها.

و بعد بيان هذه الإجابات، ينبغي اضافة هذا التوضيح:

اولاً: إن الحسين عليه السلام هو صاحب مقام الامامة و العصمة، هو أعلم افراد الامة بالاحكام الشرعية، و هو معصوم عن الخطأ و الاشتباه، و ما يصدر منه انما

يصدر موافقاً للأمر الالهي و امتثالاً للتكليف الشرعي .

و ثانياً : إنَّ بني امية ، كانوا سيقتلون الإمام الحسين عليه السلام سواء خرج الى العراق أو بقي في مكة . وقد لاحظ الإمام عليه السلام كلَّ المصالح الموجودة في القضية ، فخرج عن مكة صوناً لحرمة الحرم من الهتك ، وكلُّ من تابع خطوات حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته ، سيعي تماماً أنَّ الحسين عليه السلام اراد أنَّ يوظف استشهادَه ومقتله ومظلوميته باكبر قدرٍ ممكن من اجل بقاء الإسلام و احياء الدين ، فكان مراعيّاً لادقِّ الدقائق و النكات لضمان نجاح هذا التوظيف .

و ثالثاً : إنَّ هدف الحسين عليه السلام من الثورة و الامتناع عن البيعة و الاستسلام و السكوت ، و تحمل المصائب العظيمة ، هو نجاة الدين ، ولقد كان هذا الهدف مستحقاً لكل تلك التضحيات بؤله و أصحابه و بنفسه الشريفة ، و من ثمَّ اختار الشهادة و استقبل تلك البلايا و المصائب .

إنَّ الداعي الاول و الاخير لخروج الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الالهي و حفظ الدين و طلب الحق ، و ابطال مشروعية حكم بني امية و افشال مخططاتهم و تفويت الفرصة عليهم لتحقيق اهدافهم المشؤومة ، و مقدمة الوصول الى هذه الاهداف هو عدم السكوت و الاستسلام ، و الاستقامة و الثبات الى درجة الشهادة و تحمل كل تلك المصائب . ولقد كان هدف الحسين عليه السلام محبباً لله و رسوله ﷺ و موافقاً للعقل و وجدان الإنسانية .

فن المغالطة القول : بان قتل الإمام الحسين عليه السلام اذا كان مبعوضاً لله ، فكيف زجَّ الحسين عليه السلام نفسه الى القتل؟

إذ أنَّ الإمام عليه السلام لم يشأ أن يُقتل على يد الآخرين ، ولقد بقي يدافع عن نفسه الى آخر ساعة من حياته ، ولكي يُتمَّ الحجَّة على اعدائه ، كان يعظهم وينصحهم و

يجادلهم في فداحة قتله وسفك دمه، ولكن كانت الشهادة في سبيل الله، محبوبته التي تمنّاها، والتي اعتبرها من أعظم وسائل كمال القرب والفلاح، وعلى كل مؤمن مسلم أن يتمنى الشهادة ويشتاق إليها.

نعم، إن قتل الإمام وأسر أهل بيته، مبغوض عند الله ومن اكبر الجنايات والكبائر، ولقد أوضح الإمام السجاد عليه السلام في خطبته في المدينة الطيبة بان قتل الحسين عليه السلام «كان ثلماً عظيماً» وأن نتائجها السلبية ومضارها على العالم الاسلامي تفوق حدّ التصور، وكان ينبغي على اولئك الاشقياء ان لا يقدموا حتى على التفكير في مثل تلك الجناية حتى لو قطعوهم ارباً ارباً، ولكن لم يكن لينبغي على الحسين عليه السلام ولدفع هذه الثلثة العظيمة ان يستسلم لهم ويباع يزيد، فان الضرر الناشئ من هذا الاستسلام والسكوت والبيعة هو اكبر مبراتب، فالحسين عليه السلام يرى أن مصلحة حفظ الدين والامتناع عن البيعة ليزيد، كبيرة عظيمة تستحق منه التضحية بنفسه ولده واعزته، وأن يفتردي احياء الإسلام وابقاء كلمة التوحيد بكل ما يملك.

وبعبارة اخرى كان الناس مكلفين بطاعة الإمام الحسين عليه السلام ونصرته والدفاع عن وجوده المقدس وترك التعرض لحرمة، وكان الحسين عليه السلام مكلفاً بالاستقامة والثبات في طريق العقيدة والهدف، والتضحية وتحمل المصائب لحفظ الإسلام. فاذا لم يمثل الناس تكليفهم فهل على الحسين عليه السلام أن لا يمثل هو الآخر تكليفه وأن يستسلم للذل والهوان وأن يتراجع ويترك الدين والقرآن والشريعة في غربتها؟

اقرأ واقصة اصحاب الاخدود، اولئك الرجال والنساء المؤمنون الذين ذكر الحق عز وجل في قرآنه صبرهم وبصيرتهم وامتدحها، طالعوها بدقة لتجدوا كيف

رَجَّحُوا الاحتراق بالنار المؤجَّجة ، على الاحتراق بنار الكفر والردَّة عن الايمان . و بذلك نجحوا في ذلك الامتحان و تخرَّجوا بدرجة المنزَّهين عن الغلِّ والغش .

وعليه ، فالثبات والصبر في طريق العقيدة والايان والدعوة الى الله وحفظ الدين و حماية الاهداف الإنسانية السامية ببصيرة ومعرفة وقصد ، شيء ، والقاء النفس الى التهلكة شيء آخر ، و انَّ الفداء والتضحية ونصر الله والدين من العارف الملتفت العالم باحكامه ، لَعَزَّة وفخرٌ يتمناها كلُّ مؤمن ، وهو امرٌ خارج تخصُّصاً أو تخصيصاً عن الالتقاء بالنفس الى التهلكة .

و من البديهي أنَّ دفع هذا الاشتباه في خصوص افعال النبي أو الإمام عليه السلام ، لا يحتاج الى كل هذا البيان والتوضيح ، فاننا قلنا مراراً: أنَّ فعل وقول وتقرير (سنة) الإمام عليه السلام يعدُّ من ادلة الاحكام الشرعية كما في سنة النبي صلى الله عليه وآله و ليس من شأننا أن نجتهد لتعيين وظيفة الإمام عليه السلام .

أجل ، انَّ تتبَّع هذا البحث مفيد من وجهة النظر الفقهية والاستنباطية لتعيين تكليفنا نحن .

و على اي حال ، فانَّ في افعال وسيرة الانبياء والائمة عليهم السلام اسراراً و حِكَمَ لامتحان العباد و اتمام الحجَّة عليهم و تكميل النفوس واصلاح العباد و... الخ . و التعرف على تلك الحِكَم و المصالح يحتاج الى غور و تدقيق كبيرين في الآيات والروايات وسيرة هؤلاء العظام ، و مع ذلك فكل ماسنحصل عليه ونكتبه هو قليل من كثير وقطرة من بحر غزير .

لماذا سكّت الإمام الحسن عليه السلام

دواعي سكوت الإمام الحسن عليه السلام

قد يتبادر إلى أذهان بعض قراء الفصول السابقة من هذا الكتاب، تساؤل و استفهام عن اسباب عدم ثورة الإمام الحسن عليه السلام و دواعي صلحه مع معاوية، في الوقت الذي كان معاوية هو نفس معاوية، وإنَّ الإمام الحسن عليه السلام لم يكن أقلَّ شجاعةً و معرفةً و حزمًا و بأساً من أخيه الحسين عليه السلام، و ما كان فداءً و تضحية و ايثار الحسين عليه السلام و صبره و تحمله و طلبه للحق و احياء الدين اكبر مما هو عند الإمام الحسن عليه السلام، فلماذا سلك الإمام الحسن عليه السلام طريق الحلم و الصبر و الهدنة، و اختار الحسين عليه السلام طريق الجهاد و الثورة و الشهادة؟

و المحققون و العلماء و المطلعون على أحداث التاريخ الاسلامي و ان كانوا قد تناولوا هذه القضية^(١) و شرحوا اسرار و مصالح صلح الإمام الحسن عليه السلام لكن و رغبة منّا في عدم إهمال هذا التساؤل بلا اجابة، سنبين بعض علل و حِكَم و دسرار هذا الصلح، موضحين الفرق بين عصر الإمام الحسن عليه السلام و عصر امام الحسين عليه السلام بحسب اجتهادنا العلمي و التاريخي و محيلين القارئ العزيز الى تلك المصنفات للوقوف على مزيد من الإطلاع، فنقول:

١- إنَّ طول أمد المعارك الداخلية و التي لم يسبق لها مثيل في تلك الفترة، و

(١) كالعلامة الشيخ راضي آل يس، في كتابه « صلح الحسن عليه السلام ».

كثرة القتلى والجرحى والمتضررين من الحرب، كانت قد أضعفت الرغبة في الاستمرار في القتال عند الناس، إن لم نقل أنها قد أعدمته تماماً، إلا عند بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم عدد الاصابع، كانوا قد قرأوا مستقبل الإسلام في ظل حكم بني امية ووقفوا على الصورة القائمة لهذا المستقبل، امثال قيس بن سعد من ذوي الايمان الكامل والبصيرة النافذة من تلامذة اهل البيت عليهم السلام، و أما سائر الناس، فقد كانت الحرب قد انهكت قواهم الروحية قبل الجسدية، و تلاعبت بهم الشبهات فسلبتهم روح الجهاد والقتال.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في اواخر حياته، كلما حثهم ورغبهم بالجهاد، لم يلق الآذان الصاغية والقلوب المطيعة والحضور الفاعل، بل كان يواجه بالتهرب والخذلان، حتى شكاهم مراراً وتكراراً.

وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، ازدادت عزلة الناس عن الاحداث و تضاءلت استجابتهم لنداءات الجهاد، خاصة تلك العوائل المفجوعة باعرائها، فلقد بلغ عدد القتلى في حرب صفين على ما نقل المسعودي^(١) مائة وعشرة آلاف قتيل من الطرفين و عدد القتلى في النهروان اربعة آلاف قتيل^(٢) و طبقاً لما نقله اليعقوبي فان قتلى حرب الجمل وهي اولى الحروب التي خاصتها أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد بلغ اكثر من ثلاثين الف قتيل^(٣).

إن كثرة عدد القتلى في هذه الحروب الداخلية شوه صورة الجهاد ودعى أهل الدعة وهم الاكثرية الى الهروب من القتال ولذا عندما صمّم الامام الحسن على

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) مروج الذهب ج ٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٩.

القتال وحثّ الناس على الجهاد وأرسل جيشاً إلى الحدود والثغور وخرج بنفسه بعد أن استخلف عن الكوفة ابن عمه المغيرة ابن نوفل ابن الحارث ابن عبد المطلب تخلف عنهم خلق كثير ولم يخرجوا معه بعد أن كانوا قد وعدوه بالقتال ضدّ عدوّه فغزوّه كما غزّوا أباه من قبل وبقي معسكر أبلنخيلة عشرة أيام وليس معه الا أربعة آلاف ورجع إلى الكوفة يستنفر الناس وخطب فيهم يقول: قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي. (١)

٢- وعندما اتضح للامام الحسن عليه السلام ضعف الروح الجهادية عند الناس، وانهم أسلموه لمصيره وحيداً، اتمّ الحجّة عليهم وخطب فيهم خطبة بليغة تناول فيها فلسفة الحرب والصلح وطلب منهم إبداء رأيهم، فاسمع منهم الإكلمات الخذلان و التهاون، فكانوا يصيحون «البُقيّا البُقيّا يا بن رسول الله»

٣- وطائفة من الناس، كانوا يرون في استمرار القتال، اضعافاً لقوة المسلمين العسكرية، واستنفاداً للذخائر القتالية، عدّة وعدداً، مما يؤدي إلى زيادة اطماع الكفار بالهجوم على بلاد المسلمين واحتمال التمرّد في الولايات الحديثة العهد بالاسلام، وانقلابها على الحكم المركزي.

ولا شك، أنّ هذا الاحتمال وجيهٌ فمن الطبيعي أن الحروب الداخلية تسبب ضعف القوى الاسلامية، مما يعجز أيّ طرف غالب فيها، عن مواجهة الاخطار المحدقة بالدولة الاسلامية، ومن الواضح أنّ معاوية الذي ارتكب كل تلك الجرائم، وخرج على خليفة المسلمين المنتخب وقتل خيرة صحابة النبي ﷺ للاستيلاء على الخلافة، ولم يكن لتهمة مصالح المسلمين ومصير الامة كي يتراجع عن القتال. فانه

خطط لسنوات عديدة و ارتكب فضائع الجرائم ليتسلط على رقاب المسلمين، فكيف يُنتظر منه الخضوع للحق؟ ولو كان معاوية يحمل ذرة من الغيرة على الدين و يهتم لعزة الإسلام و المسلمين، لما خالف حكم أمير المؤمنين و اشعل نار الفتنة.

و لم يكن إلاّ الإمام الحسن عليه السلام الذي يرى لزماً على نفسه الحفاظ على المصالح العامة للأمة و أن يتخلّى ظاهرياً عن حقه حقناً لدماء المسلمين و حفظاً للدين، فصالح معاوية و تحمل تلك الشدائد و الملامة في سبيل الله، كما فعل ابوه علي بن ابي طالب عليه السلام في زمن ابي بكر و عمر و عثمان.

٤- و طائفة من المسلمين لم يتوقعوا أن مكائد معاوية و مظالم بني امية و الاضرار التي ستلحق بالامة الاسلامية بسببهم، ستصل الى هذا المستوى من الفداحة، فعلى الرغم من معرفتهم بأن بني امية ليسوا كبني هاشم في حرصهم على الإسلام و المسلمين و في معتقداتهم الروحية و النفسية و الخلقية، لكنهم لم يكونوا يظنون أن أساليبهم ستختلف كثيراً عن أساليب الحكم و نهجه زمن ابي بكر و عمر و حتى لو اختلفت و لم يكن معاوية كالخليفة الاول و الثاني في تظاهرهما بالاسلام، لكنهم لم يتوقعوا أن يبلغ التفاوت الى درجة الولوغ في دماء الصحابة و الابرياء من المسلمين، و انه سيشتعل حرباً داخلية تجزئ العالم الاسلامي و تضعفه الى هذا الحد. و لقد أخطأ هؤلاء، اذ أن بني امية كانوا يتحينون الفرص لهدم اسس الإسلام و اعادة الجاهلية و سلب الحقوق و استعباد الناس.

و لم يظن هؤلاء أن حكم بني امية سيبتعد جداً حتى عن صورة حكم عمر و أبي بكر، و انهم سيغيرون ظواهر المجتمع و عاداته و أن الخلافة ستتحول الى ملكية موروثه، ففي بداية الامر كان الخليفة مضطراً الى رعاية ظواهر الشرع، و كان المسلمون قريبين من عصر النبي ﷺ و يتذكرون منهج حكومته الالهية، خاصة مع

وجود كبار الصحابة الذين اعتادوا على رعاية مظاهر الورع والابتعاد عن مظاهر الملكية والبذخ والتجملات الزائدة الى درجة الاسراف، فلم تكن الارضية ممهدة لاستعجال ارجاع الجاهلية وتشكيل حكومة مستبدة، والتفرد بالسلطة... الخ. اما في زمن معاوية، فقد تغير مزاج المجتمع، وعاش الناس المظالم والانحراف خاصة زمن عثمان، وتغلغل المتملقون والانتفاعيون والانتهازيون الى مرافئ السلطة والحكم، ولم تعد الكفاءة والتقوى والزهد والايمان شرطاً في التصدي لادارة أجهزة الدولة، ولم يكن القصد من قبول المناصب، أداء التكليف وامثاله ولا خدمة الإسلام والمسلمين.

إنَّ هذه الامور كانت خافية على عامة المسلمين تقريباً، ولذلك رفضوا الاستمرار في الحرب وقتال معاوية و اراقة الدماء، بل إنَّ بعضهم كان يعتبر ذلك خطراً على مستقبل الامّة!

٥- إنَّ ملاح الصورة القائمة في ذلك الوقت، كانت توحى الى غلبة معاوية في الحرب، وإنَّ جيش الإمام الحسن عليه السلام سيواجه الهزيمة - ولو ظاهراً - وحينئذٍ، سيتضرر شيعة أهل البيت عليهم السلام اكثر من غيرهم، وستعلو صيحات الاعتراض على الإمام عليه السلام لعدم استجابته لاقتراح الصلح من قبل معاوية، خاصة وإنَّ الاكثرية كانت مؤيدة للصلح، وبعبارة اخرى: كان هؤلاء سيتهمون الإمام الحسن بالتسبب في جرأة معاوية على التجاسر على المقدسات وتنفيذ مخططاته المشؤمة، و لولا ذلك لاضطر الى احترام مقررات الصلح التي ستُملى عليه والالتزام بما تعهد به من الوفاء بالشروط والعهود.

وأمّا في زمن الإمام الحسين عليه السلام فلم يكن احدٌ يحتمل ادنى احتمال انَّ بني امية وخاصة يزيد الفسق والفجور، سيفون بالعهد والمواثيق، والتزام شروط الصلح.

فالكلُّ على ثقةٍ تامة من غدر يزيد و خيانتته و نكته للعهد و المواثيق و قتله الابرياء و إغتياله الصلحاء بلا تحرّج و حياء، و الكلُّ على ثقةٍ من وجوب الثورة ضدّهم و اسقاط حكمهم.

اذن، كما كانت ثورة الحسين عليه السلام منبثقة من الحرص على الإسلام و كانت نافعة و مثمرة في تحقيق هذا الهدف، فكذلك ما قام به الإمام الحسن عليه السلام صار باعثاً لبقاء الدين و حفظ مصالح المسلمين و كشف الاقنعة المزيفة لمعاوية و بني أميّة، و لو أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان قد استمر بانصاره القلائل، في محاربة معاوية و في تلك الظروف المعروفة، لقتل و لم تُثمر ثورته و حربه أيّ ثمرة و لم تغد أيّ فائدة، ولذهب دمه هدرًا، و فُسح المجال لبني أميّة اكثر فاكثر في محو الإسلام و اعادة الجاهلية.

٦- إنّ قادة الدين و أولياء الله كعليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام يسلكون طريق الحقيقة و الامانة في حروبهم و صلحهم، و حبّهم و عداوتهم، و لا يتوسلون بالخدع و الالاعيب السياسية، و المكر و الحيلة و اغواء الناس، لنيل مقاصدهم و تحقيق أهدافهم، و أما ابطال السياسة الباطلة و طلّاب السلطة فانهم يلتمسون كل الوسائل لكسب الأنصار و تعبئة الناس، حتى الاحتيال و الخداع و التضليل و الخيانة، فيبدلون الاموال و الرشا و يعُدّون بالمناصب و الوزارات، و يشترون الذمم الرخيصة و يبتاعون دين و ضمائر عبدة الهوى و عشاق الدنيا و لذا ذلّها لنيل مآربهم و تحقيق نواياهم.

و قادة الاديان، يجتذبون الناس عن طريق الدعوة الى الحق و الحقيقة و الفضيلة و الايمان، و اما السياسيون المخادعون فانهم يدوسون باقدامهم على الحقيقة و يزيّفون الحقائق و يسخّرون بيت مال المسلمين لاغراضهم الشخصية، و يشترون الاصوات المساندة و يهبون الحقائق الادارية لمن يعينهم على باطلهم، اذ ليس في

قاموسهم معنى لفهوم العدالة و الكفاءة و مراعاة مصالح المسلمين و الاصلاح و التقوى و اجتناب الظلم و الشرور .

و اذا رجعنا الى تاريخ الإسلام ، و طالعنا الوضع الروحي للمجتمع زمن خلافة الإمام الحسن عليه السلام و ايام تمرد معاوية عليه لوجدنا قلة انصار الإمام الحسن عليه السلام إن لم نقل بانعدامهم ، و كان اكثر المحيطين به من قادة جيشه و جُنده ، مهزوزين لا يمكن الثقة بهم ، و كان المجتمع يغوص في انحطاطة الخلق بسبب القيادات الضعيفة و التربية الخاطئة .

فلم يكن أدعياء خلافة النبي صلى الله عليه و آله سائرين على نهج النبي صلى الله عليه و آله في تربية النفوس و صقل الارواح و تهذيب الناس و حثهم على الزهد في الدنيا . مضافاً الى انهم و منذ البداية سلكوا طريق هتك النفوس و الاعراض ، و السعي الى محو الروح الرسالية ، فعزلوا الصلحاء عن الادارة ، و ولّوا الاشرار التابعين لهم ، و مسخوا شخصية المسلم الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه و آله يعتز بهمة العالية و زهده في الدنيا ، و تضحيته رغبة في الثواب و القرب الالهي و اعلاء كلمة الإسلام الى شخصية سطحية هامشية منكبة على زخارف الدنيا و لهوها ، مستكينة للراحة و الدعة ، متلهفة على جمع الثروة و المال .

و لقد استفاد معاوية من هذا الخلاء الروحي و الاخلاقي ، و عرف أن الوقت المناسب لتشكيل حكومته المحققة لاهدافه قد حان ، إذ أن شراء الذمم و الضمائر و الدين بالرشا و الوعود بالمناصب و الولايات كان قد شاع في المجتمع ، فنفذ معاوية من هذه الثغرة ، فاستأجر أمثال عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة لاثارة الهرج و المَرَج متأمرأ على المجتبي عليه السلام و قد نجح في تمزيق جيش الإمام عليه السلام باستقطاب بعض قادة الجيش بعد أن منّاهم و رشاهم ، و وصل الأمر الى ان احد اكبر قادة جيش

الإمام قد التحق بمعَاوِية طمعاً بحطام الدنيا .

وقد كان معاوية قد وَعَدَ عمرو بن حريث ، الاشعث بن قيس ، حَجَّار بن ابجر وشبث بن ربعي بمائة الف درهم والزواج من احدى بناته ، اذ ما قتلوا الإمام الحسن بن علي عليه السلام و أن يستأمرهم في جيشه^(١) و اتهم بعض اصحاب الإمام عليه السلام بأخذ الرشا ، و غير ذلك من حيلة و اللاعبة الماكرة التي استغفل بها السذج من الناس .

ولذا ، فان اكثر افراد جيش الإمام عليه السلام و الذين كانوا من الجيل اللاحق للجيل المعاصر لرسول الله ﷺ و لم يتلقوا تربية اخلاقية صحيحة ، لم يتمكنوا من مقاومة الاغراءات ، فباع الكثير من قادتهم نفسه و دينه لمعاوية ، و من الواضح أنَّ القتال بمثل هذا الجيش الذي لا يأنف عن بيع ذمته و دينه بحفنة دراهم و وعود كاذبة ، لن يؤدي إلَّا الى الهزيمة و اراقة الدماء ، و إن الاستعانة بمثل هذا الجيش امرٌ عارٍ عن الحكمة و العقل ، كما إنَّ شراء الذمم بالمال و الوعود و اغراءهم بالمناصب و الحقايب الادارية ، ليس من شيم آل علي لان ذلك يجرُّ الى ترويج الظلم و فسح المجال للخائنين و الظالمين لاشاعة الفساد .

و في مثل هذا الحال ، لو لم يصالح الإمام الحسن عليه السلام ، فضافاً الى هزيمة هذا الجيش المهزور الضعيف ، كان احتمال اغتيال الإمام عليه السلام على يد الخونة و العملاء أمثال الاشعث بن قيس الذي كان و منذ زمن خلافة علي عليه السلام يمدُّ جسور الارتباط مع معاوية و يتأمر معه ضد أهل البيت عليهم السلام و ضد الإسلام ، احتمالاً قوياً ، بل و كان من المحتمل أن يلقى القبض على الإمام عليه السلام و يُسَلَّم مكتوفاً الى معاوية ،

ليغتنم معاوية الفرصة للانتقاص منه ومن ثمَّ إطلاق سراحه متظاهراً بالحلم والعفو،
 مائناً على أهل بيت النبي وبنِي هاشم، لتحطيم شخصية الإمام الحسن عليه السلام ومحبيته
 في النفوس وهيبته وجلالته ومقامه في المجتمع ومن ثمَّ تصفيته جسدياً.
 ومن الطبيعي، فإن الضربة التي ستُوجه نتيجة لذلك إلى أهل الحق ستكون
 قاصمة موجعة، وسيمنع ذلك من تمهيد الأرضية لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

٧- إنَّ الإمام الحسن عليه السلام لو كان قد بقي حيّاً بعد هلاك معاوية، لكان قد ثار
 كما ثار الإمام الحسين عليه السلام إذا فرض تحقق نفس الظرف، ولأمتنع عن بيعه يزيد كما
 إمتنع الحسين عليه السلام، بل لو كان الحسن عليه السلام حيّاً وشهد إستخلاف معاوية ليزيد، لثار
 ضد معاوية وما تسبّب ذلك لمعاوية، ولذا وكما ورد في المصادر التاريخية أن معاوية
 عندما جاء إلى المدينة واستشار العبادلة في ولاية عهد يزيد، تيقن أنَّ هذا الأمر
 مستحيل مع وجود الإمام الحسن عليه السلام ومن ثمَّ أخفى معاوية ذلك العهد و
 الاستخلاف إلى أن قتل الإمام عليه السلام بدس السُم إليه، وبعد ذلك أعلن للناس
 استخلافه ليزيد واخذ البيعة منهم بالقوة والاكراه.

٨- روى ابن شهر آشوب إن أهل القبلة قد أجمعوا على أن النبي ﷺ قال:
 «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١).

وهذا الحديث دال على سلامة وشرعية كل عمل يصدر من الإمامين عليهما السلام
 باعتبارهما إمامين تجب إطاعتها، وإنَّ ما يقومان به إنما هو امتثال للتكليف الإلهي
 الخاص بهما لاقتضاء المصلحة ذلك، وإنهما في حربهما وصلاحهما وثورتهما و
 سكوتهما وسائر أحوالهما مأموران بالامر الإلهي، وإنَّ كلاً منهما في عصره حامٍ

للدین و الشریعة و امام للناس و سفینه نجاتهم .

إنَّ الإمام الحسن عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله ﷺ أيام وجوده في مكة ، و قام به أبوه أمير المؤمنين عليه السلام أيام حكومة أبي بكر و عمر و عثمان ، و إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله ﷺ أيام وجوده في المدينة المنورة و ما قام به أبوه عليه السلام في السنوات الخمس التي جاهد فيها الناكثين و القاسطين و المارقين .

و في الرواية ، أن جابر بن عبد الله الانصاري ، اقترح على الحسين أن يهادن كما هادن أخوه الإمام الحسن عليه السلام ، فآخبره الحسين عليه السلام أنَّ الحسن عليه السلام صالح بامر الله و رسوله ، و انه أيضاً يقوم بامر الله و رسوله صلى الله عليه و آله ^(١) .



البحث الرابع

نتائج الثورة الحسينية

نتائج الثورة الحسينية

كل حركة و نهضة تهدف تشكيل مؤسسة جديدة و تبديل نظام بنظام أو إيجاد إصلاحات روحية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو أي هدف آخر، سيكون لها تأثير خاص في الفكر الاجتماعي العام وحتى في حياة الناس الميدانية، وسواء كانت تلك الحركات تحريرية إصلاحية حقّة، أو كانت ضيقة محدودة بمحدود المنافع وكسب الامتيازات الشخصية و المادّية والطموحات السياسية.

و طبيعيٌّ أن نجاح وانتصار حركة سياسية تهدف الى 'نيل المكاسب الدنيوية السلطوية الضيقة، إنما يكون بقهر الخصم وابعاده عن مراكز القرار، وبالسيطرة على المقام المقصود، وإلاّ كانت تلك الحركة فاشلة مندرجة. و في حالة الفوز والغلبة يكون انتصاره محدوداً بمحدود الفردية، و بتلك البرهة الزمنية التي يتزعم بها ذلك المنصب و المقام.

و أمّا نجاح و ظفر المصلحين الحقيقيين، و الثائرين من أجل الحق و المثل و المصالح العليا، فهو في اقرار الحق و تحكيمه، و تأمين العدالة الاجتماعية و محو الظلم و الفساد، و إستبدال الفوضى بالنظام، و التمرد على القوانين بتطبيقها.

و هؤلاء المصلحون وحتى لو خسروا المعركة مادياً و فشلوا في ابعاد الخصم و إزالته، و حتى لو كلفهم قيامهم بذل أنفسهم في سبيل الحق، لا يُفشلون روحياً، و سيكون لاقدامهم أثرٌ في جذب النفوس السليمة الى أهدافهم، و القلوب الى

مبادئهم.

فتضحياتهم وفداؤهم وعلو همتهم يبعث الانظار الى الاتجاه صوبهم و الى الخير و الصلاح و طلب الحق و العدالة، فيصيرون أسوة و مثلاً يُحتذى به في مستقبل الاجيال، و يتسببون في إعلاء كلمة الحق و تضعيف و إزهاق كلمة الباطل و اهله.

و لأن هؤلاء ينتفضون من أجل الحق و المصالح العليا للمجتمع و نجاة البشرية، فانهم لن ينكسروا و لن يُهزموا أبداً في معركتهم التي بداوها و حتى لو لم يتحقق لهم النصر الآني، فانهم هم المنتصرون حقيقةً، لان قيامهم للحق، و الحق باقٍ و ثابت و خالد، فتخلد حركاتهم بخلوده، بخلاف المنتفضين من اجل المنافع و المصالح الخاصة الضيقة، فان أعمارهم القصيرة اذا انتهت انتهت معها تلك الانتصارات المحدودة.

فظفر المصلحين الحقيقيين، دائمي خالد، و غلبة الدنيويين عمرها قصير مؤجل.

إذن، فمن الناحية النفسانية و من الناحية التاريخية أيضاً، لا يمكن انكار حقيقة أن نتائج و آثار الحركات الاصلاحية و التحررية، هي آثار ايجابية خالدة، و كذلك كانت تأثيرات ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في الامّة بل المجتمع العالمي، و إنّ ما قام به كان منسجماً و محققاً لأهدافه، و إنه ليس فقط لم يخسر المعركة بل إنه حقق مكاسب عظيمة و كثيرة لا يُحصيها إلا الله تعالى، كما أنّ الثابت في مواجهات الحق ضدّ الباطل، إنّ الناس يرون أنّ أهل الحق هم المنتصرون، و انهم يتمنون ان يكونوا في جملة طلائع و في سجلهم.

و منذ حادثة كربلاء الاليمة، لم نعهد أحداً تمّنى ان يكون من أنصار شمرٍ و

حرملة وابن زياد، أو أنه قيل بفعالهم ولم يشمئز من ذكرهم.

وفي المقابل، تجد ملايين الناس تمنّوا أن يكونوا ممن قاتل في صف الحسين عليه السلام وانصاره.

وبإمكاننا وبمقايسة بسيطة وبضرب مثلٍ واحدٍ أن نُثبت أن المنتصر في عاشوراء هو الحسين عليه السلام وأنّ الخاسر هو يزيد وحزبه.

والتاريخ يحدّثنا أن رجلين جاءا معاً لقتال الحسين عليه السلام وكلاهما من بلد واحد ولهما سوابق وشهرة قتالية، أحدهما تخلّى في وسط الطريق عن كل امتيازاته والقباه ومناصبه والجوائز والهبات التي كانت بانتظاره، وأدار ظهره للعالم وزخارفها وزبارجها، وباع نفسه لله. والثاني ازداد في تعلقه بالدنيا، وبقي على عدائه لاهل البيت عليهم السلام واستمات في الدفاع عن ظلم بني أمية وباطلهم وقساوتهم، اسمّ الاول هو الحرّ بن يزيد الرياحي واسم الثاني هو شمر بن ذي الجوشن.

فالحرّ كان قد انحرف في صفوف بني أمية وجاء لحرب الحسين طمعاً بالجائزة وإمرة الجيش والارتقاء في المراتب العسكرية، ولو فرض انه بقي على اصراره لعدة ساعات أخر ولم يتخلّ عن عمر بن سعد، وارتكب افعال حرملة وشمر و سنان، لما حصل من ذلك إلا على لعنة التاريخ والملائكة والناس أجمعين كشمّر و حرملة ومن لف لفهم. ولكنّه، كان معهم بجسمه فقط، و أمّا روحه فلم تكن من سنخ أرواحهم، وهذه الروح العالية هي التي جعلته من اصحاب الحسين عليه السلام، فلقد أدبر عن الدنيا والمنافع المادية واهتزّ هزّة عرّجت به من الدنيا الى الآخرة ومن الظلمة الى النور ومن الباطل الى الحق ومن الكفر الى الإسلام، فاوصل نفسه الى السعادة الابدية، واجبر التاريخ على تسجيل اسمه في الخالدين امثال زهير و حبيب و مسلم بن عوسجة و رفاقهم.

و لو كان الحرُّ قد أصرَّ على حرب الحسين عليه السلام كما أصرَّ الشمر وغيره، لما حصل إلا على دراهم و حطام ينتهي و يفنى بموته أو قبل موته، و لكنك اليوم اذا سألت عن المنتصر، هل هو الحرُّ أم الشمر؟ لقليل لك بلا تأمل: إنه الحرُّ، انتصر و نال العزَّ و الفخر، و أمّا الشمر فهو الخاسر المبتل بالذلَّ و العار و الشنار و اللعنة الابدية. و قس على ذلك سائر اصحاب الحسين عليه السلام بمقارنتهم بقادة جيش الكوفة، فستجد أنَّ المنتصر هم أصحاب الحسين عليه السلام و أنَّ الخاسر هم أهل الكوفة الذين لازالت اللعنة تلاحقهم أبداً.

فاين مسلم بن عوسجة و أين شعث بن ربيعة؟ و أين حبيب بن مظاهر و أين عمرو بن الحجاج؟ و ابن عمرو بن قرظة الانصاري و أين أخوه الذي كان في جيش ابن سعد؟ انها مقايسة الخلد بالفناء و النور بالظلمة و الطهر بالرجس. فاسم حبيب و مسلم و عمرو بن قرظة و سائر أصحاب الحسين عليه السلام هي أسماء حببية الى القلوب، و أمّا اسماء اولئك الملعونين فهي في عداد أسماء أبي جهل و امية و الكفار و الاشقياء.

فلا شك إذن، في تحقق نتائج تضحيات أولياء الله و لا في ظفرهم و موفقيتهم، و هذا حكم فطري و عقلي و شرعي مسلم، لا يمكن إنكاره بحال من الاحوال، و بذلك نال هؤلاء الفوز في الدنيا و الآخرة:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»^(١)

و نحن و ان كنّا قد أشرنا الى بعض نتائج الثورة الحسينية، و لكن، و لكي يتّسق هذا البحث مع هيكلية هذا الكتاب، نذكر بعض نتائج الثورة محاولين

بقدر استطاعتنا وقصورنا، اكمال البحث، و لانه يرتبط بالمطالب السابقة، فنعتذر مسبقاً عن التكرار في بعض الموارد:

١- التقرب و الارتقاء

إنَّ من أهم نتائج ثورة الحسين عليه السلام هو ثمة القرب و ارتقاء الدرجة العالية التي نالها الحسين عليه السلام عند الله عز وجل .

فقد ورد في الأحاديث والاعخبار، أنَّ تضحيات وفداء الحسين عليه السلام وتحمله للرزايا والمصائب في سبيل الله و احياء دينه، كان لها بركات و ثمرات كثيرة يعجز القلم واللسان عن بيانها و تعدادها، ونفضل ان يتتبعها القارئ العزيز في كتب الحديث و المقاتل ككتاب العوالم، البحار، نفس المهموم و غيرها من الكتب المدونة في عدة لغات، ليقف على تلك الاعخبار التي تتضمن فضيلة الثورة و بركاتها و الثواب الجزيل الذي يناله الحسينيون و زوَّار الحسين عليه السلام و الباكون في مصيبته و انشاد الشعر في رثائه، و حتى استذكَّار عطشه و عطش عياله و أطفاله و أصحابه حين شُرِب الماء، و كلُّ ذلك الثواب هو من بركات الثورة الحسينية و للتبرك و التيمن نذكر واحداً من تلك الاحاديث:

روى الشيخ الصدوق باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت ام سلمة فقال لها: لا يدخل عليَّ أحد. فجاء الحسين عليه السلام و هو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله فدخلت ام سلمة على اثره فاذا الحسين عليه السلام على صدره و اذا النبي صلى الله عليه وآله يبكي و اذا في يده شيء يقبله و قال النبي صلى الله عليه وآله يا ام سلمة إنَّ هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول و هذه التربة التي يقتل عليها فضيعه عندك فاذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت ام سلمة يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه

قال قد فعلت فأوحى الله تعالى 'أن له درجة لا ينالها احد من المخلوقين و« له شيعه يشفعون فيشفعون وأن المهدي عليه من ولده فطوبى لمن كان من أولياء الحسين عليه و شيعته هم والله الفائزون يوم القيامة. (١)

فمنذ بداية البعثة النبوية الى حين اجتماع دار الندوة^(١) وهجرة النبي ﷺ، و مروراً بحرب أحد و غزوة الاحزاب و فتح مكة، تجد أن لبني امية دوراً فاعلاً في ايجاد المخاطر المحدقة بحياة النبي ﷺ، ورسالة التوحيد و دين الإسلام، سواءً بشكل مباشر أو بواسطة، و لقد كانت دار أبي سفيان مركز قيادة العمليات التخريبية السياسية والعسكرية ضد الدعوة و الإسلام.

و لقد كان أبو سفيان و زوجته هند و اخته حمالة الحطب، و اولاده حنظلة و يزيد و معاوية، و ابو زوجته عتبة و عمّ زوجته شيبة، و اخو زوجته الوليد، و ابن عمّه الحكم و مروان و باقي افراد هذه العائلة الملعونة، ليس لهم همٌّ في الجاهلية و في عصر الإسلام إلا ايجاد المخاطر لدين الله، و إنّ حقّدهم الجاهلي الدّفين لم يخرج من صدورهم أبداً حتى بعد الإسلام.

فالنبي الاكرم ﷺ كان يعرف أخطار بني امية على الإسلام و الدين، من خلال معاشرته لهم أيام حياته و إبان دعوته الناس الى الإسلام، مضافاً الى ما كان يُوحى اليه من السماء بمخاطر هذه الشجرة الملعونة و عواقب امورها و هو ما كان يُخبر به مراراً و تكراراً كما إنّ الله عزوجل قد أخبر في كتابه الكريم بمخطر هؤلاء عندما وصفهم بالشجرة الملعونة.

(١) و خلاصة القصة: إنّ قريشاً اجتمعت في دار قصي بن كلاب و هو محل المشورة و اتخاذ القرارات السياسية المهمة و يسمى بدار الندوة، و قرروا تصفية النبي ﷺ حسداً للتخلص من الإسلام الى الابد، فاخبر الله عزوجل نبيه بذلك و امره بالهجرة الى يثرب و ترك علي عليه السلام ليبيت تلك الليلة في فراشه فاديا له بنفسه، و لذلك مكر الله و الله خير الماكرين. و دُفع شرّ المشركين عن النبي ﷺ و كان ابو سفيان و عتبة و شيبة من جملة المتآمرين في دار الندوة على النبي ﷺ (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٣).

ولقد أفضّل النبي ﷺ بعون الله ولطفه، كلّ دسائس هؤلاء وتجييشهم الجيوش وتخزيهم الاحزاب لدفن الإسلام، ولم تمرّ إلا أيام قلائل حتى تهدمت كل قلاع الكفر والشرك وانتصر جند الله على قوى الشرّ والضلال، وتلاحقت الفتوحات الاسلامية، فتيقن بنوامية بضعفهم وعجزهم عن مواجهة الإسلام وجهاً لوجه، وعرفوا أنّ حمل راية الشرك لم تعد نافعة ولا ناجعة، وأنّ عهد الوثنية قد ولّى وأنّ الدعوة الى التوحيد والاخوة والمساواة قد شغفت العالم بحبّ النبي الاكرم ﷺ، وانه يستحيل عكف القلوب من التوحيد الى الشرك ومن الاخوة والعدالة والمساواة والحرية الى التسلط القبلي والفتوي والفردية، فلم يجدوا سبيلاً للنيل من الإسلام إلا ارتداء عباءة النفاق والتظاهر بالاسلام.

فلم يعدّ للدعوة الى الشرك ومواجهة النبي ﷺ أذن صاغية اذ كان الناس قد ذاقوا حلاوة دعوة التوحيد فلم يعدّ بالامكان استبدالها بعلم الكفر والتمايز الطبقي، ولم يعد بالامكان استبدال الآمال الرائعة للايمان، بكوابيس عصر الجاهلية الموحشة.

فالقائد الربانيّ، متواضع، حرّ شريف، رؤوف عطوف، بسيط في عيشه، يواسي ابسط الرعية، والقوانين السماوية للدين الجديد، تطبّق على الجميع بلا استثناء، والنبيّ الاعظم يجالس الفقراء والمساكين ويصاحبهم، وكانت اخلاقه الرفيعة قد اجتذبت القلوب اليه والى كتابه السماوي، وأنسأهم اللات والعزى ومنة الثالثة الاخرى، وأنسأهم أبوسفيان وملاقريش.

لقد وعى بنوامية هذه الحقيقة جيداً، وعرف أبوسفيان وبطانته أنّ فكرهم ومبادئهم قد قضى عليها الى الابد، وأنّ الفكر التوحيدي قد غزاها في عقر دارهم، فلم يشأ أبوسفيان تضييع الوقت لثلاثين تأخر عن قافلة رفاقه الذين سبقوه في

الوصول الى هذه الحقيقة بثمانية أعوام، ولذا اظهر اسلامه مكرها مضطراً.
وما أن وضع أول قدم له في هذا العالم الجديد، حتى بدأ يحيك المؤامرات و
الدسائس، ويُشعل الفتن و يحاول إحباط الغزائم والهمم، مُتَحِيناً الفرصة لطعن
الإسلام من الخلف، و قلع جذور شجرة التوحيد الغضة.

وما أسرع ما فُجِعَ العالمُ الاسلامي برحيل النبي الاعظم محمد ﷺ، و اظلمت
المجتمع غمامة تشجج فكري كاد معها البعض ان يرتدّ، و اختلف القوم في الخلافة، و
أقصى بنو هاشم الذين كانوا يرون في علي بن أبي طالب الخليفة المنصوص عليه و المعين من
قبل النبي صلى الله عليه و آله، و استولى آخرون على سدة الحكم.

و هنا حاول ابو سفيان التصيّد في الماء العكر، سعيّاً في إشعال الفتنة و القضاء
على الإسلام و اعادة الجاهلية الى الجزيرة العربية.

و لو أنّ اباسفيان كان قد نجح في ذلك اليوم في اثارة الفتنة و الحرب الداخلية
و كانت السيوف قد شمرت في المدينة و قاتل المسلمون بعضهم البعض، لارتدّ
الناس بابشع صور الارتداد، إذ أنّ أكثر الناس كانوا حديثي عهد بالاسلام و لم تكن
الشرعية و الايمان قد تركزا في نفوس اهل القرى و البوادي و القبائل العربية البعيدة
عن المدينة، أضف الى ذلك أنّ نفس رحيل النبي الاكرم ﷺ قد هزّ القلوب، و شكك
ضعفاء الايمان، بمستقبل الإسلام.

و في مكة بلغ الوضع حدّاً من التوتر جعل عتاب بن أسيد والي مكة يتوارى
عن الانظار، و راح البعض يفكر في تحصيل الامارة و الحكم لو لا خوف تقسيم
الدولة الإسلامية و هدم وحدة المسلمين و ردّة المجتمع الى الكفر.

في تلك اللحظات الحساسة، كان سلّ السيف مساوفاً لسقوط الإسلام، و
كانت ابواب الفتنة و الامتحان مفتوحة على مصراعيها بوجه المسلمين.

و لما كان أبو سفيان واقفاً تماماً على دقائق هذه المسائل ، فكّر جاداً في استغلال الظرف لاشعالها فتنة داخلية ، و من الواضح إنه في الحالة تلك يلتمس بني هاشم و انصارهم وخاصة علي بن ابي طالب عليه السلام لقربه من رسول الله ﷺ و لمحبيّته و شهرته ، و لانه الاحق بالخلافة من غيره ، و قد أقصي عنها ، مضافاً الى عدم اعتراف فاطمة الزهراء و بنت رسول الله و سيدة نساء العالمين عليه السلام ، بحكومة ابي بكر ، مما حدى ببني هاشم الى الامتناع عن البيعة و التجمهر للاحتجاج في المسجد و دعوة ابي بكر الى التراجع و التخلي عن الخلافة لعلي عليه السلام .

فجاء أبو سفيان الى علي عليه السلام و قال : « مُدِّ يدك لابايك فوالله لو شئت لأملئتها عليهم خيلاً و رجلاً . » (١)

و قد لا يكون أبو سفيان مبالغاً في عرضه بتجيش الخيالة و الرّجاله ، اذ إنّ مكّاراً مثله ، كان قادراً على اعداد ذلك لعلي عليه السلام الذي له من السوابق في الايمان و الجهاد و العلم ما يسهل مهمّة ابي سفيان .

و لكن علياً عليه السلام لم يكن ليرضى بذلك ، خاصة من ابي سفيان الذي حرّب الاحزاب لحرب النبي ﷺ و الاسلام ، فكيف يرضى علي عليه السلام أن يستعين بجيش يقوده أبو سفيان لضرب المسلمين بعضهم ببعض ، و لقد اراد أبو سفيان بذلك ان يُعيد الاحزاب ثانية بثوب جديد و لكن علياً و هو امام اهل الحق و عشاق الحقيقة ، لم يكن طيلة حياته مائلاً الى الدنيا و حبّ السلطان و الانتفاع الشخصي و لو بمقدار ذرّة او مثقال ذرّة ، فما كان منه إلا ان يصفع ابا سفيان بكلمات اعادته خائباً الى ادراجه .

(١) الكامل ج ٢ ص ٢٢٠ . شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٧ .

لقد كان علي عليه السلام مأموراً من قبل النبي ﷺ باتخاذ موقفٍ ما حادَ عنه قيد أنملة .

كان علي عليه السلام يعلم جيداً أن شهر السيف بوجه أناسٍ لا يعبأون بالفتنة الداخلية ، ولا تهمُّهم المصلحة الاسلامية العليا ، لا يُثمر إلا هدم الإسلام وكان علي عليه السلام يعلم جيداً أن أولئك القوم سيحاربونه بكل ما أوتوا من قوة ولن يتنازلوا عن مخططهم وأن النتيجة مهما كانت فهي في ضرر الإسلام .

ولذا ، ولما كان علي عليه السلام عارفاً باخلاقية الخصم وحرصه على الزعامة وطمعه بالملك ، أظهر حليماً وغمَدَ سيفه ، وجلس في داره ، و طرد اباسفيان و خاب أملُ أبي سفيان في توجيه ضربة قاصمة للإسلام ، وبقي يتحين الفرصة ، حتى وليَ عثمان الحكم واعتلى بنو أمية (أعداء رسول الله) سدة الحكومة والادارة ، ولذا دخل الى مجلس عثمان وقال قولته الكافرة المعروفة .

ولم يكن ما قام به عثمان طيلة مدة خلافته إلا ما يُقرُّ عيني أبي سفيان وموافقا لمقاصده و خطوة في طريق تحقيق مخطَّطه ، فلقد فسح عثمان المجال لبني أمية في التدخل بكل شؤونات الخلافة ، وفتح لهم بيت المال يغترفون منه ما شاؤوا ولا هم الولايات ، وإستوزر مروان بن الحكم ، طريد رسول الله ﷺ وولِّي الوليد الفاسق السكير ، الكوفة ، واستقل معاوية على الشام بلا رقيب ولا حسيب .

وعندما قتل عثمان بعد الثورة عليه ، رفع معاوية قيص عثمان واستشعر به ، مع أن المنتفع الاوّل من قتل عثمان هو معاوية ابن أبي سفيان الذي خلى بين عثمان وبين الثائرين عليه ولم يحاول ايصال المدد اليه ونصرته ، و خرج علي الخليفة المنتخب الحق ، واشعل نار تلك الفتنة ، وقتل اصحاب رسول الله ﷺ وثار لقتلاه ببدر وغيرها ، من المهاجرين والانصار .

و عندما اغتصب الخلافة بالمر و الاحتيال ، استهان بالاحكام الشرعية و التعاليم الاسلامية ، و روج سب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر التي اشادها علي عليه السلام بسيفه ، و سلط زياد ابن أبيه على الكوفة فعاث الفساد بأهلها و هتك الحرمات و نهب الاموال ، ولكي يبقى الحكم في دائرة عائلته الضيقة المشؤمة ، استخلف ولده يزيد الرجس و المعاصي و الفجور ، و لقد كان يزيد باراً بأبيه حيناً اتم ما بقي ناقصاً من جرائم معاوية و هتكه لشعائر الله .

تُرى كيف سيكون مصير الإسلام ، اذا اتكى على مسند الخلافة صبي مهتك فاسق ، سكير كيزيد بن معاوية ؟

هذا الغلام الذي يتهم علناً و بكل وقاحة ، نبي الإسلام العظيم باللعب بالملك ، و بالكذب ؛ خاصة و إن الإسلام لا يفصل بين الحكم و الدين و إن القائد السياسي هو نفسه القائد الديني ؟

فن الواضح إن الإسلام سيضيع و يندثر و تُقرأ فاتحته ، و لا شك في أن هذه الفعال القبيحة سيكون لها أثر داخل و خارج الدولة الاسلامية مما يؤدي الى ضعف ايمان الناس و تزلزل اعتقاداتهم .

فاذا كان الخليفة يحتسي الخمرة علناً ، و يقيم مجالس اللهو الطرب و المجون ، و يلعب بالقردة و الكلاب ، و يرتكب الكبائر ، و يستهزأ بدين الله ، و يستخف بالاحكام ، فعلى الإسلام السلام .

فاراد الحسين عليه السلام أن يجد من تحقق كل تلك الاثار السلبية لهذا الاستخلاف المشؤم و أن يمنع الانحراف الخلاقي و العقائدي عند الناس ، و أن يفهم العالم معنى الدين و الخلافة و الحكم الاسلامي و اهداف دعوة جدّه الاكرم عليه السلام .

لقد قرّر الحسين عليه السلام تعظيم الدين و اعلام الناس بان الإسلام هو الاغلى و انه

يستحق التضحية بكل غال ونفيس من الاموال والاولاد والاصحاب والنفس وانه اعزُّ من كل شيء.

و قرّر أن يلفت انظار الناس عملياً الى ضرورة تعظيم الفرائض والواجبات الدينية ورعايتها والى أهمية الذنوب والمعاصي.

و قرر أن يعلم الناس درساً في التدبُّن والاستقامة والثبات ومقارعة الظالمين والكفر والكافرين.

و قرّر حفظ الإسلام من الاندثار، و احياء الكتاب والسنة ولم يكن هناك طريق لذلك، إلا الثورة و الامتناع عن البيعة و سلب اعتبار افعال يزيد المنكرة و سلوكه المنحرف و ذنوبه الكبيرة، دليلاً على بطلان خلافته و حرمة مبايعته، و لقد ثبت و اصرَّ الحسين عليه السلام على ذلك حتى استشهد و فدى الدين بنفسه.

و لقد كان المجتمع يعلم جيداً أنَّ الدين و احكام الإسلام التي صارت لعبة بيد يزيد يلعب و يهزأ و يستخفُّ بها، فهي عزيزة الى درجة ان شخصا كالحسين عليه السلام يضحي بنفسه و اهله من اجل حفظها و اعزازها.

لقد زرع الحسين عليه السلام يزيداً و حكمه، و فضح شخصيته المتهتكة الاجرامية وانه بعيدٌ كلَّ البعد عن القرآن و الدين و القيم و المثل، و انه عنصر الخبث و الشرِّ، المتلوث بلوث الفحشاء، و الغارق في بحر الفجور، و انه عدو للاسلام و نبيِّه و اهله بيته.

و لقد عجز بنو امية بعد استشهاد الحسين عليه السلام من توجيه ضربة قاصمة للاسلام و طعنة في ظهره، فلقد إتّضح للجميع أنَّ بني امية لا يمثلون للاسلام، و انهم ثلّة مجرمة مستبدة، تسلطت على رقاب الامة الاسلامية بالقوة و بريق السيوف و الرشا و أنَّها خائنة للاسلام و متربصة به الدوائر.

لقد اثارت قضية كربلاء احساس و عواطف الناس ، الى درجة انهم ازدادوا تعلقاً بالدين و احكامه ، و كبر التزامهم بالشريعة على الرغم من سياسة بني امية المحاربة للدين .

و من هنا فلا نبالغ اذا ما قلنا كما قال الشاعر الهندي الكبير «معين الدين الاجميري» بان الحسين عليه السلام هو المؤسس الثاني للدين و باني قصر الإسلام العظيم و مجدد هيكَل التوحيد و الوحدانية .

٣- إيقاظ الشعور الديني

كان الشعور الديني عند عامة المسلمين قد ضعف نتيجة لاعلام معاوية و منهجه و خطط ولاته ، و ابتعاد الناس عن عصر الرسالة و تعطيل الاحكام و منع نشرها و منع التبليغ الديني الصحيح ، و اقضاء الاختيار و النُخب و العلماء . و قد وصل انحطاط الشعور بالمسئولية الى درجة الخنوع و الخصوع و الاستسلام لسياسة الحكم الاموي .

فلقد سرى احساس بالذلّ و المهانة و الظلمة في المجتمعات الاسلامية ، سريان السرطان المنتشر ، و عمّ الاسترخاء و الضعف و الخواء الفكري في هيكَل المجتمع ، فاقعده عن التأثير بالمنكرات و المظالم فضلاً عن التأثير لاصلاح الامور فاصبحوا يُساقون كما تُساق الانعام و كما قال عبد الله بن همام السلوي :

فانْ تَأْتُو بِرَمْلَةٍ أَوْ بَهْنِدٍ نُبَايِعُهَا أَمِيرَةً مُؤْمِنِينَ

فكان بنو امية يولّون من يشاؤون على رقاب الناس ، و لو أنّهم ولّوا نساءهم و جواريتهم و قرودهم ، لما اعترض عليهم احدٌ خوفاً من السجن و القتل و مصادرة الاموال .

إنَّ صفات الكمال التي كان يتحلَّى بها المسلمون أيام رسول الله، كالخلوص و
الفداء والشجاعة و الاقدام و عدم الخوف من الموت، أصبحت كلها في خبر كان
الناقصة، و لم يبق من أبطال الايمان و رواد الفضيلة الذين كانوا يتسابقون الى
الشهادة في سبيل نصره الدين، الاّ عدة قليلة استشهدت مع الحسين عليه السلام في كربلاء،
أو بقيت بعيدة عن ساحة الاحداث، أو زُجَّ بها في غياهب السجون.

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام واصحابه البررة، أيقظ ضمير الامة
السابت، و احيى الخصال الإنسانية عندها، و علّم المسلمين دروس البطولة و الاباء
و الاستقامة و الفداء، الى درجة أنَّ بني امية كلّموا اخمدوا ثورةً من الثورات التي
إندلعت ضدهم ببركة دماء الحسين عليه السلام و اهله، لم تخمد تلك الروح الرسالية
الاستشهادية المتأججة عند المسلمين حتى عاد القتل في سبيل القيم و الحق فخراً
يعتزّ به المسلمون.

لما نظر مصعب بن الزبير الى حليلته سكينة عليها السلام مكتئبة حزينة قال
لها: «لَمْ يَبْقِ أَبُوكَ لَابِنِ حُرَّةٍ عُدْرًا»
و انشد قائلاً:

و إنَّ الأولى بالطفِّ من آل هاشمٍ تأسوا فاسْتَوْا للكرام التأسيا

٤- ازدياد محبة اهل البيت عليهم السلام و بقيّة السيف

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا»^(١)

ذكرنا آنفاً إنَّ الله سبحانه و تعالى أودع قلوب الناس محبة اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله

فلا تجد مسلماً مؤمناً يحبُّ نبيَّ الإسلام ﷺ ولا يحبُّ عزيزته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام وريحانته الحسن والحسين وإخاه وابن عمِّه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وقد أكدَّ هذا المعنى الإمام السجاد عليه السلام في خطبته في مسجد الشام عندما عدَّ ما خصَّهم الله به من الخصائص التي من جملها: «والمحبَّة في قلوب المؤمنين».

وكان من جملة بركات النهضة الحسينية وآثارها، ازدياد تلك المحبة وترسيخها في القلوب، ولاغرو في أنَّ الشجاعة وصدق الحديث، والثبات على المبادي، والبطولة، والمظلومية ومقارعة الظلم والظالمين تُعدُّ من الصفات الحبيبة التي تقرَّب المتصفين بها إلى القلوب.

ومن خلال قراءة اللوحات الشعرية التي انشدت بعد استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام في رثائه ومدحه ومدح آل علي، يظهر لنا بوضوح مدى عمق التأثير الذي تركته مظلومية الحسين عليه السلام في قلوب المسلمين، فإنَّ بعض تلك الأشعار تتضمن معاني الحبِّ والولاء الصادقين بدرجة الهيام والذوبان.

ومهما أسهبنا في شرح ذلك الحبِّ والارتباط الروحي للمسلمين بالحسين عليه السلام، فهو قليلٌ في جنب الواقع. فهذه المراسم والشعائر التي تقام في الهند والباكستان والعراق وإيران ولبنان وسورية والبحرين والاحساء وأفغانستان ومصر وفي دول عديدة في أوربا وحتى في أمريكا وأستراليا، خاصة في بعض الليالي والأيام الخاصة كيوم عرفة والنصف من رجب وشعبان والعشرة العاشورائية والأربعين، كلُّ ذلك يدلُّ بوضوح على أنَّ الحسين عليه السلام قد ملك القلوب إلى درجة تحيّر العقول ودخل عشقه وحبِّه حتى في قلوب الأجانب من غير المسلمين، فلا تنحصر هذه المراسم في مرقد الحسين عليه السلام الطاهر وحواليه، بل تقام في

كل المقامات المنسوبة اليه أو الى احد ابنائه أو اخوته أو بناته .

و اذا ما حضرت الى البقعة المنسوبة الى رأس الحسين الطاهر في القاهرة ، يوم عاشوراء ، و ليالي الاثنين في « مشهد السقط » بالقرب من حلب و مشهد السيدة رقيه بنت الحسين عليها السلام في دمشق عاصمة الحكم الاموي ، و مشهد السيدة زينب و مقام راس الحسين في مسجد دمشق ، و مقام السيدة زينب في مصر ، لو قفت على عمق الحب الذي تركه استشهاد الحسين عليه السلام في قلوب مسلمي تلك البقاع ، فان المراسم في بعضها لا يقل كثافة و حماساً عن المراسم التي تقام في كربلاء و بالقرب من مضجعه الطاهر .

حجّ هشام بن عبد الملك فلم يقدر على استلام الحجر الأسود من الزحام ، فنُصِبَ له منبر مجلس عليه و اطاف به اهل الشام فيبينا هو كذلك اذ اقبل عليّ بن الحسين عليه السلام و عليه ازار و رداء من احسن الناس وجهاً و اطيبهم رائحةً ، بين عينيه أثر السجود فجعل يطوف فاذا بلغ الى موضع الحجر تنحّى الناس حتّى يستلمه ، هيبة له ، فقال شاميّ : من هذا يا أمير ؟

فقال هشام : لا أعرف (غَضَباً و حَقّاً على اهل البيت عليهم السلام) لئلا يرغب فيه اهل الشام . فقال الفرزدق و كان حاضراً : لكيتي أنا أعرفه ، فقال الشاميّ : من هو يا أبا فراس ؟

فانشأ الفرزدق قصيدة طويلة في مدح أبي الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، منها :

يا سائلي أين حلّ الجودُ و الكرمُ	عندي بيانٌ اذا طلبه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	و البيت يعرفه ، و الحلّ و الحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم	هذا التقيّ التقيّ الطاهر العلم

إذا رآته قریش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
 هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
 من معشر حُبهم دينٌ و بغضهم كفرٌ، و قربهم منجى و معتصم
 يستدفع الضرّ و البلوى بحبهم و يستزاد به الاحسان و النعم
 و منه يُعرف مدى حبّ الناس و تعلّقهم باهل البيت عليهم السلام و عزّة و
 عظمة الابن الوحيد للحسين عليه السلام و بقية السيف الاموي الذي لم يرحم حتى الرضع
 من اولاد ابي عبد الله يوم عاشوراء.

كما يستفاد من هذه الحكاية، شدّة عطش الناس الى ذكر فضائل اهل البيت
 عليهم السلام فالفرزدق كان يعلم أنّ إنشاء تلك القصيدة في ذلك المجمع و بحضور
 هشام الغاضب، سيكون غالياً، فلم يمنع ذلك من الاعلان عن مقام و فضل اهل
 البيت عليهم السلام.

و هذه هي الحقيقة التي عبّر عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام بكلمة قصيرة حينما
 قال:

«بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى وَأَكْثَرُ وَلَدًا»^(١)

فوجبات البقاء و الكثرة و العزّة و العظمة، توفرت لاهل البيت عليهم
 السلام من خلال تضحياتهم و صبرهم و جهادهم و صدقهم مع الله، بعكس اولئك
 الخانعين الاذلاء للظلمة.

و طبقاً لما رواه حمد الله المستوفي، فإنّ يزيد بن معاوية كان له ثلاثة عشر

ولداً^(١)، ولكنك اليوم لا تجد احداً ينتسب الى 'يزيد!!' ولو وُجد ذلك الأحد، فانه سيستنكف عن نسبه الوضع هذا ولا يصرح به خوفاً من العار ويخفيه خوفاً من ان تلحقه لعنة اللاعنين.

و لم يبق للحسين عليه السلام من اولاده الذكور، يوم عاشوراء إلا علي بن الحسين عليه السلام ولكنك اليوم تجد عشرات الملايين من السادات و الشرفاء من اولاد زين العابدين عليه السلام، مشهورين و معروفين و منتشرين في الاصقاع و الممالك الاسلامية، و الذين يُكنُّ لهم المسلمون - بسنتهم و شيعتهم - كلَّ احترام و تجليل و تبجيل، و يتبركون بهم.

٥- مدرسة عاشوراء

و من جملة ثمرات استشهاد الحسين عليه السلام التي لازالت الاجيال و على مرَّ العصور تنتفع بها، تلك المراسم و الشعائر التي تقام لاهياء ذكره، و ذكر مصائبه و نوائب اهله و عيالاته، و على طول ايام السنة^(٢).

(١) حجة السعادة ج ٢ ص ٣. مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦.

(٢) للمستشرق الفرنسي المعروف، الدكتور رينو (جوزيف)، بيان وافي في كتابه «الإسلام و المسلمون» تناول فيه بعمق فلسفة الشعار الحسينية بكل أشكالها من الناحية السياسية و الاخلاقية و تربية النفوس و تكميلها مشيراً الى تركز هذه الشعائر عند الشيعة في ايران، معتبراً انه السر في بقاء و قوة شوكة الشيعة في المستقبل و تنامي نهجهم و تزايد عددهم. و اشار المستشرق المذكور الى الاوقاف الشيعة و الحقوق الشرعية التي يصرفها الشيعة في احياء مراسم عاشوراء و اقامة مجالس الغزاء على الحسين عليه السلام و قال: ان ما سوى الشيعة من المذاهب الاسلامية، لا يبذلون ما يبذله الشيعة من الاموال في الدعوة الى الدين، و قد يعادل بذل الشيعة ثلاثة أضعاف بذل الآخرين في نفس السبل، و لو أنَّ شيعياً كان يعيش بعيداً عن

→ اهل ملته وفي ابعد نقاط العالم، فانه سيقم لوحده مجلس احياء ذكر الحسين عليه السلام و ينفق على الفقراء و يُطعم الطعام، و يكون بذلك داعية في الواقع الى الدين.

و للمنبر و الوعظ و الارشاد و الخطابة، دور مهم في تربية الخطباء و الوعاظ و المتحدثين الاكفاء لتعريف الناس و تعليمهم المعارف و الأخلاق الرسالية. فالمنبر يتناول مختلف المسائل الدينية و العقائدية و الفكرية و الاخلاقية، بالبحث و الدراسة، بنحو يكون الفرد الشيعي اعلم من اقرانه من سائر المذاهب، في تلك العلوم و المعارف. و لو القينا نظرة الى الافطار الاسلامية، لم نجد كالشيعة سابقاً في الميادين العلمية و الصناعية و الاقتصادية، فالاستعداد للابداع و الترقى و كسب العلوم الحديثة، اوضح عند الشيعة من غيرهم، كما ان اليد العاملة الشيعية اقدر من مثيلاتها من سائر الفرق، و اكثر عدداً بالقياس الى نسبة نفوسهم.

و ان الشيعة لم ينشروا مبادئ مذهبهم و فكرهم، عن طريق القوة و السلاح، بل فعلوا ذلك بقوة التبليغ و الفكر و الأخلاق.

ان اهتمام الشيعة باحياء هذه الذكرى و ما يظهر من كرامات في تلك المجالس ادنى الى ان يشترك ثلثا المسلمين بل و الهنود و المجوس أيضاً، في تلك المراسم.

و من هنا، يمكننا الحكم بان عدد الشيعة سيزداد في المستقبل القريب و قد يفوق عدد اتباع المذاهب الاخرى، و قد استطاع التشيع من النفوذ الى الملل و اهل المذاهب الاخرى، و تمكن الشيعة من تبليغ و ايصال اصول مذهبهم الى الآخرين، و قد حققوا ما يحلم ساسة الغرب به، بما يبذلونه من اموال طائلة لنشر المسيحية.

ثم يتطرق المستشرق الى « مواكب الحسينية و الرايات و علائم العزاء، و يشرح بالتفصيل تأثيراتها و نتائجها و فلسفتها، و علاقة الشعائر بالاتحاد و الوحدة الشيعية و الاستقلالية و روح التحرير، و يقول: من الامور الفطرية و الطبيعية التي تدعم فكر الشيعة هو ان الطبع البشري و الفطرة الإنسانية ميالة الى نصرته المظلوم و كراهية الظالم ».

ان هؤلاء الكتاب و المفكرين، يذعنون لحقيقة مظلومية الحسين عليه السلام و اصحابه، و طغيان و وحشية قتلهم، و لا يذكر قتلة الحسين عليه السلام إلا باقبح الاسماء و الالقاب، اذ لا شيء يكبح الشعور الفطري و الادراك الوجداني، و يقف حائلاً دون تقدم المذهب الشيعي و رُقيته.

و هذه المقالة، طويلة مفصلة، و من اراد المزيد فليراجع كتاب « ذكرى الحسين » ج ٢

→ ص ٢٠٤-٢٠٨. تأليف العلامة مهاجر العاملي.

ولقد نقلنا ملخصاً مضغوطاً لبعض تلك المطالب هنا ليعلم القارئ العزيز أنَّ المستشرقين المنصفين والمفكرين واهل النظر من علماء الملل الاخرى قد اقرّوا بنتائج و ثمرات هذه المراسم الحسينية، و تأثيراتها في المبادئ الوطنية والاستقلال والحرية.

وليس هذا المستشرق هو الوحيد الذي نفتت الى هذه الحقائق، بل هناك العديد منهم ممن يعتقد بدور ثورة الحسين عليه السلام الكبير في تثبيت دعائم الإسلام ونشره في العالم، من جملتهم المستشرق الألماني (ماربين) الذي يعتقد بنفس الشيء في سياسة الحسين عليه السلام و طلبه للحق، و يمتدح معتقدات الشيعة.

ولكن بعض اعداء الإسلام ومرتقة الاستعمار و ذوي الاقلام المأجورة، الذين يخافون من وقوف الشعائر و المراسم المذهبية في وجه اطاعهم الاستعمارية في الدول الاسلامية و الحد من نفوذهم و تحكمهم برقاب المسلمين، خلافاً للمذاهب الاخرى و من هنا فانهم يحاولون التقليل من اهمية الثورة الحسينية، بل و يتجرأ بعضهم على إتهامها بالفشل و عدم الفائدة.

و على العموم فان هؤلاء يحاولون الاستخفاف بكل ظاهرة من شأنها أن تقوّي شوكة المسلمين و ترفع شأنهم و توحد صفوفهم، و يحاولون تعطيل و منع هذه الشعائر و الظواهر، او الحد من انتشارها على اقل التقادير، كما نرى ذلك بوضوح في دولة مصر، حيث حاولت الحكومة المصرية منع الشعائر الحسينية التي كانت تقام في عدة ارجاء من مصر و بشكل مهيب و رائع حتى زمان الملك فؤاد الذي كان تحت رعاية و حماية الانجليز، حيث منعها.

و في العراق، و ان حاول الحكام منع تلك الشعائر بين فترة و اخرى و لكن، و لعلّو همّة الشيعة و عزمهم و غيرتهم على الدين، و تضحياتهم بقيت مراسم عاشوراء و الاربعين تقام بشكل رائع و مهيب يشترك فيها كلّ طبقات المجتمع.

و قد تشرفتُ بزيارة كربلاء المقدسة قبل اعوام، و في ايام عاشوراء، فلفت انتباهي، هيبة عزاء شكلها اساتذة و طلاب الجامعات العراقية جاءوا من بغداد و الموصل و البصرة، فكان مشهداً رائعاً ليئم عن عمق تأثير الثورة الحسينية في ضائر المتقنين. فلقد كانت تلك الهيئة موكباً مميزاً من بين المواكب الحسينية، فإن اقامة الشعائر الحسينية من خلال نافذة العلم و المعرفة، يكون أوقع في التأثير و التأثر، فلقد اثبت هؤلاء بقصائدهم هتافاتهم و راياتهم

→ السوداء والحمراء التي رفعوها، ان الطريق الانحى لنشر مبادئ الحسين عليه السلام وتحقيق اهدافه هو سبيل الشعائر المبتنية على اليقين والمعرفة، و في الوقت الذي اثبتوا فيه اشتراكهم مع الهنات والمواكب الاخرى، اعلنوا عن استقلالهم ورشدهم الفكري و دركهم لحقيقة وفلسفة الشعائر الاسلامية وتعظيمها، و عدم تأثرهم بالاعلام الاستكباري الساعي الى تسخيف هذه الشعائر والانتقاص من دورها.

أجل، نحن نرى اليوم، و في المجتمعات التي تدعي الحضرة والمدنية ان مراسماً تقام و في مناسبات عديدة، لا تمتُّ الى الروح الإنسانية و الى العقل و السيرة العقلانية، و مع ذلك لا ينتقدها احدٌ، لان اولئك الذين يقيمون هذه المسابقات هم من أهل القدرة و المال و الذين يشجعون الناس على حضور مسابقة الملائكة و يجبرون رجلين أو امرأتين يتنميان الى النوع البشري الكريم، على ضرب احدها الآخر حتى الادماء و الطرح أرضاً، بلا فائدة روحية أو جسدية مرجوة من مثل هذا التزال.

فكم من عين قد فقتت و اذن قد صمتت، بل و كم من إنسان مات في هذه المسابقات الفارغة، و العجب انهم يفتخرون بذلك و يهدون الجوائز للاشد قسوة و وحشية، و يصفقون له فرحاً بنصره!!

ان التبذير و الاسراف و البذخ اليوم يعمُّ العالم الغربي، بدءاً من اعياد كانون و انتهاءً بوصايا الاموات و مراسم التجهيز و الدفن. و التي تدلُّ مضافاً الى الاسراف و التبذير، على السخف و السفاهة و خفة العقل و قلة التدبير.

سبق و ان قرأت في احدئ الجرائد المشهورة، ان شجرةً في أميركا، يُقدِّسها الناس و يفدون لزيارتها، و ذكر المقال: ان عدد زوَّار هذه الشجرة في تلك السنة قد بلغ ثمانية ملايين زائر. و المبالغ المالية التي تصرف في فرنسا و ايطاليا و دول اخرى، على الرَّمالين و الفوالين و الكهنة و قراء الكف و الفناجين و السحرة، كبيرة قد تعدل ميزانية احدئ الدول الشرقية!! و مع كل هذا، لا تجد عاقلاً ينقض عليهم و يردعهم.

و بعض المغتربين المبهورين بحياة الغرب، يصرف على تجهيز و دفن كلبه، اموالاً تكفي لتأسيس مستوصفٍ في قرية نائية، و يبذر المال في مراكز القمار و الطرب و الرقص، و يعتبر ذلك تمدناً و حضارة و ثقافة!! في حين ان ابناء قريته في وطنه بامس الحاجة الى القنوات المائية

وقد يتصور البعض خطأً، أنَّ الشيعة يبذرون الاموال حينما يصرفونها في اقامة مثل هذه الشعائر؛ ولكن الواقع يُشير الى غير ذلك، فالاستفادة المعنوية من هذه المراسم، وتأثيرها في تربية وتهذيب المجتمع واضحة الى درجة القطع بخطأ هذه المقولة، بل هذه المراسم والطقوس هي من أفضل وانهج سبل الاصلاح وانهما مدارس تربية وتعليم للقيم والمبادئ الاسلامية الرفيعة، وإنَّها وسائل إحياء أمر اهل البيت، ورمز بقاء التشيع وفكره الاصيل، بل بقاء الإسلام والدين.

ولو خصَّصت آلاف الملايين من الاموال وعائدات الاوقاف لترويج

→ و ماء الشرب واشباع بطونهم من الجوع.

ونفس هؤلاء، ولعدائهم للإسلام وشعائره، يستخدمون اقلامهم والسننهم الماجورة للنيل من اهتمام المسلمين بتعظيم شعائر الدين والالتزام بالاداب والاحكام الشرعية، منتقدين مراسم احياء ذكرى الحسين عليه السلام.

ولكن، والله الحمد، لم يُعد هؤلاء المستعمرين هُواة، فضلاً عن الانصار وان الجيل الجديد من شباب الإسلام، وعنى تلك الاحاييل وعرف تلك الحيل والخدع الاعلامية المسمومة، وعرف ان اقامة هذه الشعائر والافتداء بسيد الشهداء، يُحيي المجتمع ويبعث روح التضحية والفداء من اجل المبادئ الفاضلة.

إنَّ اقامة عزاء الحسين عليه السلام اضحى معجوناً بدماء الشيعة ورمزاً لهويتهم واستقلالهم، وأنه يستحق البذل منّا بكل غالٍ ونفيس، وعلى الجميع أن يساهموا في ذلك، ويشاركوا، كما ان على الخطباء والمبلغين ان يعرفوا الشباب والمجامعين المثقفين، على فلسفة ثورة الحسين عليه السلام ومبادئه ليحسّنوهم من الإعلام المضاد، ويحفظوا استقلالية العالم الاسلامي.

واذا ما رآه الشيعة والمسلمون عامة، ان يطووا مراحل الترقى والتطور، فعليهم ان يتعلموا في مدرسة العشق والشهادة الحسينية فهذه المراسم العاشورائية، ليست مضادة للتطور العالمي والتكنولوجي والاكتشافات والاختراعات وغزو الفضاء وسائر مظاهر المدنية الحديثة، بل هي موافقة تماماً وانهما من جملة السبل الكفيلة بالوصول بالانسان الى مدارج الرقي والتقدم.

التعاليم الاخلاقية والاجتماعية، وكانت صفوفها دائرة عامرة على طول ايام السنة، لما حققت ما حققته المجالس الحسينية ولما استطاعوا المحافظة على استمراريتها لكل هذه القرون المتتالية.

ولكنَّ الحسين عليه السلام و برأسمال الفضيلة و الخلق الرفيع و بتضحياته في سبيل الحق، اسس مدرسة منذ اكثر من ثلاثة عشرة قرناً من الزمان لازالت صفوفها دائرة عامرة على طول ايام السنّة، متزايدة شعبها و تشعباتها، وفنونها و علومها، يرتادها الرجال و النساء و الشباب و الشيوخ و الاطفال و كل طبقات المسلمين الفكرية و الاجتماعية، ليتعلموا دروس الحقيقة و الفداء.

إنَّ قراءة و استماع تاريخ تضحيات الحسين عليه السلام، و نهضته و ثباته و ثبات أصحابه، يقوِّي ايمان الانسان و يرسخ معتقدهاته الصحيحة و يعلو همّته و ارادته. إنَّ هذه المراسم التي تقام كلّ سنة في المساجد و الحسينيات و البيوت و المنتديات، هي ادوات الم بارزة مع الظلم و الظالمين و الوقوف بوجه سلاطين الجور، و الكفر و الشرك، و إعلان إنتصار الحسين عليه السلام !

إنَّ أحد أنجح الوسائل و السبل لترغيب الناس بالمبادي و القيم، هو ضرب الامثلة الحية الواقعية لهم، و حكاية تاريخ المتميزين في هذه المجالات، و ايُّ تاريخ و ايُّ نموذج و ايُّ قدوة أفضل من الإمام الحسين عليه السلام على مرّ التاريخ؟

إنَّ مجالس عزاء الحسين عليه السلام هي افضل مجالس التبليغ و الدعوة الى الإسلام. ففي تلك المجالس، يتعرف روادها على المعارف القرآنية و أصول و فروع الدين و التفسير و الحديث و سيرة النبي صلى الله عليه و آله و الائمة و الصحابة، و المواعظ و الحكم و الأخلاق و علوم الاجتماع و التربية مضافاً الى الحقائق الكونية و الطبيعية.

و في مجالس الحسين عليه السلام يتعلم الفرد منهج التربية الاسرية و الاجتماعية و

الواصر التي تربط الانسان ببني نوعه .

ولا شك في أنَّ ذلك من أفضل السُّبل لتحقيق هذا الغرض ، فالحسين عليه السلام قوة مغناطيسية تجذب الجميع اليها ، وإنَّ محبوبة الحسين عليه السلام في القلوب تدفع الجميع للارتباط والاقتراء به وتسجيل أسماهم في سجل انصاره وذرف قطرات الدموع الساخنة على مُصابه .

ولو انك اقترحت على الناس ان يبذلوا شيئاً من المال للامور الخيرية وإعانة الفقراء ، فانك ستحصل على 'مبالغ لا تُعدُّ شيئاً بالقياس الى المبالغ التي يصرفونها تطوعاً وبلا اقتراح من أحدٍ ، في إقامة مجالس الحسين عليه السلام فما أعظم الحسين عليه السلام وسيلةً للإصلاح و تقويم شؤون المجتمع الحياتية و هداية الشبيبة ينبغي أن نستفيد منها و ان نترجم تلك الاحاسيس و المشاعر و عواطف الملايين من المسلمين ، الى موقفٍ موحدٍ لنصرة الدين و الحق .

إنَّ الامّة التي تمتلك مثل الحسين عليه السلام رمزاً و قدوةً و مثالاً ، أمّةٌ ينبغي ان يُحتذى بها في طريق الحرية و العدالة الاجتماعية .
وإنَّ أمّةً أعلن قائدها :

« لا أرى الموت إلا سعادةً و لا الحياة مع الظالمين إلا برماً » و بقيت كلمته هذه خالدة في مسامع التاريخ ، لا ينبغي لها ان تستلم لظالمٍ و تعين طاغ .
وإنَّ أمّةً تعلن يزيد بن معاوية و تعدُّ خيانتة و مهاندته الكفار ، ذنباً و خيانةً للإسلام ، عليها أن تجتنب مهادنة الكفار و التذلل لهم .

و ليس في زمننا الحاضر ، منبرٌ تبليغي أفضل من منبر الحسين عليه السلام فاذا ما استفدنا منه و أحسنّا إستغلاله ، فسنصل الى أفضل النتائج و المغام .
و نعتقد أنَّ مجالس الحسين عليه السلام في ايران ، افغانستان ، باكستان ، الهند ، العراق ،

لبنان، سورية، البحرين، القطيف، قطر، اليمن، مصر و باقي ارجاء العالم، هي اكثر فائدة من سائر المؤسسات الثقافية و الارشادية العامة التي أسست للاصلاح و التغيير.

و كمثال لذلك: الخطباء و المدّاحين الذين ينتشرون في البلدان و يدورون على مدار النسبة في البيوت و المنتديات و يحتكّون بالناس و ينشدون الاشعار و المراثي و المدايح، و لو أمكن جمعهم و تنظيمهم و منهجة برامجهم من قبل العلماء و المحوزات العلمية و مراجع الدين و تعبئتهم و زرعهم بالمعلومات و توعيتهم سياسياً و إجتماعياً و تحليل الاوضاع السياسية و ما يهّم الناس و المجتمع لهم، لا يمكن الوصول الى الاهداف بشكل اشرع و انجح. اذ يمكن التاكيد في كل فترة على واحدة من الحالات الاجتماعية و الاخلاقية و تناوّلها من قبل الجميع باسهاب و دقة و تخصّص، فان ذلك سيؤدي الى ارتفاع المشاكل و الأمراض الاجتماعية و الحالات المعوّجة في المجتمع، الواحدة بعد الأخرى للوصول الى المجتمع المثالي.

و في السنوات الاخيرة، ازداد عدد الطلّاب و فضلاء المحوزات العلمية الذين ينتشرون في المدن و المحافظات و القرى و الارياف، أيام شهر محرم و صفر و شهر رمضان المبارك و المناسبات الاخرى، لاقامة الجماعات و الوعظ و الارشاد و الخطابة و التوجيد الديني و السياسي و الاجتماعي، مما حدّى بالناس الى تقديرهم و شكرهم.

و هؤلاء، أيّدهم الله يقومون اضافة الى الارشاد و التبليغ و ردّ الشبهات و تعليم الاحكام الشرعية، بالامور و الفعاليات الاجتماعية و الخدماتية كعمارة المساجد و تأسيس المؤسسات الخيرية الاجتماعية.

و اكرّر ثانية: إنّ الانصاف، هو أنّنا لم نستفد بعدُ كل الاستفادة من مائدة

الحسين عليه السلام، فإنّ أحد أهم عوامل إنتشار مذهب التشيع والإسلام في الهند، و باعتراف المطلعين، هو إقامة شعائر الحسين وكما يقول «ماريين»: إنّ عدد الشيعة لم يكن يتجاوز عدد الاصابع ولكنهم اليوم و ببركة مجالس الحسين عليه السلام يعتبرون من الطوائف المعتدّ بها عدداً في الهند.

اذن، يمكننا القول:

كما أنّ استشهاد الحسين عليه السلام ساهم في الحفاظ على الدين من الانحراف، فإنّ مجالس عزاء الحسين عليه السلام هي الاخرى لها الدور الكبير في بقاء الدين واستمراريته و هداية المجتمع الى الحق.^(١)

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله

٦- إدانة بني امية

لقد حفر بنو امية قبورهم بقتلهم الحسين عليه السلام و ازاحوا الستار عن شنائع أفعالهم ومقاصدهم المشؤمة، واشتروا بذلك غضب و زفرة المجتمع الإسلام ضدّهم.

وكما أشرنا في فصل سابق (انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام) فإنّ المجتمع

(١) إنّ رثاء الحسين عليه السلام و البكاء عليه، و زيارته قد ابتدأت في نفس سنة ٦١ هـ. ق و استمر إقامة تلك المجالس عليه في العصور المختلفة من قبل الائمة و اتباعهم و عامة المسلمين. فقد أنشد كبار الشعراء القصائد في ثورة الحسين عليه السلام و مصائبه و تضحياته و من جملتهم شاعر اهل البيت دعبل الخزاعي.

و للاطلاع على تاريخ عزاء الحسين عليه السلام راجع: الدلائل و المسائل ج ١ ص ١١٣. ذكرى الحسين ص ٥٨.

الاسلامي إستقبل حادثة كربلاء بمجزئٍ و الم عميقين و قد أدان كل المسلمين هذه الجريمة النكراء في حق سبط رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و رهطه و آل بيته، و توالى الاعتراضات الانتقادات من أقرباء بني امية أنفسهم قبل أعدائهم.

يقول المستشرق الالماني «ماربين»: إن من اكبر أخطاء بني امية التي محت إسمهم من صفحة العالم، هو قتلهم الحسين عليه السلام.

و هذه حقيقة يذعن لها كل مورخ و مطلع على تاريخ الإسلام، و لقد كان لذلك الاستنكار و الاعتراض العام على حكم بني امية فوائده الكبيرة و الكثيرة. اذ يؤس بنو امية من محاربة الإسلام و طعنه في ظهره، بعد أن عرف الناس حقيقة هذه العائلة الخبيثة و مخططاتهم الاجرامية و انكشف زيفهم و كفرهم للجميع، فقد فضح قتل الحسين عليه السلام بتلك البشاعة و الشناعة و سبى بنات رسول الله ﷺ، حقيقة بني امية.

و عاد التعاون مع بني امية و الدخول يسلكهم و سلطانهم، عاراً يفر منه الناس.

و لولا بريق السيوف و رؤوس الاسنة و الرماح التي يهدد بها بنو امية الناس، لهدم الناس على رؤوس بني امية دورهم و لقطعوهم إرباً إرباً، و مثلوا بجثثهم كل تمثيل.

و أنك لتجد في شعر عبد الله بن همام السلولي، ترجمة لتلك الاحاسيس الغاضبة عند عامة المسلمين، حين يقول:

حُشِينَا الْغَيْضَ حَتَّى لَوْ شَرِينَا دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةٍ مَا رُؤِينَا

و يقول احد علماء مصر الذي صنف فهرست كامل ابن الأثير:

« ان الجيش الذي تولى محاربة الحسين و قتله هو أقسى قلوب العالم و ليس

فيه آثار الرحمة والانسانية بل هم جمادات متحركة شريفة سجّلوا لأنفسهم في التاريخ أكبر العار وأساء الاعمال وأفضع الافعال عاملهم الله بجرائمهم أشدّ العقاب. (١)

و يقول الشيخ عبد الوهاب النجار، أستاذ قسم التخصص في الازهر، في ملاحظاته على الكامل :

« لعن الله الفسق والفساق لقد سوّدوا صحائف التاريخ وسجّلوا على أنفسهم الجرائم الكبرى التي لا تغتفر ولا تنسى مدى الدّهر فأنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. (٢)

٧-توالي الثورات على بني أميّة

من جملة نتائج نهضة الحسين عليه السلام ومظلوميته، تلك الحركات التحررية و الانتفاضات و الثورات التي توالى لاسقاط الحكم الاموي، و في عدّة أرجاء من العالم الاسلامي.

و من ابرز عوامل تلك الثورات هو الدعوة الى الأخذ بدم الحسين و الثأر من بني أميّة.

إنّ ثأر الحسين عليه السلام أصبح شعاراً يرفعه المظلومون و المقهورون من حكم بني أميّة.

و هذه الثورات، و إن أخذ اكثرها و قضي عليها على يد السّفّاحين أمثال

(١) فهرست الكامل ج ٣ ص ح و ط.

(٢) الكامل ج ٣ حاشيه ص ٢٩٧.

مسلم بن عقبة و الحصين بن غير و الحجاج، دفاعاً عن أركان الحكم الأموي المتزلزلة، و لكن توالي تلك الثورات، يحكي عن شدة نفرة المسلمين من هذا الحكم، و يسيرُ بالحكم نحو الزوال و الانقراض تدريجياً و يضعف مخططات بني أمية.

و من الواضح، أن مثل هذه الحكومة التي لا تستند في قوامها و قوتها إلا إلى بعض الأراذل من المرتزقة و المأجورين، بينما يعتبرها سائر الشعب حكومة غاصبة جائرة، لا يمكنها أن تدوم طويلاً في الحكم بالحديد و النار، فنفس إخماد تلك الثورات بالقمع، كان يبعث الروح القتالية الاستشهادية من جديد في نفوس الناس. و أوّل ثورةٍ حدثت (بعد عدة حركات صغيرة مثل حركة الكوفة و حركة عبد الله بن عفيف) بعد نهضة الحسين عليه السلام هي ثورة المدينة، التي أشرنا إليها سابقاً، و التي قضى عليها مسرف بن عقبة بأمر يزيد، بتلك الوحشية و القساوة و هتك حرمة المدينة الطيبة.

يقول الطبري: بعد مقتل الحسين عليه السلام قام نجدة بن عامر الحنفي في اليمامة، و ابن الزبير في مكة^(١).

و من أكبر الثورات المهمة التي اندلعت بعد ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة التوابين بقيادة الصحابي «سليمان بن صُرد الخزاعي» و التي اشترك فيها عدد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و من أعيان الشيعة، و كان شعارهم «يا لثارات الحسين» و لقد ابلؤ بلاءً حسناً و كانوا من الصادقين في شعورهم بالندم و الأسى على إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام بين ظهرائهم.

و لقد كانت خطب و أشعار و كلمات هؤلاء الجماعة تدلّ بوضوح على

إستقامتهم و ثباتهم و روحهم الاستشهادية، و مضافاً الى إنَّ هذه الثورة كانت من عجائب التاريخ و نموذجاً لهيجان الروح الطاهرة و الزكية و ليقظة الضمير، فهي تعكس بجدِّ تأثيرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام و مظلوميته و استشهاد، و ندم الناس على عدم الالتحاق بركبه.

عندما، نودي بشعار « يا لثارات الحسين » كان عبد الله بن حازم جالساً مع زوجته و ابنته و كانت زوجته جميلة و عندما سمع النداء قام و حمل سلاحه و امتطر جواده و قالت له زوجته أجننت يا بن حازم قال: لا، لكن منادي الله ينادي و لا يجوز القعود و لابد من الانتقام لدم المظلوم بكرلاء أو أن أقتل في هذا الطريق فقال له زوجته، و ماذا عن ابنتك قال: اوكلها الى الله، ثم التفت الى السماء و قال الهي أودعتك أهلي و أولادي فاحفظني لهم و اغفر لي تقصيري في نصرة ابن بنت نبيك. ^(١)

و أول ما قام به التوابون بعد خروجهم هو التوجه الى قبر الحسين عليه السلام لزيارته و تجديد البيعة له، و باتوا ليلتهم عند مرقد الطاهر، محيين الليل بالبكاء و العويل، و الاعتذار و الوعد بالسير على نهجه، و التوبة من خذلانهم له، و كانوا يقولون:

« اللهم ارحم حسيناً الشهيد بن الشهيد المهدي بن المهدي الصديق بن الصديق اللهم انا نشهد انا على دينهم و سبيلهم، و أعداء قاتليهم، و أولياء محبيهم، اللهم انا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا، و تب علينا فارحم حسيناً و أصحابه الشهداء و انا نشهد انا على دينهم و على ما قتلوا عليه و ان لم تغفر لنا، و

ترحمنا نكوننّ من الخاسرين. (١)

والحق، إنّ التوايين قد أثبتوا وفاءهم وبطولتهم وبأسهم ومحبتهم ولايتهم لاهل البيت عليهم السلام بقتالهم بني اميّة في «عين الورد» وبذلك سجّلوا إسمهم في صفحة الفخر والعزّ من تاريخ الامة الاسلامية. ولقد كانت قصتهم عبرة حقيقية ودرساً تربوياً لكل الناس.

نسأل الله ان يقبل توبتهم، ويحشرهم في زمرة انصار الحسين عليه السلام. وبعد هذه الثورة، اندلعت ثورة المختار الثقفي. وبقيت الثورات تتوالى حتى انقرض حكم بني اميّة.

ولم تمرّ الايام طويلة حتى عوقب كل من اشترك في جريمة كربلاء على يد الشوار، أو ابتلاه الله بما اخزاه دنياً و آخره.

يقول الزهري: لم يبق احدٌ ممن إشتراك في قتل احسين عليه السلام إلا نال عقابه في الدنيا قبل الاخرة. (٢)

٨- التحور الفكري

من جملة الامراض الفكرية الخطيرة التي ابتلي بها المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله و التحاقه بربه، هو ضعف الارادة، واللامبالاة وعدم الانفعال بما يجري حولهم، حتى لو كان ما يجري مخالفاً لخير ومصصلحة الامة ولتعاليم الإسلام واحكامه، وكانوا يعتبرون كل من يستلم الحكم هو الخليفة المفروض عليهم طاعته!

(١) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣٤١.

(٢) حفيد الرسول ص ٥٣. اسعاف الراغبين ص ١٩٢.

وهذا الاستسلام، فسح المجال لكثيرين في استغلال المسلمين والقفز الى السلطة و المراكز الادارية في الدولة، و تمرير مخططاتهم، والاستبداد بقراراتهم، ولم يكن إلاّ السيف و القوة اساساً لاستلام الحكم.

وهذا الاسلوب في الاستيلاء على الحكم، كان هو المحكم في زمن الجاهلية، و في بعض البلدان المتخلفة، و حتى في بعض الدول التي تدّعي التطور و المدنية، بنسبٍ متفاوتة.

و أما في المجتمع الاسلامي الذي أُسس على اساس أرقى التعاليم و المقررات السماوية، فقد كان مثل ذلك المنهج غريباً و عجيباً، ذلك أن هذه الحكومات المستبدة، ليس فقط لا يمكنها هداية المجتمع الى الاهداف التي رسمها الإسلام، وإنما يتسبب ذلك في إساءة فهم الإسلام و إتهامه من قبل الاجانب بالخواء و فقدان الانظمة الاجتماعية و السياسية.

فالممارسات المستبدة للحكومات الواصلة الى السلطة عن طريق القوة و الارهاب، و حتى لو أبدت بعض الليونة، لا يستطيع المسلم الحقيقي و الانسان الواعي و المتمدن الواقعي، أن يتحملها و يسكت عليها، و إن استحقار الامم و الشعوب بهذه الطريقة أمرٌ يستحيل قبوله ممن له ادنى إدراكٍ بشري.

و أكثر أتباع مدرسة اللاأبالية و الخنوع، هم من ضعاف النفوس و الماجورين و المغرضين أمثال عبد الله بن عمر^(١) الذين يعتذرون على سكوتهم بان

(١) نقل ان الحجاج بن يوسف، عندما جاء الى مكة المكرمة و قضى على عبد الله بن الزبير، جاءه عبد الله بن عمر و قال له: مدّ يدك لآبائكم! فاني سمعت رسول الله يقول: من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية. فمدّ له الحجاج رجله و قال له: ان يدى مشغولة. فقال له

مخالفتهم للحكم يوجب التفرق وشق عصا المسلمين واختلال النظام، وقد يلتبس هؤلاء أحياناً إعتذارهم من خلال بعض الروايات الداعية الى وجوب إطاعة ولاية الأمر، لذا فهم يسكتون عن كل الجرائم والانحرافات الاخلاقية والسياسية والاجتماعية ويعتبرون أن السكوت اولى من المواجهة!!

إن مؤيدي الحكم الغاصبين وأبواقهم الاعلامية ومن أجل اسكات مخالفهم وإستغلال المجتمع وإحكام قبضهم، يقولون باتهام الناصحين والاصلاحيين باثارة الفلاقل والفتن وبالاخلال بالنظام وشق عصا المسلمين.

ومن الواضح، إن طلاب الدعة والراحة من ضعاف القلوب ومن يضحى بالمصلحة العامة من أجل مصلحة الشخصية ولا يأبه للدين وشرف الامة وعزتها، كانوا يستسلمون لهذه الاحايل الموافقة لمزاجهم، تهرباً من المسؤولية.

ونتيجة ذلك، فسح المجال للظلمة يفعلون ما يشاؤون، بلا رادع ولا رقيب، وينتهي الأمر الى وجوب تقديم الطاعة ليزيد والحجاج والوليد كما تجب طاعة الإمام العادل الصالح، ويكون الخروج على الظالم، إشعالاً للفتنة وشقاً لعصا المسلمين!!

إن نسبة هذا الحكم الى الإسلام زوراً وبهتاناً وإفتراءً، أتاح للظلمة إرتكاب جرائمهم وتصفية القوى المعارضة لهم.

صحيح أن الآيات والروايات توجب إطاعة اولى الأمر وتحرم مخالفتهم والخروج عليهم، ولكن الادلة تقصد اولى الأمر الذين يطبقون الشريعة بحذافيرها و

→ ابن عمر: اتهازي بي؟ قال الحجاج: يا أحمق بني عدي، أين كنت يوم بيعة علي بن ابي طالب؟ الم يكن علي امام زمانك؟ والله انك لا تباع امتثالاً لقول رسول الله واما تباع خوف هذا المجذع الذي صلب عليه ابن الزبير: الكنى واللقاب ج ١ ص ٣٥٧.

يدعون الناس الى الصلاح ويسعون الى تحقيق الاهداف الاسلامية ويظهرون عزة الإسلام. فكيف تكون إطاعة حكومة كحكومة يزيد الفاسق و أمثاله من الظلمة واجبة على عامة المسلمين؟!

لو أنَّ مظلوماً جلد جلدَةً واحدة ظلماً، كان كلُّ المسلمين الذين يعينون تلك الحكومة مسئولين، «الظالمُ والمُعِينُ لَهُ والراضي بِهِ شركاءُ ثلاثٌ»^(١) وفي منطق الإسلام ومدرسة الانبياء عليهم السلام، لا يعدُّ الخروج طلباً للحق، والامرُ بالمعروف والنهي عن المنكر ونصيحة الحكام والدعوة الى الخير والصلاح، إخلالاً بالنظام ولا تفريقاً للمسلمين، بل إنَّ ذلك عينُ النظام ووحدة المسلمين.

إنَّ زوال النُظم القائمة على أساس الظلم والباطل والتعدي على حقوق الناس والاستبداد وخنق الحريات وتكبير المجتمع، أفضل من بقاءها، والنظام القائم على التمييز الطبقي والاستعلاء وإذلال المجتمع ونهب ثروات وخيرات الشعب، هو عينُ اللانظام وإنَّ النظم الذي يسمح ليزيد وابن زياد وشمرو الحجاج بان يكونوا هم مصدر التشريع والتقنين، ويزجّ بالمفكرين والعلماء والصلحاء في غياهب السجون، ليس نظاماً بل هو فتنةٌ وإضطراب، وإنَّ الخروج على مثل هذا النظم وحلّه، هو خروج لاحتلال النظم الواقعي الصالح، قال تعالى:

« وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ »^(١)

فطبقاً لهذه الآية الشريفة، تكون كلُّ النظم، شرّاً وفتنةً إلا النظام المرتبط بالسماء، وتكون الحكومات كلها، انفلتاتاً وهرجاً ومرجشاً وبلاءً على الناس، إلا

الحكومة الاسلامية الصالحة .

فانه اذا كان ما قام به بنو امية في المدينة الطيبة من سفك الدماء و هتك الاعراض و إهانة المقدسات نظماً، فسيكون ما قام به فرعون و غرود و جنكيز خان و سائر الظلمة و المستبدين ، نظماً أيضاً!

و على هذا الحساب الخاطي جداً، سيكون نبي الله ابراهيم و موسى بل و كل الانبياء و رؤاد الاصلاح ، مشاغبين! نعود بالله .

إنّ الاعتقاد بوجوب إطاعة كلّ حاكم و لي زمام أمور المسلمين و لو بالقوة و الارهاب ، هو أسخف رأي و معتقد يثير العجب و الدهشة من أولئك الذين يؤيدون هذا المسلك الباطل .

لقد حارب الحسين عليه السلام هذا الفكر الخاطي الخطير ، و نبّه الناس الى حرمة إطاعة الحكومات الجائرة كحكم يزيد و بني امية قاطبة ، و افهمهم أنّ القيام الخروج على مثل هذه الحكومات ، واجب شرعي و إنّ لزم تقديم التضحيات و الفداء .

و بعد ثورة الحسين عليه السلام ، إتضح للناس ، أنّ الحكومة التي يجب على عامة المسلمين اطاعة مقرراتها و نظمها هي الحكومة التي تجسّد العدالة الإسلامية شكلاً و مضموناً ، و تطبق القوانين و الاحكام الشرعية تطبيقاً صادقاً دقيقاً .

٩- الاثر الخالد

إنّ اثر ثورة الحسين عليه السلام بقي خالداً في صفحات التاريخ و كان و لازال الدافع و المحفّز لأبطال الاصلاح و مجاهدي طريق الحق و الحقيقة و حماة العدالة و الفضيلة .
إنّ جهاد الحسين عليه السلام لم يكن لشخص يزيد اللئيم بشائله النحسة و شكله

القبيح، واما كان جهادُ الحسين عليه السلام للمنهج الذي تجسد في يزيد عصر الحسين عليه السلام بفساده واستبداده و رذالته و اراقتة للدماء البريئة و فسقه و مجونه و عدائه للإسلام و الايمان و طغيانه و تمرده على الله و الرسول و خطره على الدين و القرآن. و الحسين عليه السلام جاهد ذلك المنهج اينما كان و في يزيد ايَّ عصر و زمان تجسّد.

و على الشيعة و الاحرار في كل العالم ان يتعلموا هذا الدرس من الحسين عليه السلام و يعلموا أن ثورة الحسين عليه السلام لازالت قائمة مستمرة على اليزيديين في كل عصر و مكان، فدام هناك شركٌ و كفرٌ و جهلٌ و باطلٌ و ظلمٌ و إستبدادٌ و إستعبادٌ للناس و غصبٌ للحقوق الإنسانية، فهناك حسين عليه السلام يترصد تلك الانحرافات و يقف بوجهها بنفس العزم و نفس الصمود و نفس الاباء و نفس البأس.

و على كل شخص أن يميّز طريقه و يختار جبهته، جبهة الحسين ام جبهة يزيد؟ و هل هو في صف الظلمة و اعداء الإسلام، أم أنه في صف الحسين عليه السلام و أصحاب الفضيلة و انصار الحق و العدالة؟

و كم من الناس، ظاهرهم أنهم من موالى الحسين عليه السلام و انصاره، و لكن باطنهم يدل على إنهم من حزب يزيد و بني امية.

و اقولها أسفاً، كم من قلمٍ و لسانٍ و فعالٍ و خصال، تركت الحسين عليه السلام و الإسلام غريباً و وحيداً و التحقت بمعسكر قتلة الحسين عليه السلام و مخالفي منهجه و اهدافه. و لو يكن في الدنيا، رجالٌ أبطال حق و فداء كالحسين عليه السلام و اصحابه الذين فدوا آخرتهم بدنياهم و روحهم بأموالهم و الحق بالباطل و الحقيقة بالمجاز، لضعفت القيم الإنسانية و بهت ضياؤها و خبت جذوتها، و لساد حبُّ الدنيا على حبِّ الآخرة و الغزائر الحيوانية على الكمالات الإنسانية و لتحقق مصداق قوله تعالى:

« يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »^(١)

وأما شهادة الحسين عليه السلام وتضحيات أصحابه وأسراهم وعياله فقد عكس جمال الحقيقة الإنسانية، وساق الانظار الى عالم السمو والمعنى وافهم الجميع ان الإنسانية معنى سام لا يتحدد بهذا القلب الجسدي الظاهري، فليست الإنسانية لحماً ودماً وعظماً، فلو سار الانسان في وادي الآدمية وصل الى مملكة الإنسانية فسوف يتجلى فيه الشرف والرفعة والكرامة الى درجة لا تتمكن معها أيّة قوة مادية من السيطرة والتسلط عليه، ولا يمكن استبدالها بكل المحفوظ الحيوانية والمقامات الدنيوية.

وهذا الاثر، خالداً ومستمر، وكلما كثرت مجالس عاشوراء ومراسم ذكر الحسين عليه السلام ومصابئه، وكلما ازداد التأمل والغور في أسرار النهضة الحسينية، كلما ازداد تأثيرها في القلوب وكبر شوق الناس الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترسخت المفاهيم الاصلاحية وحماية المظلومين ونصرة الضعفاء والمحرومين والايثار بالمال والمتاع الدنيوي من أجل المصالح العليا.

ولو ان القوى المستعمرة واعداً الإسلام، قللوا من عدائهم للمنهج الحسيني وخلّوا بين المسلمين وبين هذه الحقائق السامية، وقام الوعّاظ والعلماء والخطباء ببيان أسرار النهضة وأهدافها، لاقتلعت جذور الظلم والفساد واستبدلت بشجرة الايمان والتوحيد والعدالة والفداء والاقتداء بالحسين عليه السلام وأهدافه.

ان الشعراء الذين انشدوا في الحسين عليه السلام كالكميت ودعبل وابن الرومي وحتى ابي العلاء المعري، وفي الازمنة الصعبة التي حكم فيها أعداء الحسين عليه السلام،

الذين بذلوا الأموال والهدايا والهبات لتملّقي السلطان، أنشدوا تلك القصائد البليغة الساحرة، لان ذوقهم الرقيق وشعورهم المرهف قد لمس جمال الإنسانية الكريمة في تاريخ حياة الحسين عليه السلام وأولاده. مثلهم كمثل الشاعر المسحور بجمال الطبيعة الخلابة والطيور والرياحين والصحارى والسماء والنجوم، ولكن شعراء الطف، سُحروا بجمال فضيلة وحقيقة الحسين عليه السلام وأصحابه البررة، فأنشدوا بالبداهة تلك القصائد الرائعة.

نعم، لقد كان الحسين عليه السلام من أعظم آيات الله، وإنَّ تجلي الايمان والعبودية للحق تعالى والحقيقة والشجاعة والشهامة والفداء في شخصيته، كان أوضح من تجلي الشمس والقمر.

فمن وصف من الشعراء الحسين عليه السلام كان شعره هو الاوفر حظاً في الروعة والجمال واللطافة وهذه التأثيرات لشهادة الحسين عليه السلام في النفوس، وانفعال الارواح وتفاعلها معها، سيبقى خالداً على مرّ التاريخ. ولذا وجدنا كيف فشل الجبارون كالمتموكل العباسي، حينما أرادوا الحدّ من تأثيرات ثورة الحسين عليه السلام في نفوس الناس فازداد إقبال الناس على تعظيم الشعائر الحسينية وازداد إخلاصهم للحسين عليه السلام. فتحقّق بذلك مصداق هذا البيت :

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً الى الحشر لا يزداد إلاّ معالياً
فسلام الله وصلواته عليك، وعلى أولادك، واهل بيتك واصحابك، و
أنصارك يا سيّد الشهداء، ويا أبا الأحرار ويا سفينة النجاة، ويا منقذ الإسلام،
تقبّل منّي هذا القليل، ولا تؤاخذني بما فرّطت في خدمتك، فما في هذا الكتاب من
الحسنات والكلمات اللاتقة بجنابكم فنكم وما فيه مما هو دون مقامكم الرفيع فهو
منّي ومن جهلي، وقصور معرفتي فانظر إليه يا مولاي بعين العناية والقبول فانكم

أهل البيت لا يخيب مَنْ رجاكم ، ولا يحرم من أتاكم .
و أسأل الله تعالى بحق النبي و اهل بيته أن يصلي عليه و عليهم و يغفر لي و
لوالدي و لأساتذتي و لجميع المؤمنين و المؤمنات ، و ان يحشرني في زمرة سيدي و
مولاي الحسين - عليه السلام - إنه قريب مجيب .

مصادر الكتاب من كتب العامة

- ١- ابو الشهداء.....عباس عقاد
- ٢- الأخبار الطوال.....ابو حنيفة دينوري
- ٣- احياء الميت بفنائل اهل البيت.....سيوطي
- ٤- اسباب النزول.....واحدي
- ٥- الإستيعاب في اسماء الاصحاب.....ابن عبد البر قرطبي
- ٦- اسد الغابة.....ابن اثير الجوزي
- ٧- اسعاف الراغبين.....محمد الصبّان
- ٨- الإكليل.....سيوطي
- ٩- الإتحاف بحب الاشراف.....شبراوي
- ١٠- الإسلام والاستبداد السياسي.....محمد غزالي
- ١١- الإصابة.....ابن حجر عسقلاني
- ١٢- الإمامة والسياسة.....ابن قتيبة
- ١٣- البدء و التاريخ.....مطهر مقدسى يا أبو زيد بلخي
- ١٤- بطله كربلاء.....الدكتور ه بنت الشاطي
- ١٥- بنات النبي ﷺ.....الدكتور ه بنت شاطي
- ١٦- تاج العروس.....مرتضى الزبيدي

- ١٧- التاريخ الكبير ابن عساكر
- ١٨- تاريخ الامم والملوك الطبري
- ١٩- تاريخ يعقوبي يعقوبي
- ٢٠- تاريخ الخلفاء السيوطي
- ٢١- تاريخ ابن اعثم احمد ابن اعثم
- ٢٢- تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي
- ٢٣- تفسير الطبري الطبري
- ٢٤- الجامع الصغير السيوطي
- ٢٥- الحاوي السيوطي
- ٢٦- الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ محمد رضا رشيد
- ٢٧- حلية القرآن ابو نعيم الاصفهاني
- ٢٨- حفيد الرسول ﷺ الشرباصي
- ٢٩- حياة الحيوان الدميري
- ٣٠- خصائص النسائي
- ٣١- الخصائص الكبرى السيوطي
- ٣٢- دائرة المعارف فريد وجدي
- ٣٣- الدر المنثور السيوطي
- ٣٤- ذخائر العقبى محب الدين الطبري
- ٣٥- السيرة الحلبية علي الحلبي الشافعي
- ٣٦- سمو المعنى في سمو الذات أو اشعة من حياة الحسين عليه السلام العللائي
- ٣٧- سنن الترمذي

- ٣٨- سنن ابن ماجه
- ٣٩- سيره ابن هشام
- ٤٠- السيدة زينب عليها السلام لجنة نشر العلوم و المعارف الاسلاميه
- ٤١- السيرة النبوية السيد احمد زيني
- ٤٢- شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد
- ٤٣- شرح نهج البلاغة محمد عبده
- ٤٤- صحيح البخاري
- ٤٥- صحيح الترمذي
- ٤٦- صحيح مسلم أبو الحسن مسلم
- ٤٧- الصواعق المحرقة ابن حجر
- ٤٨- العدالة الاجتماعية في الإسلام سيد قطب
- ٤٩- عقد الفريد ابن عبد ربه
- ٥٠- غرائب القرآن حسن بن محمد قمي النيشابوري
- ٥١- فرائد السمطين الحموي
- ٥٢- الكامل في التاريخ ابن الأثير
- ٥٣- كفاية الطالب الكنجي الشافعي
- ٥٤- كنز العمال علي المتقي الهندي
- ٥٥- كنوز الحقائق المناوي
- ٥٦- المحاسن و المساوئ ابراهيم بن محمد البيهقي
- ٥٧- المختصر في أخبار البشر ابو الفداء
- ٥٨- مسند احمد احمد بن حنبل

- ٥٩- مصابيح السنة البغوي
- ٦٠- مطالب السؤل محمد بن طلحة الشافعي
- ٦١- معاوية بن أبي سفيان في الميزان عباس العقّاد
- ٦٢- مقاتل الطالبين أبو الفرج الاصفهاني
- ٦٣- مقتل الحسين عليه السلام الخوارزمي
- ٦٤- مودة القربى سيد علي الهمداني
- ٦٥- النصائح الكافية لمن تولى معاوية سيد محمد بن عقيل
- ٦٦- النزاع والتخاصم المقرئ
- ٦٧- نظم درر السمطين الزرندي
- ٦٨- نور الابصار الشبلنجي
- ٦٩- نهاية الارب في انساب العرب القلقشندي
- ٧٠- ينابيع المودة القندوزي
- وكتب اخرى

الفهرس

المقدّمة	٩
يومُ الحسين عليه السلام	٩
دواعي اهتمام الكتاب والخطباء	١٣
جهات ما كتب في الحسين عليه السلام	١٥

البحث الأول

شخصيّة الحسين عليه السلام وفضائله

شخصية سيد الشهداء عليه السلام	٢١
سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله	٢٢
١- آية المودة:	٢٢
٢- آية التطهير:	٢٣
٣- آية المباهلة:	٢٦
سماتُ الحسين عليه السلام في احاديث النبي الاكرم صلى الله عليه وآله	٢٨
١- الحسين عليه السلام سيد شباب اهل الجنة	٢٨
٢- الحسين حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله	٢٩
٣- الحسين ریحانة النبي صلى الله عليه وآله	٣٣

- ٤- الحسين عليه السلام أشبه أهل البيت بالنبي صلى الله عليه وآله ٣٥
- ٥- النبي صلى الله عليه وآله يُقبَل الحسين عليه السلام ٣٥
- ٦- النبي الاكرم صلى الله عليه وآله يحمل الحسين عليه السلام على كتفه ٤١
- ٧- حبُّ الحسين عليه السلام فرض ٤٢
- ٨- فضلُ حبِّ الحسين عليه السلام وعقابُ من أبغضه ٤٣
- ٩- النَّظَرُ الى سيد شباب اهل الجنة ٤٤
- ١٠- محبُّو الحسين عليه السلام في الجنة ٤٥
- ١١- دَرَجَةُ الوَسِيلَةِ ٤٥
- ١٢- الحسين عليه السلام مع النبي في دَرَجَتِهِ ٤٦
- ١٣- وُجُوبُ نُصْرَةِ الحسين عليه السلام ٤٦
- ١٤- أَوَّلُ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ٤٨
- ١٥- القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف من وَلَدِ الْحَسَنِ عليه السلام ٤٩
- ١٦- القائم عليه السلام هو التاسع مِنْ وَلَدِ الحسين عليه السلام ٤٩
- ١٧- ثمرةُ شجرة النبوة ٥٠
- ١٨- ودبعة الرسول صلى الله عليه وآله ٥١
- ١٩- دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الحسين عليه السلام ٥٢
- ٢٠- اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالى ٥٢
- ٢١- إرث الحسينين عليهما السلام من النبي صلى الله عليه وآله ٥٤
- الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام ٥٧
- معاجز الإمام الحسين عليه السلام ٧٣
- الفضلُ ما شهدَتْ به الاعداءُ ٩٠
- انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام ١٠٢

- ١١٤ مكانة الحسين عليه السلام عند الصحابة و التابعين
- ١٢٠ اخلاقية الإمام الحسين عليه السلام
- ١٢٥ مكارم اخلاق سيد الشهداء عليه السلام
- ١٣٠ ١- علمُ الإمام الحسين عليه السلام
- ١٣٨ ٢- عبادة سيد الشهداء عليه السلام
- ١٤٠ ٣- سخاء الحسين عليه السلام
- ١٤٢ ٤- أدبُ الحسين عليه السلام و رأفته:
- ١٤٤ ٥- طلبُ الحق:
- ١٤٧ ٦- زهد الإمام الحسين عليه السلام:
- ١٤٩ ٧- تواضع الحسين عليه السلام:
- ١٥٢ ٨- خلوص الايمان و الثبات
- ١٥٦ ٩- شجاعة الحسين عليه السلام
- ١٦٣ ١٠- تجليات عظمة الحسين عليه السلام
- ١٦٣ عظمة شامضاء
- ١٦٥ عظمة الإباء
- ١٦٦ عظمة البطولة:
- ١٦٨ ١١- صبر الحسين عليه السلام
- ١٧٠ الصبر على 'الجهاد':
- ١٧٢ الصبر على 'فقدان الأحبة'
- ١٧٣ ضبط النفس
- ١٧٥ الصبر على 'العطش'
- ١٧٦ الصبر على 'الطاعة'

البحث الثاني بني هاشم و بني أمية

- ١٧٩..... بني أمية و بني هاشم
- ١٨٦..... بني أمية
- ١٨٦..... بني أمية في ميزان الخلق
- ١٨٦..... نسب بني أمية
- ١٨٨..... بني أمية في القرآن والحديث
- ١٨٩..... بني الحكم
- ١٩٣..... آل أبي سفيان
- ١٩٦..... هند آكلة الأكباد
- ١٩٧..... معاوية أبو يزيد
- ١٩٩..... نسب معاوية
- ٢٠٠..... معاوية في ميزان السنة والحديث
- ٢٠٢..... معاوية والخمرة
- ٢٠٣..... نفاق معاوية
- ٢٠٦..... وصمة عار على جبين التاريخ
- ٢٠٨..... المستشارون المسيحيون
- ٢٠٩..... تجاهر معاوية بالفسق
- ٢١١..... اهداف معاوية
- ٢١٥..... من هو يزيد؟
- ٢١٥..... نشأة يزيد

٢١٦.....	ميسون :
٢١٧.....	يزيد في أحضان بني كلب
٢١٩.....	أخلاق يزيد
٢٢٢.....	جنايات يزيد
٢٢٧.....	كفر يزيد
٢٢٩.....	الحالة الاجتماعية في عصر يزيد

البحث الثالث

دواعي ثورة الحسين عليه السلام

٢٣٧.....	دواعي الثورة
٢٣٧.....	١- امتثال التكليف الالهي
٢٤٥.....	ألف: النبوء بالقتل
٢٤٩.....	باء: الاخبار باستشهاده
٢٥٢.....	جيم: الهجرة من مكة
٢٥٥.....	دال: حل البيعة
٢٥٨.....	٢- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر
٢٦٧.....	فان قيل :
٢٦٧.....	قلنا :
٢٧٣.....	٣- دواعي الثورة من لسان قائدها
٢٨١.....	٤- فساد أجهزة الحكم
٢٩٧.....	٥- خطر التفهق
٣٠٢.....	٦- الدفاع عن النفس

٣١٠	بين الحكومة والسياسة
٣١٩	دفع توهم
٣٢٨	بين الفداء والانتحار
٣٣٥	لماذا سكّ الإمام الحسن
٣٣٥	دواعي سكوت الإمام الحسن عليه السلام

البحث الرابع

نتائج الثورة الحسينية

٣٤٧	نتائج الثورة الحسينية
٣٥١	١- التقرب والارتقاء
٣٥٢	٢- نجاة الإسلام
٣٦٠	٣- إيقاظ الشعور الديني
٣٦١	٤- ازدياد محبة أهل البيت عليهم السلام وبقية السيف
٣٦٥	٥- مدرسة عاشوراء
٣٧٣	٦- إدانة بني أمية
٣٧٥	٧- توالي الثورات على بني أمية
٣٧٨	٨- التحور الفكري
٣٨٢	٩- الأثر الخالد
٣٨٧	مصادر الكتاب من كتب العامة
٣٩١	الفهرس

مؤلفات المرجع الديني الكبير

سماحة آية الله العظمى الصافي الكلبايگاني

١٩	هزار سؤال پیرامون حج	فارسی	—
٢٠	پاسخ کوتاه به ٣٠٠ پرسش در ٢ جلد	فارسی	آذري
٢١	احکام خمس	فارسی	—
٢٢	اعتبار قصد قربت در وقف	فارسی	—
٢٣	رساله در احکام ثانویه	فارسی	—
٢٤	فقه الصبح در ٤ جلد	عربی	—
٢٥	القول الفاخر فی صلاة المسافرين	عربی	—
٢٦	صلاة جماعة	عربی	—
٢٧	احکام الخلل فی الصلاة	عربی	—
٢٨	هدایة العباد در ٢ جلد	عربی	—
٢٩	هدایة السائل	عربی	—
٣٠	حواشی علی العروة الوثقی	عربی	—
٣١	القول الفاخر فی صلاة المسافرين	عربی	—
٣٢	فقه الخمس	عربی	—
٣٣	أوقات الصلوة	عربی	—
٣٤	التعزیر (احکامه و ملحقاته)	عربی	—
٣٥	ضرورة وجود الحكومة	عربی	فارسی
٣٦	رسالة فی معاملات المستحدثة	عربی	—
٣٧	التداهی فی مال من دون بینة ولا ید	عربی	—
٣٨	رسالة فی المال الممتین المشتبہ ملکیتہ	عربی	—
٣٩	حكم نکول المدعی علیه عن البینین	عربی	—
٤٠	ارث الزوجة	عربی	—

ردیف	نام کتاب	زبان	ترجمه
قرآن و تفسیر			
١	تفسیر آیه فطرت	فارسی	—
٢	القرآن مصون من التحریف	عربی	—
٣	تفسیر آیه التطهیر	عربی	—
٤	تفسیر آیه الانذار	عربی	—
حدیث			
٥	مستخب الاثر در ٣ جلد	—	اردو/انگلیسی
٦	غیبة المتظر	عربی	—
٧	قیس من مناقب امیرالمؤمنین (ع) (مئة و عشر حدیث من کتب عامة)	عربی	فارسی
٨	پرتوی از فضائل امیرالمؤمنین (ع) در حدیث	—	فارسی
٩	احادیث الائمة الاثنی عشر، اسنادها و الفاظها	عربی	—
١٠	احادیث الفضائل	عربی	—
فقه			
١١	توضیح المسائل	فارسی	—
١٢	مستخب الاحکام	فارسی	—
١٣	احکام نوجوانان	فارسی	انگلیسی
١٤	جامع الاحکام در ٢ جلد	فارسی	—
١٥	استفتائات قضایی	فارسی	—
١٦	استفتائات پزشکی	فارسی	—
١٧	مناسک حج	فارسی	عربی
١٨	مناسک عمره مفردة	فارسی	عربی

۷۳	انتظار، عامل مقاومت و حرکت/۱۱	فارسی	—
۷۴	به سوی دولت کریمه/۱۲	فارسی	—
۷۵	پاسخ به ده پرسش/۱۳	فارسی	—
۷۶	گفتنمان مهدویت/۱۴	فارسی	انگلیسی
۷۷	فروع ولایت در حای ندبه/۱۵	فارسی	عربی
۷۸	تلخیص منتخب الاثر	فارسی	فارسی
۷۹	پیام های مهدوی/۱۶	فارسی	—
۸۰	توضیحات پیرامون کتاب عقیده مهدویت در تشیع امامیه	فارسی	انگلیسی
۸۱	گفتنمان عاشورا/۱۷	فارسی	—
۸۲	مقالات کلامی	فارسی	—
۸۳	المرحوم کتاب الله	عربی	—
۸۴	ایران نسیم فتیحه	عربی	—
۸۵	رساله حول عصمة الانبياء والائمة	عربی	—
۸۶	تملیقات علی رساله الجبر و القدر	عربی	—
۸۷	لمحات فی الکتاب والحديث والمذهب ج ۱ و ۲	عربی	—
۸۸	صوت الحق و دعوة الصديق	عربی	—
۸۹	رد اکذوبه خطبة الامام علی (ع)، علی الزهراء (س)	عربی	—
۹۰	مع الخطب فی خطوطه العربیة	عربی	اردو/فرانسه
۹۱	رساله فی البداه	عربی	—
۹۲	جلاء البصر لمن يتولى الائمة الاثنی عشر	عربی	—
۹۳	حديث التراق المسلمين علی ثلاث و سبعین فرقة	عربی	—
۹۴	من لهذا العالم؟	عربی	—
۹۵	بین المعلمین، الشیخ الصدوق الشیخ المفید	عربی	فارسی
۹۶	داوری میان شیخ صدوق و شیخ مفید	—	فارسی
۹۷	مقتضات مفصلة علی «مقتضب الاثر» و «مکیال المکارم» و «مفتی الجمان»	عربی	—
۹۸	امان الاثمة من الضلال والاختلاف	عربی	—
۹۹	البکاء علی الامام الحسین (ع)	عربی	—

۴۱	مع الشیخ جاد الحق فی اوث المصعب	عربی	—
۴۲	حول دیات ظریف ابن ناصح	عربی	—
۴۳	بحث حول الاستقام بالازلام (مشروعية الاستخارة)	عربی	—
۴۴	الرسائل الخمس	عربی	—
۴۵	الشمارة الحسینیة	عربی	—
۴۶	أنجه هر مسلمان باید بداند	—	آذری
اصول فقه			
۴۷	بیان الاصول در ۳ جلد	عربی	—
۴۸	رسالة فی الشهرة	عربی	—
۴۹	رسالة فی حکم الاقل و اکثر	عربی	—
۵۰	رسالة فی الشروط فی الشهة الحکمیه	عربی	—
مقاید و کلام			
۵۱	عرض دین	فارسی	—
۵۲	به سوی آفریدگار	فارسی	—
۵۳	الهیات در نهج البلاغه	فارسی	—
۵۴	معارف دین در ۳ جلد	فارسی	—
۵۵	پیرامون رود تاریخی غدیر	فارسی	—
۵۶	ندای اسلام از اروپا	فارسی	—
۵۷	نگرشی بر فلسفه و عرفان	فارسی	—
۵۸	نمایش دو عرفات	فارسی	—
۵۹	سفرنامه حج	فارسی	—
۶۰	شهد آگاه	فارسی	—
۶۱	امامت و مهدویت ج ۱، ۲، ۳، ۴	فارسی	—
۶۲	الامامة والمهدویة ج ۱ و ۲ و ۳	عربی	—
۶۳	نظام امامت و رهبری/۱	فارسی	—
۶۴	تجلی توحید در نظام امامت/۲	فارسی	عربی
۶۵	ولایت تکوینی و ولایت تشریعی/۳	فارسی	—
۶۶	پیرامون معرفت امام/۴	فارسی	—
۶۷	معرفت حجت خدا/۵	فارسی	—
۶۸	وابستگی جهان به امام زمان/۶	فارسی	—
۶۹	باورداشت مهدویت/۷	فارسی	عربی
۷۰	اصالت مهدویت/۸	فارسی	—
۷۱	نوید امن و امان/۹	فارسی	آذری
۷۲	عقیده نجات بخش/۱۰	فارسی	—

۱۰۰	النقد اللطيفة على الكتاب المسمى بالاخبار الدخيلة	عربی	—
تربیتی			
۱۰۱	ماه مبارك رمضان، عالي ترین مكتب تربیت و اخلاق	فارسی	—
۱۰۲	راه اصلاح (امر به معروف و نهی از منکر)	فارسی	—
۱۰۳	با جوانان	فارسی	—
تاریخ			
۱۰۴	سیر حوزة های علمی شیعه	فارسی	—
۱۰۵	رمضان در تاریخ (حوادث تاریخی)	فارسی	—
سیره			
۱۰۶	پرتوی از عظمت امام حسین (ع)	فارسی	—
۱۰۷	اشعة من حياة الامام الحسين (ع)	عربی	—
۱۰۸	آبتهی جمال	فارسی	—
۱۰۹	از نگاه آفتاب	فارسی	—
۱۱۰	اشک و حیرت	فارسی	—
تراجم			
۱۱۱	زندگانی آیت الله آخوند ملا محمد جواد صافی	فارسی	—
۱۱۲	زندگانی جابر بن حیان	فارسی	—
۱۱۳	زندگانی بوداسف	فارسی	—
شعر			
۱۱۴	دیوان اشعار	فارسی	—
۱۱۵	بزم حضور	فارسی	—
۱۱۶	آفتاب مشرقین	فارسی	—
۱۱۷	صحيفة المؤمن	فارسی	—
۱۱۸	سبط المصطفی	فارسی	—
۱۱۹	در آرزوی وصال	فارسی	—
مقاله ها و خطابه ها			
۱۲۰	حدیث یداری (مجموعه پیام ها)	فارسی	—
۱۲۱	شب پرگان و آفتاب	فارسی	—
۱۲۲	شب عاشورا	فارسی	—
۱۲۳	صبح عاشورا	فارسی	—
۱۲۴	با عاشورا بیان	فارسی	—